د. علي عبد فتوني



تاريخ اليهود السياسي



الفارابي

تاريخ اليهود السياسي

الدكتور علي عبد فتوني

تاريخ اليهود السياسي

دار الفارابي

الكتاب: تاريخ اليهود السياسي
المؤلف: د. علي عبد فتوني
الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
e-mail: info@dar-alfarabi.com
www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2012
ISBN: 978-9953-71-794-4

المقدمة

اعتمدت الصهيونية الوعد الإلهي المزعوم لبني إسرائيل لإنهاء تشتتهم من خلال العودة إلى صهيون، واعتبروه المبدأ المركزي الذي يحرك الصهيونية ويضفي عليها الشرعية.

وبالتالي بدأت المنظمة الصهيونية تنادي بهجرة اليهود من جميع أصقاع الأرض إلى فلسطين. وعملت بمختلف السبل على تهجيرهم، لإقامة دولة عن طريق الاستعمار الاستيطاني، على اعتبار أن فلسطين هي وطنهم القديم «أرض الميعاد» وعلى هذا ارتكز أبناء الصهيونية منذ نشأتها على أسس من الدمج بين الفكر الديني والفكر السياسي، وما زالت حتى اليوم تربط كيانها السياسي بالدين. وتجعل من الدين أساساً لوجود الدولة العبرية وحجة في اغتصاب الأرض،ومن ثم استملاكها. علماً أن اليهودية دين لا يتمتع أتباعه ببراءات أو صكوك تاريخية أو قانونية تبرر استيلاءهم على أرض فلسطين ولا تربط بين تجمعاتها المنتشرة في العالم لغة ولا حضارة ولا ثقافة واحدة. فهم يفتقدون إلى كل المقومات التي تبني الأمم، والتي تجعل كتلة من البشر متحداً اجتماعياً وسياسياً واحداً يقيم على أرض واحدة وتمتد جذوره في ترابها.

الصهيونيون، هم الذين اخترعوا وروجوا الزعم بأن اليهودية قومية، واليهود أفراد في أمة ليبرروا احتلال فلسطين، واليوم يحاولون صهر يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في «قومية» يهودية واحدة قائمة على الدين واللغة، (لأن القومية هي قوة هذا العصر). فقد درج الصهيونيون على محاولة خلق قومية من الديانة اليهودية، وفرضها على يهود العالم يستمدون منها قوتهم.

لقد وضعت الصهيونية لنفسها عدداً من الأهداف فنجحت في تحقيق بعضها، وأخفقت في تحقيق بعضها الآخر. ويعود نجاحها إلى عوامل عديدة، من أبرزها): ارتباطها بالامبريالية وانخراطها في مشاريعها وتلمسها منحى تطور الأحداث على الساحة الدولية، ومسارعتها إلى استثمار الفرص التي تتوافر لها، واتباعها المرونة وتكيّيفها أهدافها المرحلية وفق طبيعة الأوضاع القائمة وموازين القوى دون التنازل عن أهدافها النهائية، وقدرتها على استغلال معاناة اليهود على أيدي النازيين، ونجاحها لفترة طويلة من الزمن في تجنيد قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي إلى جانب قضيتها عبر إظهار نفسها بصورة الضحية وإبراز معركتها بوصفها جزءاً من معركة التقدم ضد التخلف، والديمقراطية ضد الاستبداد على الصعيد العالمي.

وعندما تم إعلان «دولة إسرائيل» راحت الدولة الجديدة

تشارك الصهيونية العالمية في تهجير يهود العالم إلى فلسطين، باعتبار أنهم منفيّون عن وطنهم القديم في أرض إسرائيل التاريخية.

وقد أشار إعلان قيام دولة إسرائيل إلى أن يهود العالم يشكلون شعباً واحداً، وأن هدف الصهيونية هو إعادتهم إلى أرضهم التاريخية لتحقيق بعثهم القومي.

د. علي عبد فتوني

الفصل الأول

اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم

إبراهيم الخليل (ع)، نسبه وحياته وأسفاره

وُلِد إبراهيم الخليل في بلدة «كوثا» وهي قرية من قُرى الكوفة، وأطلال بلدة كوثا ما زالت تسمى «تل إبراهيم»، وإلى جانب التل يوجد مزار يُعرف بمقام إبراهيم. وقد ورد في التوراة (العهد القديم) أن إبراهيم وُلِد في قرية (أور) الكلدانية. وهذا يتفق مع التقليد حيث إن إبراهيم قد وُلِد في الرجا أو قرب أوركيش، وهي مناطق ضمن (أور) الكلدنية[1]. وكان أبوه من بلدة كوثا واسمه «تارخ» وأمه «عوثاء». وورد في القرآن الكريم خلافاً لما ورد في العهد القديم أن إبراهيم بن أزر، وقِيل في تفسير الآية أنه عمه وليس أباه وناداه أبتاه لأنه هو الذي ربّاه[2]. وكانت أم إبراهيم وأم لوط أختين هما ابنتان «للاجح» وزوجته سارة

(1) نعمة الله الجزائري: «قصص الأنبياء»، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1991، ص 165.

(2) «القرآن الكريم»، سورة الأنعام، الجزء السابع.

وهي ابنة خالته، وكانت سارة غنية صاحبة أرض واسعة، فملكتها لإبراهيم.

لقد عاش إبراهيم في وسط الخرافات والوثنية، وعندما كان وحده في حانوت والده تارخ خطر له أن يأخذ فأساً ويحطم بها كل الأصنام[1]، وقال لقومه: «إن هذه الأصنام لها أعين ولا تبصر، وآذان ولا تسمع، وأيد ولكنها لا تتحرك، فمن المؤكد إذاً أنها لا تصلح لشيء، لهذا حطّمتها، فما كان من المعقول أن تعبدوا ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم»[2].

وعندما ذاع في بلاده نبأ ما فعله أكبر أبناء تارخ بالأصنام وما قال عنها، لم يعد من المأمون بقاء إبراهيم الخليل وأسرته في ذلك البلد[3]، خصوصاً بعد أن كسَّر أصنام نمرود الذي أمر بإحراقه ولم يحترق، فأمرهم بأن ينفوه من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بما يشتهيه وحاله[4]. فحاججهم

(1) ألين هوايت: «الآباء والأنبياء»، ترجمة: فرج اللّه إسحق، دار الشرق الأوسط، بيروت (بدون تاريخ). ص 127.

(2) «القرآن الكريم»، سورة إبراهيم، الجزء الثالث عشر.

(3) سليمان مظهر: «قصة الديانات»، مكتبة مدبولي، القاهرة 1995، ص322.

(4) عبد الرزاق الأسود: «المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب»، المجلد الأول، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1981، ص144.

إبراهيم فقال: «إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم». عند ذلك اختصموا إلى قاضي نمرود، فقضى أن الحق لإبراهيم، فأخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام إلى بيت المقدس[1].

هاجر إبراهيم سنة 1996ق.م. من بلاد ما بين النهرين مع جماعة كبيرة من الأتباع، فأخذ معه أملاكه. وقد سار إبراهيم وأتباعه إلى «حاران» «حران حالياً وتقع شمال سورية» ومنها إلى أرض كنعان (فلسطين). وأقام في «شكيم» (نابلس)، ثم رحل إلى بيت «إيل» (بيتين)، ثم انتقل إلى جنوب فلسطين ونزل في قرية «أربع» (الخليل)، ثم هبط إلى وادي الأردن. حيث اجتاحت البلاد موجة من القحط والغلاء، وقد منعت السماء أمطارها، ولم تعد جداول المياه تفيض في الأودية، فجفت مراعي السهول، فلم تجد قطعان الغنم أو الماشية مرعى لها، وهددت المجاعة المحلة كلها.

لقد كان الجميع ينتظرون في لهفة معرفة ما سيفعله إبراهيم إذ تراكمت عليه المتاعب. وكان الجميع يشعرون أنه

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل»، دار الفجر، بيروت 1958، ص 9.

لم يزل هناك رجاء ما دامت ثقته هو ثابتة غير متزعزعة، وأن الله يرشده[1].

لم يستطع إبراهيم تفسير تصرفات العناية، ولم يحقق ما كان ينتظره، غير أنه تمسك بالوعد القائل: «أباركك وأعظم اسمك وتكون بركة». فبالصلاة الحارة اللجوجة جعل يفكِّر في كيف يحفظ حياة أهله وقطعانه، ولكنه لم يسمح للظروف أن تزعزع إيمانه بالله، فلكي يتقي شر الجوع، نزل إبراهيم الخليل إلى مصر ليقيم هناك، لأن المجاعة قد اشتدت في الأرض[2].

فلما قارب أن يدخل مصر قال لزوجته سارة: «أعلم أنك امرأة جميلة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون، أنهم يقولون هذه امرأة جميلة، فيقتلونني ويبقونك». ولما دخل إبراهيم الخليل مصر، رأى المصريون أن المرأة جميلة جداً، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأُخذت المرأة إلى بيته، فأحسن إلى إبراهيم بسببها، فصار له غنم وبقر وحمير وجمال وخدام وخادمات.

فضرب الله فرعون وبيته ضربات شديدة بسبب سارة امرأة

(1) عبد المنعم فوزي: «مذكرات في المجتمع العربي»، دار النهضة، بيروت 1970، ص 346.

(2) اتخذ اللّه إبراهيم خليلاً لأنه لم يسأل أحداً غير اللّه عزَّ وجلَّ، ولكثرة سجوده على الأرض.

إبراهيم. فاستدعى فرعون إبراهيم وقال له: «ماذا صنعت بي؟ لماذا لم تعلمني أنها امرأتك وقلت إنها أختي حتى أخذتها لتكون لي امرأة؟ والآن هذه امرأتك، خذها وامض، وأمر فرعون قومه فشيعوه هو وامرأته وكل ماله»[1].

وقال فرعون لإبراهيم: «انطلق من حيث شئت ولكن لي إليك حاجة وهي أن تأذن لي أن أقدم لزوجتك سارة «قبطية» عندي جميلة، عاقلة تكون لها خادمة». فأذن له إبراهيم فوهبها لسارة وهي «هاجر» أم إسماعيل، وعندما أبطأ على إبراهيم الولد قال لسارة: «لو شئت لبعتني هاجر لعل الله يرزقنا منها ولداً، فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل». وقد رزق إبراهيم من زوجته سارة ابناً في شيخوخته وأسماه «إسحاق»[2].

وبعد طَرْدِ إبراهيم الخليل من مصر، صعد هو وامرأته ولوط معه إلى بلاد كنعان، وأقام في حبرون (مدينة الخليل). ثم وقع نزاع بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط أدى إلى انفصالهما، فاختار لوط أن يرتحل إلى سهل الأردن.

وحدث بعد هذا أن بعض ملوك البلدان المجاورة الواقعة على الفرات أغاروا عى مدن سهل الأردن وأسروا لوطاً مع أهل بيته واستولوا على أملاكه.

(1) «الكتاب المقدس»، العهد القديم، سفر التكوين 12/ 1/ 17.

(2) «القرآن الكريم»، سورة الأنعام، الآية 6.

فلما بلغ الخبر إبراهيم سلّح من معه، وانطلق ليلاً فكسرهم واسترجع لوطاً وأملاكه ونساءه وجميع الأسرى وكل ما كان لهم، فخرج ملك «سدوم» لاستقباله بعد رجوعه، وباركه، «ملكي صادق» ملك أورشليم وقال: «مبارك إبراهيم من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك». فأعطاه إبراهيم عشراً من كل ما استولى عليه وأبى أن يأخذ لنفسه شيئاً من الغنيمة.

وقد مات إبراهيم الخليل وعمره مئة وخمس وتسعون سنة، ودفنه إسماعيل وإسحاق في حبرون (الخليل)، في المقبرة التي دفنت فيها زوجته سارة[1].

اشتهر إبراهيم الخليل باستقامة سيرته وسمو مبادئه، وقد كان من أكبر زعماء قبائل العرب.

ومما لا شك فيه أن نبوّة إبراهيم الخليل قد انتشرت في الآفاق حتى خُلد اسمه في جميع بقاع الأرض التي مر بها كما نشاهدها اليوم في المزارات والمقامات العديدة التي تحمل اسمه، وهي منتشرة في البلاد العربية عموماً.

تجدر الإشارة إلى أن إبراهيم كان على اتصال دائم مع أبناء عشيرته والقبائل التي يرتبط بها بصلة القرابة والوطن الواحد. وكان شأنه في ذلك شأن العرب الذين كانوا

(1) «الكتاب المقدس»، سفر التكوين، 12/ 18/ 14.

يستقرون في المدن والقُرى. وقال الله سبحانه ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧ ...﴾[1].

وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطاً بالجزيرة العربية وكانت له جمال وأغنام، وكانت له اتصالات تجارية وسياسية وزراعية مع القبائل التي كانت تسكن البادية المتصلة بالفرات وبالأردن وبالحجاز.

وبذلك يكون إبراهيم الخليل قد قطع مسافات طويلة عبر البوادي متنقلاً بين القبائل العربية من منطقة إلى أخرى في متاهات شاسعة من الجزيرة العربية محتكاً بمدنها وقُراها وسكانها ورؤساء عشائرها. وفي سيرته هذه تبرز الرابطة القوية التي تربط العالم العربي بعضه ببعض بوشائج الثقافة واللغة والتراث الصحراوي الباعث على النبوغ والتسامي في سماء الروحيات التي انبثقت منها النبوة السامية التي تصل الخالق بالمخلوق[2].

انطلاقاً من ذلك خاطب الرب إبراهيم وقال له:

«انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض

(1) «القرآن الكريم»، سورة آل عمران، الآية 67.

(2) أحمد سوسة: «العرب واليهود في التاريخ»، العربي للإعلان والنشر، ط2، دمشق 1973، ص 254.

التي أريك، وأنا أجعلك أمّة كبيرة، وأباركك وأعظّم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك، وألعن لاعنيك ويتبارك بك جميع عشائر الأرض»[1].

فكان والحالة هذه رسولاً حاملاً علم العروبة بين وادي الرافدين ووادي النيل، رسول المحبة والتوحيد والسلام، يصل بين أعظم حضارتين في العالم القديم. كان كل ذلك قبل أن يعرف العالم أو يسجل التاريخ وجود الموسويين بسبع مئة سنة.

أما ما يتعلق بفلسطين، فإن إبراهيم الخليل لم يدخلها غازياً ولا محارباً ولا فاتحاً ولا محتلاً، وإنما جاء متنقلاً بين العراق مسقط رأسه، وبين المناطق العربية السامية على ضفاف وادي الفرات مثل «ماري» «وحران»، وفي المناطق العربية الغربية مثل تدمر ودمشق وكنعان، شأنه في ذلك شأن القبائل العربية التي كانت تتنقل في البادية من مكان إلى آخر، فتعبر كل الجزيرة العربية وكل الوادي، وادي الفرات بوجه خاص وطنها.

وهكذا استُقبل إبراهيم الخليل بكل ترحاب هو وأتباعه. ففي حران كان بين عشيرته وأقربائه وهم جماعة الآراميين، وفي بلاد كنعان استقبله الكنعانيون بالتجلة والتعظيم، وقد سبق لهم أن استقروا في أرض كنعان منذ أوائل الألف الثالثة

(1) «الكتاب المقدس»، العهد القديم، سفر التكوين 12/ 1/ 17.

قبل الميلاد، وهم كالآراميين ساميون عرب من أهل الجزيرة العربية[1].

وهكذا فقد كان إبراهيم الخليل مرتبطاً ارتباطاً كلياً بجزيرة العرب وبعشائرها وبقبائلها، ومن ضمنها الحجاز، ولم تنقطع صلاته بها[2]. وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك حيث جاء اسم إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل مقرونين بالجزيرة العربية، وبيت الله العتيق «مكة المكرمة». ورداً على اليهود لأنهم اعتبروا إبراهيم الخليل عبرانياً نبّه القرآن الكريم حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾[3].

فإبراهيم لم يكن يهودياً لأنه وجد في وقت لم تكن الديانة اليهودية قد جاءت. ولم يكن موسى قد وُلِد وبُعث بعد، وعلى ذلك فتكون دعواهم باطلة.

ويصف القرآن الكريم إبراهيم الخليل أجمل وصف ويضعه في مكانة سامية بين الأنبياء، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في 63 موضعاً ضمن 25 سورة[4].

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود..» (المرجع السابق)، ص 260.
(2) محمد عزة دروزة: «مختارات قومية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1988، ص 304.
(3) «القرآن الكريم»، سورة آل عمران، الآية 64.
(4) عبد الرؤوف محمد أسود: «المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب»، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1981.

انطلاقاً من ذلك، كيف يمكن أن يكون إبراهيم الخليل يهودياً، وهو عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمون أنفسهم يهوداً بحوالى ألف وثلاث مئة عام.

وكذلك نسأل: كيف جاء اليهود إلى العراق، وكيف اتصلوا بإبراهيم الخليل في حين لم يكن لهم وجود بعد؟ وكيف يتزعم إبراهيم الخليل اليهود في رحيله إلى فلسطين قبل أن يكون خلق يهوذا الذي جاءت تسمية اليهود منه، أو يكون خُلق يعقوب (إسرائيل)؟. تجدر الإشارة إلى أن إبراهيم الخليل بحسب رواية التوراة ينتمي إلى القبائل الآرامية، وهي قبائل عربية نزحت من وطنها الأصلي في جزيرة العرب، واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية، ثم نزل بعض أسرها إلى العراق، ومن جملتهم أسرة إبراهيم الخليل[1].

وفي هذا السياق نشير إلى أن بعض الكُتَّاب والمؤرخين العرب اعتبروا هجرة إبراهيم الخليل من العراق وهجرة موسى من مصر وكأنهما لقوم واحد أو لجماعة واحدة. علماً أنه لا توجد علاقة بين الهجرتين، فهجرة إبراهيم الخليل من مسقط رأسه العراق وقعت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي قبل ظهور جماعة موسى بسبعة قرون[2].

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرجع السابق)، ص 268.

(2) أحمد سوسة: «العرب واليهود...» (المرجع نفسه)، ص 268.

أما لجهة إبراهيم الخليل بالعبراني كما وردت بالتوراة، كان يُراد بها القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرامية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا المعنى جاءت كلمة «عبيرو» التي عثر عليها في النصوص المصرية والتي تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد[1]. وقد حاول الحاخاميون ربط تاريخهم بأقدم العصور عند استعمالهم مصطلح (عبر ـ عبراني)، للدلالة على اليهودية بوجه عام، علماً أن إبراهيم الخليل عاش في زمن يسبق زمن موسى، حيث لم يكن لليهود أي وجود[2].

أما ما أورده الباحثون من كلمة «عبرى» مشتقة من «عَبَرَ» أي قطع نهراً أو غيره، أو من «عابر» أحد أسلاف إبراهيم، فغير مستندة إلى دليل أو أساس. وقد نبّه القرآن الكريم إلى هذه الناحية[3].

وقد قال عباس محمود العقاد: إن إبراهيم الخليل كان زعيم قبيلة بادية مضطلعاً في شؤون الجزيرة وأحوال العرب وزعمائهم وعاداتهم، فلا يمكن أن يُقال عنه إنه إسرائيلي لأن كلمة إسرائيل أول ما استُعملت أُطلقت على «يعقوب»، حفيد

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود..» (المرجع نفسه)، ص 249.
(2) هنادي الحاج: «الأديان من أولها إلى خاتمها»، بيروت ـ لبنان، (بدون تاريخ)، ص 5.
(3) «القرآن الكريم»، سورة آل عمران، الآية 67.

إبراهيم، ولا يمكن أن يُقال عنه أنه يهودي لأن اليهودية نسبت إلى «يهوذا» رابع أبناء يعقوب[1].

ـ يعقوب (ع): نسبه وأسفاره

تزوج إسحاق بن إبراهيم وهو في الأربعين من عمره بإبنة عمه «رفقة» بنت ناحور التي كانت عاقراً في البداية، إذ قضت عشرين سنة وإسحاق يصلي ويدعو الله أن يرزقه ولداً. فبعد أن حملت رفقة كان في بطنها توأمان. وعندما وضعت، خرج الأول أحمر وجسده مكسو بالشعر فدعوه عيسو. وبعد ذلك خرج الثاني ويده قابضة بعقب أخيه فدعي يعقوب.

وعندما كبر الغلامان اشتهر «عيسو» بالصيد فيما عرف يعقوب بالكمال، وحدث أن أحب إسحاق ابنة عيسو بينما فضلت رفقة ابنها يعقوب. ولما شاخ إسحاق وكلّت عيناه عن النظر استدعى عيسو وطلب إليه أن يخرج إلى البرية ويصطاد ثم يحضّر الطعام لولده الذي وعده بأن يباركه ويجعله وريثاً له[2].

(1) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب عباس محمود العقاد: «إبراهيم أبو الأنبياء»، مطابع دار الهلال، مصر.

(2) عدنان حداد: «الخطر اليهودي»، دار البيروني، بيروت 1997، ص37.

سمعت رفقة ما دار من حديث بين زوجها وابنها البكر، فما إن رأت عيسو يتوارى عن الأنظار في غياهب البرية طلباً للصيد حتى أخبرت ابنها يعقوب بما حدث، وعن عزم والده مباركة عيسو أمام الرب، فقالت له: «إذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين من المعزى، فأضعهما أطعمة لأبيك حتى يباركك قبل وفاته»[1].

دخل يعقوب على والده الذي شحّ نظره وادعى أنه البكر عيسو، وأنه قد عاد تواً من الصيد ودعا والده للجلوس كي يتناول من الطعام الذي حضره له. وهكذا بارك إسحاق ابنه يعقوب معتقداً أنه عيسو، وانطلت عليه الحيلة التي حبكتها زوجته رفقة ونفذها ابنه يعقوب[2].

ولكن ما إن مضت برهة من الوقت حتى كان «عيسو» قد عاد من الصيد، فحضّر الطعام كما طلب منه والده. فارتعد إسحاق من هول المفاجأة وأحس بأنه كان ضحية خديعة. فكان لا بدَّ أن يحقد عيسو على شقيقه يعقوب وأن يضمر له الشر. وهذا ما دفع والدته «رفقة» إلى حمل ابنها يعقوب على الهرب واللجوء إلى حاران (شمال سوريا)، حيث يقيم خاله

(1) «الكتاب المقدس»: سفر التكوين 26/ 12/ 17.

(2) حسن زعرور: «سيف داوود، خداع وأضاليل»، دار الرسول الأكرم، بيروت 1998، ص 42.

«لابان». أما إسحاق فرغم ما حدث له مع ابنه يعقوب فقد استدعاه وكأن شيئاً لم يكن وباركه. وبعد أن باركه وتنبأ له بالذرية الكثيرة لم يغفل عن الإتيان على ذكر الأرض الموعودة. وهنا ينتهي دور إسحاق بعد أن حصر نسل إبراهيم بابنه يعقوب[1].

توجه يعقوب كما أشارت عليه والدته من بئر السبع إلى ديار خاله، وبينما هو في الطريق وجد مكاناً بات فيه، لأن الشمس قد غابت، فأخذ بعض حجارة المكان فوضعه تحت رأسه ونام. في ذلك المكان حلم حلماً فإذا: «سلماً منصوبة على الأرض ورأسها يلامس السماء، وإذا ملائكة الله صاعدون نازلون عليه فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، إن الأرض التي أنت نائم عليها لك، أعطها لنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض. وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك بك وبنسلك جميع قبائل الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به»[2].

وهكذا انضم يعقوب إلى الفئة المحظوظة من نسل إبراهيم التي تمتعت بمباركة الله وحظيت بالوعد الإلهي

(1) جورجي كنعان: «تاريخ يهوه»، الدار العربية للعلوم، بيروت 1994، ص 56.

(2) «الكتاب المقدس»، العهد القديم، سفر التكوين 28/ 12/ 15.

المتعلق بالحصول على أرض كنعان. ويعقوب هو من المراجع الأساسية التي يعتمد عليها اليهود لتحديد نسل إبراهيم المعترف به، ولحصر الإرث بمن يحق لهم الاشتراك في اقتسامه. وبعد هذا الحلم ارتفعت معنويات يعقوب وقويت ثقته بنفسه، فتابع سفره جاداً في الرحيل إلى حيث يقيم خاله «لابان». وقد تزوج يعقوب بزوجات من بلاد ما بين النهرين منهن راحيل ابنة خاله[1]، ورزق منهن إثني عشر ولداً وهم: رأوبين/ لاوي/ يهوذا/ يساكر/ زبولون/ كان/ إشار/ شمعون/ دان/ ونفتالي.

أما يوسف وبنيامين فأمهما راحيل ابنة خاله[2].

طالت إقامة يعقوب في ديار خاله لابان حتى ناهزت عشرين عاماً، ساءت خلالها ظروف الحياة وتوترت العلاقة بين يعقوب وخاله، فانتهز فرصة غياب خاله، فأخذ نساءه وأولاده وحاشيته ورحل إلى أرض كنعان. وحين اقترب من المكان الذي يقيم فيه شقيقه (عيسو) أرسل إليه ببعض الرسل، فكان جواب شقيقه أن النقمة ما زالت على ما كانت عليه منذ عدة سنوات، فقضى يعقوب ليلته في ذلك المكان في وحدة تامة. وفيما هو يصلي شعر بيد غريبة وقوية توضع

(1) عدنان حداد: «الخطر اليهودي»، (المرجع السابق)، ص 42.

(2) جورجي كنعان: «تاريخ يهوه..»، (المرجع السابق)، ص 58.

عليه، وقد خاض يعقوب عراكاً ضد الرجل حتى مطلع الفجر عند جدول صغير في منطقة الأردن يدعى «يبوق». ولما رأى الرجل أنه لا يقدر عليه، طلب منه أن يُطلقه، فقال له لا أطلقك حتى تباركني، فباركه وقال له: «لن يدعى اسمك يعقوب من بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعت الرب والناس وغلبت»[1].

ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين قديمتين هما: إسر بمعنى غلب وإيل أي الإله أو الله، وقد أصبحت هذه التسمية مصدر فخر من الناحية القومية لبني إسرائيل، وأصبحوا ينسبون أنفسهم لها فيقولون: «بيت إسرائيل» أو آل إسرائيل، أو بني إسرائيل، وكثيراً ما يختصرون التعبير فيقولون إسرائيل فقط كما ورد في التلمود[2].

وفي هذا المجال يقول أحمد سوسة، إنه ورد في الكتابات المصرية عهد «مرنفتاح» سنة 1230ق.م ذكر إسرائيل بصيغة إحدى المدن في جنوب فلسطين، وهذا يدل على أن كلمة إسرائيل كنعانية، سامية، عربية الأصل، ترجع إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد. وكانت تحظر بقدسية روحانية

(1) عصمت سيف الدولة: «نظرية الثورة العربية»، دار الفكر، بيروت 1971، ص 309.

(2) رشاد عبد الله الشامي: «إشكالية الهوية في إسرائيل»، عالم المعرفة، العدد 224/آب 1997، ص 113.

بين سكان المنطقة، وذلك قبل ظهور موسى واليهود بعدة قرون.

وقد أرجع كتبة التوراة أصل اليهود إلى إسرائيل وإبراهيم الخليل، وتسموا ببني إسرائيل وذلك بغية إرجاع نسبهم إلى أقدس العروق البشرية وربط تاريخهم بعصور قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها[1].

وكان مجموع النفوس الخارجة من صلب يعقوب خمسة وسبعين نفساً. وكان أحبهم إلى يعقوب ابنه يوسف. لذلك نشأ الحسد في نفوس إخوته لأن والدهم كان يفضله عليهم، فحقدوا عليه، وألقوه في البئر وادعوا أن الوحوش الضارية قد افترسته.

وقد مرت قافلة فرآه رجالها فانتشلوه ثم باعوه في مصر. وقد اشتهر بذكائه وببراعته في تفسير الأحلام، فاستدعاه مرة فرعون طالباً إليه الكشف عن مضمون حلم أزعجه. وقد نال حظوة لدى فرعون فغدا أميراً عظيماً. وتزوج بإبنة رئيس الكهنة في مصر[2]. ولما اشتدت المجاعة في أرض كنعان، اضطر أشقاء يوسف للذهاب إلى مصر للحصول على القمح،

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود..»، (المرجع السابق)، ص 449.

(2) المسعودي: «مروج الذهب»، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، بيروت، ص 47.

في هذه الأثناء تعرّف يوسف على أشقائه ثم طلب إليهم أن يحضروا أباهم. ذهب يعقوب إلى مصر عام 1650 ق.م، مع أبنائه الذين سيؤلفون أسباط بني إسرائيل[1].

وعندما وصل يعقوب إلى مصر قال لأولاده: «أدفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثي، في المغارة التي تقع في حقل المكفيلة التي أمام حمرا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل في عفرون الحثي، هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته[2].

أهمية هذه المقبرة عند اليهود التي تعرف الآن بالحرم الإبراهيمي، أنها تجمع إلى جانب ضريح إبراهيم وزوجته، وإسحاق ورفقة، وضريح يعقوب وكل بيت يوسف وأخوته وبيت أبيه[3].

عندما استقرت عائلة يوسف في مصر، كان الحكم في أيدي الملوك الرعاة (الهكسوس)، الذين غزوا البلاد

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل..»، (المرجع السابق)، ص 10.

(2) لطيف إلياس لطيف: «البنان التوراتي في اليمن»، دار الجنوب للطباعة، صيدا 2000، ص 127.

(3) «الكتاب المقدس، العهد القديم»، سفر التكوين 49/ 29ـ32.

وانتصروا بفضل مهارتهم في الحرب وأسلحتهم الجديدة وخيولهم وعرباتهم. هؤلاء الغزاة الآتون من الشمال كانوا نصف ساميين، وكانوا مكروهين من المصريين، ولكن حققوا التوازن بين العرقين ولم يمنعوا القبائل الآسيوية، ومنها اليهودية من الدخول إلى الأرض المصرية.

حكم الملوك الرعاة مصر طوال قرنين، من سنة 1790 حتى 1580ق.م. وحين دخل اليهود مصر في سنة 1650ق.م كان المجتمع المصري منقسماً إلى طبقات متباينة: حكام طغاة، وطبقة الشعب، وطبقة رجال الدين الذين يسمحون بعبادة آلهة متعددة.

وقد مكث اليهود في مصر حوالى القرنين (1650ـ1450ق.م) قضوا منهما حوالى سبعين عاماً تحت حكم الملوك الرعاة حيث لاقوا من قبائل الملوك الرعاة معاملة حسنة جعلتهم يتمتعون ببعض الامتيازات المالية والاجتماعية. ويعود ذلك إلى أن الملوك الرعاة شجعوا دخول الآسيويين إلى أرض مصر ليساعدوهم على الوقوف في وجه الشعب المصري، ورد حملات الفراعنة الذين يعملون على استعادة نفوذهم وبسط سلطاتهم[1].

(1) عدنان حداد: «الخطر اليهودي»، (المرجع السابق)، ص 56.

وعندما نجح المصريون في طرد الهكسوس وتربعوا على سدة الحكم فقد اليهود امتيازاتهم بعد أن أصبحوا تحت سلطة أعدائهم (المصريون)، الذين صبروا عليهم مدة مئة وثلاثين عاماً، قبل أن يطردوهم من أرض مصر. خاف المصريون الذين تحرروا من ظلم الهكسوس استعبادهم من جديد من قبل اليهود، مما دفع المصريين إلى طردهم، وإيقاع أشد أنواع الخسف والجور بهم، وتسلطوا عليهم وسخروهم في بناء الطرق والمدن والمزارع والأعمال في الحقول[1]. ثم كلّم ملك مصر قابلتي العبرانيات وقال: «إذا ولدتما العبرانيات، فانظروا إلى جنس المولود، فإن كان ابن فأميتوه، وإن كانت ابنة فلتحيا، لكن القابلتين لم يلتزما. عندئذ استدعى ملك القابلتين وقال لهما لماذا لم تلتزما، وعلى أثر ذلك أمر فرعون كل شعبة قائلاً: كل ابن يولد لهم فاطرحوه في النيل، وكل ابنة فاستبقوها»[2].

ولقد اتخذ ملك مصر هذا القرار بحق اليهود لأن هاجسهم الأساسي، كان التناسل فيما بينهم لإكثار شعبهم مع التشديد على نظافتهم العرقية لاعتقادهم أنهم شعب يختلف

(1) محمد مصباح حمدان: «الاستعمار والصهيونية العالمية»، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت 1967، ص 20.

(2) «الكتاب المقدس، العهد القديم»، سفر الخروج 1/ 13ـ2/ 8.

عن بقية الشعوب، وأن الاندماج مع الشعوب الأخرى يعتبر خروجاً على عقيدتهم وإضعافاً لها. وهذا الشعور ما زال يلازمهم بقوة حتى اليوم.

وعندما دخلت إقامة اليهود في مصر مراحل صعبة وأخذوا يفكرون في الرحيل، بدأت قصة موسى ونجاته من جور فرعون.

موسى (ع): حياته، مواقفه وأسفاره

مضى رجل من آل لاوي، فتزوج بابنة لاوي، فحملت المرأة وولدت ابناً جميلاً سنة 1525ق.م[1]، وذلك في زمن فرعون المدعو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان، وهو الرابع من فراعنة مصر، وقد طال عمره. حينذاك كان بنو إسرائيل قد استرقُّوا بعد مضي يوسف واشتد عليهم البلاء. وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون أن مولوداً سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً خطرة، فجزع لذلك فرعون، وأمر بذبح الأطفال[2]. وعندما علمت والدته بالأمر أخفته ثلاثة أشهر، ولما لم تستطع أن تخفيه بعد أخذت له سلة من القصب وجعلت الولد فيها، ووضعتها بين القصب على حافة النهر، ووقفت أخته مريم من بعيد لتعلم ما يحدث له، فنزلت ابنة فرعون «حتشبوت» إلى نهر النيل لتغتسل، فرأت السلة فأرسلت خادمتها وفتحتها ورأت الولد،

(1) «الكتاب المقدس»، العهد القديم ـ سفر الخروج 2/ 7ـ15.

(2) المسعودي: «مروج الذهب»، الجزء الأول (المرجع السابق)، ص48.

فإذا هو صبي جميل يبكي، فأشفقت عليه وقالت هذا من أولاد العبرانيين. فقالت أخته لابنة فرعون، هل أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات ترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أم الولد «يوكابد بنت لاوي»، فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر جاءت به ابنة فرعون، فأصبح لها ابناً وسمته موسى أي الموجود بين الماء والشجر[1].

إن موسى نبي، تعترف بنبوته الديانات الثلاث، ولكن هل هناك دلائل على أن موسى كان محتفظاً بدم بني لاوي الذين جاؤوا إلى مصر، أم أنه يرجع إلى طبقة الكهنة الذين يرعون الشؤون الدينية في مجتمع بني إسرائيل، في هذا يقول الكاتب اليهودي «فرويد»: «إن موسى كان قائداً مصرياً في جيش إختاتون ولم يكن من اللاويين كما جاء في التوراة»[2].

ولما كبر موسى خرج إلى أخوته ورأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته، فالتفت فلم ير أحداً فقتل المصري وطمره في الرمل. لم يكن قتل مصري من قبل عبراني من السهولة بحيث يمضي بغير عقاب، خصوصاً أن

(1) «القرآن الكريم»، سورة القصص، الجزء العشرون.

(2) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب: أحمد سوسة: «العرب واليهود..»، (المرجع السابق)، ص 237.

العبري الذي أنقذه موسى خان منقذه وكشف أسمه. فطلب فرعون أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون، لأن وجوده لم يعد مأموناً، فأسرع إلى «بلاد مدين»، منطقة تقع في شبه جزيرة سيناء، حيث عمل راعياً لدى شيخ صالح يدعى شعيب وزوّجه إحدى ابنتيه.

في طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأراه الله معجزة العصا واليد، وأمره بالتوجه إلى فرعون لدعوته للتوحيد بعد أن شد أزره بأخيه هارون.

توجه موسى وهارون إلى مصر وظلا يأتيان كل يوم ويجلسان ببابه فلا يصلان إليه لشدة حجّابه. ثم فيما بعد استطاعا الوصول إلى فرعون فعرضا عليه عبادة الله، فاستهان ما واستنكر خطبهما[1].

قرر فرعون أن يقرع الحجة بالحجة،وأن يقابل سحر موسى بسحر مثله. فجمع سحرة بلاده، وانتهى الأمر بسجود السحرة لله تائبين مؤمنين، فثار فرعون وتوعد سحرته بتقطيع أطرافهم وصلبهم[2]. وقرر فرعون قتل موسى، فهرب إلى سيناء عام 1450ق.م، مع جماعته الذين بلغ عددهم حوالى

(1) سلمى الخنساء: «تاريخ الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى»، بيروت 1988، ص 13.

(2) فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعي: «حقيقة اليهود» (بدون تاريخ)، ص2.

ست مئة ألف حسب تقدير بعض الباحثين، بعد أن أقاموا في مصر 430 عاماً[1]. وما إن دخلوا صحراء سيناء حتى رأوا أنفسهم في بيداء قاحلة، بعد أن تجنبوا الطريق المحاذي للبحر المتوسط، وساروا في الطريق جنوب صحراء سيناء خوفاً من وقوعهم فريسة للاستعباد مرة ثانية، وانتظروا هناك مدة أربعين عاماً[2].

وحول ضرورة سيطرة اليهود على أرض كنعان «أرض الميعاد» ورد في التوراة: «إذا أدخلك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لترثها وتطرد من أمامك أمماً كثيرة، أهم وأكثر وأقوى منك، وأسلمهم الرب إلهك بين يديك، وضربتهم، فحرمهم تحريماً، لا تقطع معهم عهداً، ولا ترأف بهم، ولا تصاهِرهم، ولا تعطِ ابنتِك لابنه، ولا تأخذ ابنته لابنك. . تدمرون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحطمون أوتادهم المقدسة، وتحرقون تماثيلهم بالنار. لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اختار الرب إلهك لتكون له شعب خاصته من جميع الشعوب التي على وجه الأرض»[3].

(1) محمد أبو المحاسن عصفور: «معالم حضارات الشرق الأدنى القديم»، دار النهضة العربية، بيروت 1979، ص 168.

(2) محمد مصباح حمدان: «الاستعمار والصهيونية العالمية»، (المرجع السابق)، ص 22.

(3) «الكتاب المقدس»: العهد القديم، سفر الاشتراع 7/ 10ـ26.

انطلاقاً من هذا المعتقد أرسلوا رجالاً يستطلعون أرض كنعان، وقد عادوا من استطلاع الأرض بعد أربعين يوماً، وقدموا تقريراً لموسى وهارون وقالوا فيه: قد دخلنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، فإذا هي بالحقيقة تدر اللبن والعسل، غير أن الشعب الساكن فيها قوي، والمدن محصنة، ورجالها أقوياء وأناسها أشداء، ورأينا العماليق في أرض النقب، وكذلك الحثي واليبوسي والأموري في الجبل، والكنعاني مقيم عند البحر وعلى ضفة الأردن، وقالوا لموسى: إننا لا نخرج على هذا الشعب لأنه أقوى منا، وكل الشعب الذي رأيناه فيها أناس طوال القامات[1].

بعد ذلك وقع الرعب في قلوب كثير منهم وجعلهم يفكرون ثانية في العودة إلى أرض مصر وينالون هناك رغيداً وسلطاناً على خلاف ما عرفوه من حكامها الأسبقين من الذل والهوان مما زاد انشقاقهم على بعض وكادت الفتن أن تعصف بهم[2].

في ذلك الوقت كان موسى ومعه بنو إسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر عند خليج السويس. وخلال الطريق ترك موسى بني إسرائيل ليصعد إلى جبل طور، ويمكث ثلاثين ليلة

(1) «الكتاب المقدس»: العهد القديم، سفرالعدد 13/ 18ـ33.

(2) جورجي كنعان: «محمد واليهودية»، دار بيسان للنشر، 1999، ص 207.

صائماً ليلقى من ربه الوصايا (الألواح) التي ترسم الطريق للمؤمنين، وامتدت الأيام الثلاثون فصارت أربعين ليلة[1].

وكان موسى قد استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل يدبر أمورهم ويرعى شؤونهم. ولما طال غياب موسى عن قومه تحركت في نفس «السامري» نزوة الشر والفساد، فاغتنمها فرصة وجمع الحُلي ووضعها في حفرة وأوقد عليها وصنع منها عجلاً، وراحوا يعبدونه ويعتبرونه ربهم يهوه[2].

وعندما عاد موسى وشهد وضع قومه فتملكته الثورة والغضب وأحرق العجل وأمرهم بدخول فلسطين، فامتنعوا وقالوا له: «إن فيها قوماً جبارين، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فإن خرجوا منها فإنّا داخلون، ثم قالوا: إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا، إنّا هنا قاعدون». حينئذ دعا موسى على قومه وقال: «ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين»[3]. فشكا موسى قومه، فغضب عليهم وتركهم

(1) جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية والعهد القديم»، دار النهار للنشر، بيروت 1985، ص 47.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الأديان والمذاهب..»، (المرجع السابق)، ص 147.

(3) هنادي الحاج: «الأديان من أولها إلى آخرها، اليهودية تاريخاً وعقيدة»، إصدار شركة M.C.A.Sarl، إشراف وتصحيح الشيخ خالد صوفان، ص 16.

يتيهون في هذه الصحراء أربعين سنة، مات خلالها هارون عند جبل «هور»، وكان عمره 117 عاماً، ودفنه موسى، وأخبر قومه بوفاته. أما موسى فقد توفي بعد هارون بعام واحد في شبه جزيرة سيناء، ودفن في «كثيب أحمر» دون أن يدخل فلسطين، وكان عمره يوم وفاته 120 عاماً[1]. وقد تعددت الروايات حول وفاته، حيث قيل إنه مات شهيداً بعد أن اغتاله الكهنة الذين قاوموه وهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية، وقِيل إن يوشع بن نون هو الذي اغتاله بعد أن استدرجه إلى أعلى الجبل ثم أعلن موته وفقاً لما أمر به الرب. خلف موسى يوشع بن نون حيث كان قد اختاره موسى لقيادة اليهود حسب التوراة قبل وفاته[2]. وقال موسى ليوشع: «فإنك أنت تُدخل هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم إياها، تشدد وتشجع، فإنك أنت تُدخل بني إسرائيل إلى الأرض التي أقسمت لهم عليها»[3].

أما ما يتعلق باحتلال مناطق ومدن خارج أرض كنعان، ورد في التوراة الاستراتيجية الواجب اعتمادها والتي ركزت

(1) صالح زهر الدين: «المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية»، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت 1985، ص ص 10ـ11.

(2) سلمى الخنساء: «تاريخ الفكر السياسي»، (المرجع السابق)، ص 13.

(3) «الكتاب المقدس، العهد القديم»، سفر الاشتراع 31/ 24ـ32/ 6.

على ضرورة دعوة سكان المدن إلى السلم، «فإذا أجابتك بالسلم وفتحت لك أبوابها، فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السُخرة، ويخدمك، وإن لم تسالمك بل حاربتك، فحاصرها، واضرب كل رجالها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدن من غنيمة، فاغتنمها لنفسك، كل غنائم أعدائك أعطاك الرب إلهك إياها»[1]

يوشع بن نون (ع): انتقلت القيادة إلى يوشع بن نون أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بعد وفاة موسى[2]، محرر بني إسرائيل من العبودية. وكان على يوشع قيادة بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة، حيث خاطبه الرب وقال له: «إن موسى قد مات، فقم الآن واعبر الأردن أنت وكل هذا الشعب، إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، كما قلت لموسى، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير، نهر الفرات، كل أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس، تكون أراضيكم. فلا يقف أحد أمامكم طول أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك»[3].

(1) «الكتاب المقدس، العهد القديم»، سفر الاشتراع 20/ 12ـ10.
(2) المسعودي: «مروج الذهب..»، (المرجع السابق)، ص 51.
(3) عادل محمود رياض: «الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة»، دار النهضة العربية، بيروت 1989، ص 20.

وعلى مسافة أميال قليلة من النهر مقابل المكان الذي كان الإسرائيليون حالِّين فيه كانت مدينة أريحا المنيعة. لقد كانت هذه المدينة في الواقع مفتاح البلاد كلها. وكان يمكن أن تكون عقبة كأداء في سبيل تقدم بني إسرائيل: لهذا أرسل يوشع شابين إلى هذه المدينة كجاسوسين ليعايناها ويعرفا شيئاً عن مكانها ومنافذها وقوة استحكامها. وإذا كان سكان المدينة مرتعبين وخائفين، أو يقظين وحذرين على الدوام. وعندما حصل الرجلان على ما كانا يبغيان، رجع الرجلان ونزلا عن الجبل وعبرا وأتيا إلى يوشع بن نون وقصا عليه كل ما أصابهما، وحدثاه بكل ما جرى لهما وقالا: «إن الرب قد أسلم إلى أيدينا كل الأرض»[1]. عندئذ صدرت الأوامر إلى الشعب بالتقدم. ودخل الإسرائيليون أرض كنعان، ولكنهم لم يخضعوها، وكان يبدو للعين البشرية أن الصراع في سبيل امتلاك الأرض سيكون طويلاً وشاقاً ومريراً، إذ كان يقطن البلاد أقوام أشداء، وقد وقفوا على تمام الأهبة لصد أي عدوان يقوم به الغزاة على أرضهم. وقفت تلك القبائل صفاً واحداً، إذ وحّد بينها الخوف من وقوع خطر شامل، مع الإشارة إلى أنهم كانوا متفوقين على الغزاة بخيلهم ومركباتهم الحربية، ومعرفتهم للبلاد وتدريبهم

(1) جورجي كنعان: «تاريخ يهوه..»، (المرجع السابق)، 71

الحربي. زد على ذلك أن في البلاد معاقل وحصوناً، ومدناً عظيمة. ولكن الإسرائيليين لم يكونوا يؤملون في النصر والنجاح في ذلك العصر إلا لكونهم واثقين بقوة خارجة عنهم ستهبّ لنجدتهم.

ومن أمنع المدن الحصينة في البلاد التي وقفت أمامهم كانت مدينة أريحا، وهي من المراكز الرئيسية لعبادة الأوثان، وكانت مكرسة لعبادة عشتروت إلهة القمر. وقد رأى يوشع أن الانتصار على أريحا سيكون الخطوة الأولى في غزو بلاد كنعان[1].

وتقول التوراة إن الرب أمره بعبور الأردن إلى الجانب الغربي، وقد قضى في طريقه على بعض ملوك كنعان. وكانت أريحا أولى المدن الكنعانية التي احتلها الإسرائيليون فحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب. ومن المدن التي استولى عليها يوشع بن نون «بيت إيل وعاي ولخيش وعجلون وحبرون ودبير».

أما الفلسطينيون المتحصنون في مدنهم الساحلية بين غزة

(1) أحمد ماجد: «التاريخ بين يديك»، دار المناهل، بيروت 1992، ص ص 109ـ110.

ويافا فصدوا تقدم الإسرائيليين غرباً، وكان الفلسطينيون متفوقين عليهم في معداتهم الحربية، إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه، وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه. لذلك لم يجرؤ يوشع على محاربتهم فتجنّبهم، كما تجنّب المدن المحصنة ومنها أورشليم لمناعتها[1].

أما المدن الشمالية الكنعانية الفينيقية، فكانت في حرز حريز لمناعتها وراء سلسلة جبال لبنان، وكانت الموانئ على ساحل البحر تساعدها على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية مع الخارج. وكان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفاً للنحاس والقصدير قد فتح لها عهداً جديداً، فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة وبيعها وذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحثيين، فتقدمت صناعياً وازدهرت تجارتها[2].

أما على صعيد بلاد كنعان، فإن الذي ساعد على تقدم الفتح بقيادة يوشع هو ملاءمة الظروف السياسية السائدة آنذاك. فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع ما بينها، دويلات لا يحصى عددها، يحكم فيها حكام إقطاعيون مستبدون همّهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم.

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود..»، (المرجع السابق)، ص 291.

(2) «الكتاب المقدس، العهد القديم»، سفر يوشع 12/ 16ـ13/ 7.

لذلك استطاع يوشع أن يستولي على عدة مناطق في فلسطين، وأباد شعوبها وقتل عدداً كبيراً من ملوكها. ويقول اليهود إنه تلقى بركة موسى من يده قبل موته. ويقولون إن له معجزة كبرى هي وقوف الشمس وثبوت القمر حتى أكمل انتقامه من أعدائه. وقد حكم يوشع، 25 سنة، حيث مات وعمره 120 عاماً ودفن في جبل إفرايم[1].

لقد عرضت التوراة وضع الموسويين في كنعان بعد موت يوشع على أنهم أصبحوا مهددين بالفناء، وقد اضطروا أن يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها، فضاق بهم الأمر حتى قام لهم الرب القضاة ليخلصوهم من يد أعدائهم. لذلك سمّي هذا العهد بعصر القضاة.

ابتدأت هذه الحقبة مع عتنائيل (1356ـ1316ق.م)، وانتهت مع صموئيل (1079ـ1050ق.م)، حقبة دامت ثلاثة قرون تولى قيادة بني إسرائيل خلالها رجال اختارهم يهوه ليكونوا في الوقت نفسه أنبياء وقضاة ومنقذين للشعب المختار من الأخطار الخارجية لا سيما من الحروب.

وكان عهد القضاة عهداً مضطرباً تخللته عدة نكسات كادت تهدد الموسويين في فلسطين بالفناء، إذ تعترف التوراة

(1) روجيه غارودي: «الأساطير المؤسِّسة للسياسة الإسرائيلية»، ترجمة: حافظ الجمالي وصياح الجهيم، دار عطية للنشر، 1996، ص 61.

أن الكنعانيين والفلسطينيين أصبحوا من القوة بحيث تمكّنوا من إخضاع الإسرائيليين تحت حكمهم فترات. وأن أول من أخضعهم «كوشان» ملك أرام النهرين ثماني سنوات[1]. ثم هاجمهم بنو عمون والعمالقة واستولوا على مدينة أريحا[2]. ثم حاربهم «يابين» ملك كنعان في حاصور بشدة عشرين سنة[3]. واستعبدهم بنو عمون والفلسطينيون ثماني عشرة سنة[4]. وفي أواخر عهد القضاة أوقع الفلسطينيون بالإسرائيليين هزائم شديدة حتى إنهم استولوا على تابوت العهد، وخضع الإسرائيليون إلى حكمهم أربعين سنة حتى ظهر «شمشون» فحارب الفلسطينيين[5].

خلال حكم القضاة، كانت تسودهم التفرقة، والسلطة كانت بيد الشيوخ ورؤساء العشائر أبناء العبران أي لم يكن هناك سلطة مركزية، ولا قوانين ولا غير ذلك من أشكال الحكم. لذلك أظهر اليهود تعبهم من حكم القضاة، فطلبوا من صموئيل أن يقيم عليهم ملكاً كما للممالك الكنعانية والفلسطينية ملوك. فعارضهم صموئيل في ذلك، وبعد نقاش

(1) سفرة القضاة 3/ 7ـ13.
(2) سفر القضاة 3/ 14ـ13.
(3) سفر القضاة 2/ 31ـ94.
(4) المرجع نفسه 3/ 14ـ30.
(5) المرجع نفسه 12/ 13ـ13/ 7.

وجدل طويلين اضطر إلى أن يقيم شاؤول من قبيلة بنيامين ملكاً عليهم. وفي تلك الفترة تكتل اليهود تحت حكم الملك شاؤول تجاه خطر الفلسطينيين. لقد قاتل الفلسطينيون بني إسرائيل وهزموهم، وسقط منهم قتلى في جبل الجلبوع، وضيَّق الفلسطينيون على شاؤول وبنيه حيث قتل وأولاده الثلاثة وجميع رجاله. وعندما رأى رجاله الذين في الوادي، أن شاؤول قد قتل، تركوا المدن وهربوا، وأتى الفلسطينيون وأقاموا فيها، بعد أن نزعوا سلاح جماعة شاؤول الذي دام حكمه 14 سنة (1025ـ1010ق.م)، وخلفه في الحكم داوود[1].

داوود (ع): عندما أحس شاؤول أن داوود يظهر كمنافس خطير له، وتوقع أن يكون مزاحماً كبيراً له على السلطة، قرر التخلص منه، فحكم عليه بالإعدام. لكن داوود كان يتوقع مثل هذا الحكم، وقال إني سأهلك يوماً بيد شاؤول، فلا شيء خير لي من أن أفر فراراً إلى أرض فلسطين، لأنجو بنفسي من يده. فعبر داوود مع ست مئة رجل إلى «آكيش» ملك جَتّ، وقال داوود لآكيش: إن كنت قد نلت حظوة منكم، فليعط لي مكان في إحدى مدن الريف، فأسكن هناك، فأعطاه آكيش «صقلاج» وهي تقع شمالي بئر السبع إلى

(1) حسن زعرور: «سيف داوود...»، (المرجع السابق)، ص 147.

الشرق[1]. حينذاك كان الفلسطينيون قد جمعوا جيوش معسكراتهم ليحاربوا بني إسرائيل فعبر أقطاب الفلسطينيين وعبر داوود ورجاله معهم في المؤخرة مع آكيش. على ضوء التحاق داوود بهم، قال رؤساء العشائر الفلسطينية من هم هؤلاء العبرانيون؟ فقال لهم آكيش: هذا داوود عبد ملك إسرائيل، ولم أثبت عليه شيئاً منذ هجرته إلينا إلى هذا اليوم.

فغضب عليه رؤساء العشائر وقالوا له: «ردَّ هذا الرجل وليرجع إلى المكان الذي عينته له». فدعا آكيش داوود وقال له: إنك أنت مستقيم، وإني لم أجد فيك سوءاً منذ يوم أتيتني. فأما في عيون الأقطاب فلست بصالح، فارجع الآن واذهب بسلام ولا تفعل ما يسوء في عيون أقطاب الفلسطينيين، وطلب آكيش من داوود الذهاب إلى صقلاج[2].

وعلى أثر موت شاؤول وأولاده خلال المعارك مع الفلسطينيين كان داوود في «صقلاج»، اجتمع آباء إسرائيل بداوود في حبرون قائلين له: «هوذا نحن عظمك ولحمك، حين كان شاؤول ملكاً، كنت أنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب إلهك أنت ترعى شعبي إسرائيل، وأنت تكون

(1) سفر صموئيل الأول 27/ 4ـ28/ 3.

(2) سفر صموئيل الثاني 5/ 1ـ11.

قائداً لشعبي إسرائيل». وأقبل جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك في حبرون فقطع معهم داوود عهداً أمام الرب، ومسحوا داوود ملكاً على إسرائيل بحسب قول الرب على لسان صموئيل[1].

فيما اعتلى إيشبوشت الابن الرابع لشاؤول عرش والده، وكان هذا بدء الانقسام بين أسباط بني إسرائيل. وبعد سبع سنوات مات إيشبوشت فتولى داوود الحكم على قبائل بني إسرائيل[2].

وزحف داوود على أورشليم (يبوس)، حيث كان اليبوسيون سكان تلك الأرض، الذين طلبوا من داوود عدم الدخول، لأنهم سيحاربونه حتى العميان والعرج. لكن داوود استولى على حصن صهيون، (مدينة داوود)[3]. وقد اتخذ مدينة أورشليم بعد استيلائه عليها عاصمة له، وبنى فيها قصره الملكي[4].

وتؤكد التوراة أن داوود لم يستطع طرد اليبوسيين سكان

(1) سفر الأخبار الأول 10/ 5ـ11/ 4.

(2) صالح زهر الدين: «المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية»، (المرجع السابق)، ص 11.

(3) كمال الصليبي: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1985، ص 175.

(4) سفر صموئيل الثاني 5/ 1ـ11.

أورشليم الأصليين رغم احتلالها، واليبوسيون قبيلة من القبائل الكنعانية بقوا في مدينتهم وفي أرضهم في جميع الظروف.

ولما أراد داوود أن ينشئ الهيكل المزعوم، قام بشراء قطعة أرض اختارها لهذا الغرض من أصحابها اليبوسيين[1]. تجدر الإشارة إلى أن العوامل التي ساعدت على توطيد ملك داوود وتهيئة الظروف الملائمة لبعض الاتساع هي أن أمور مصر في عهده كانت مرتبكة فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام، وكانت أمور الدولة الأشورية مرتبكة كذلك، وقد منح الواقع داوود شيئاً من الحرية والنشاط والتبسط وممارسة السيادة[2].

خلال حكم داوود أرسل حيرام ملك صور أخشاب الأرز ونجارين ونحاتين للأسوار فبنوا بيت داوود.

لقد تزوج داوود عدة زوجات بعد مجيئه من حبرون إلى أورشليم وولد له بنون وبنات، منهم سليمان[3].

إن وصول داوود إلى السلطة ونجاحه في إدارة كفة الحكم لم يكونا وليدة الصدفة، بل ثمرة تجارب روحية،

(1) أحمد شلبي: «مقارنة الأديان ـ اليهودية»، مكتبة النهضة، القاهرة 1966، ص 57.

(2) سفر صموئيل الثاني 5/ 12ـ6/ 2.

(3) عدنان حداد: «الخطر اليهودي..»، (المرجع السابق)، ص 82.

وحكمة سياسية، ومهارة عسكرية دأب أحفاد إسحاق على الاستعداد لها منذ بداوتهم الأولى.

عكف داوود على تنظيم شؤون مملكته، فاعتنى بتنمية قوتها العسكرية عن طريق تشكيل جيش نظامي مجهز العربات. وقد استغل مركز دولته الجغرافي المشرف على شؤون التبادل التجاري، فنشّط اقتصاد مملكته وركّز أسسه على دعائم متينة[1].

ولما دنا يوم وفاة داوود أوصى ابنه سليمان وقال له: «أنا ذاهب في طريق أهل الأرض كلهم، فتشدد وكن رجلاً، واحفظ أواصر الرب إلهك لتسير في طريقه، وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهادته، على ما هو مكتوب في شريعة موسى لتنجح في كل ما تعلم وحيثما توجهت»[2].

انسحب سليمان من الحياة العامة منذ تسميته خليفة لداوود بانتظار استلام الملك من بعده. واختلى مع نفسه وأهل بيته يطالع الكتب ويقرأ الشرائع.

حينذاك تأثر بعض أبناء داوود لاختيار سليمان ملكاً وهو الأصغر فيهم. وكان أكثرهم تأثراً لذلك الاختيار، الابن البكر لداوود واسمه «إبشالوم».

(1) سفر الملوك الأول: 1/ 52ـ2/ 14.

(2) حلمي علي شعبان: «سليمان»، دار الكتب العلمية، بيروت 1991، ص 20.

وإبشالوم كان رجلاً صعب المراس، عنيد المواقف، قاسي الطباع، فأراد أن يستولى على الملك بمساعدة أعوان له من بني إسرائيل وجدوا فيه صاحب الحق بالملك لأنه الابن البكر. فهو البكر وهو صاحب الحق الأول، وأنه ابن ملك وحفيد ملك. فأمه هي بنت طالوت ملك إسرائيل قبل داوود، وشقيقه سليمان كان صغير السن ليتسلم مقاليد الملك[1].

واتفق إبشالوم مع أتباعه سراً على التجمع في حبرون (مدينة الخليل)، ومن هناك ينصبونه ملكاً على إسرائيل ويعلنون معارضتهم لسليمان. وقدم إبشالوم إلى أبيه داوود وطلب الإذن بالذهاب إلى حبرون ليوفي نذراً، فسمح له داوود بذلك.

وأخذ إبشالوم يخطط مع الناقمين والطامعين في النفوذ والمناصب ليصل إلى هدفه. فأرسل الأعوان والجواسيس إلى كل أطراف البلاد ليستطلع أحوالها ويجند الأنصار في صفِّه مستغلاً طبيعة التقلب في الشعب الإسرائيلي، واستعدادهم الدائم للعصيان والتمرد. ولما كثر مؤيدو إبشالوم في حبرون أعلن نفسه ملكاً. وأخذ أنصاره وأتباعه يزدادون حتى وثق بمقدرته على القدوم إلى بيت المقدس ليحتل العرش بالقوة، ويقضي على أبيه. فجهّز جيشاً قوياً واتجه نحو بيت

(1) حلمي علي شعبان: «سليمان»، (المرجع نفسه)، ص 22.

المقدس. وعلم داوود بزحف إبشالوم وقدومه عليه محارباً، فتجنب داوود المواجهة لأن الحرب الداخلية تقسم بني إسرائيل وتسبب فناءهم. فانسحب من بيت المقدس، وقِيل إنه لجأ إلى جبل الزيتون، والبعض الآخر قال إنه عبر نهر الأردن، وقِيل إن داوود جهّز جيشاً وأرسله لمحاربة إبشالوم وطلب إليه أسره وعدم قتله، إلا أن قائد الجيش قتل إبشالوم، فآثر داوود ألا يقتله في حياته بل أوصى ابنه سليمان بقتله بعد موته ولكن حصل عكس ما كان يريد[1].

لقد مات داوود سنة 1015ق.م، وكان عمره سبعين عاماً، ودفن في مدينة داوود التي اختارها بنفسه عند أسوار أورشليم بعد أن حكم 40 سنة[2]. وبذلك خلف داوود ابنه سليمان.

سليمان (ع): استلم سليمان الحكم بعد وفاة والده (971ـ931ق.م)، وكان عمره 20 عاماً. بعد تولي الحكم قتل جميع منافسيه ليستريح من متاعبهم. ويقول اليهود إن عمله هذا لم يغضب «يهوه» إلهه الذي أحبه ووهبه الحكمة التي لم يهبها لأحد من قبله ولا من بعده[3].

(1) سفر الملوك الأول: 1/ 52ـ2/ 14.
(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الأديان والمذاهب»، (المرجع السابق)، ص 148.
(3) صالح زهر الدين: «المنطقة العربية...»، (المرجع السابق)، ص11.

صاهر سليمان فرعون «يشوشس الثاني» (984ـ950ق.م) ملك مصر، وتزوج ابنته وأتى بها إلى مدينة أورشليم ريثما يتم بناء بيته وسور أورشليم المحيط بها[1].

لقد أمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكه. وأرسل إلى حيرام، ملك صور قائلاً: «كما فعلت مع والدي داوود وأرسلت له أرزاً ليبني بيتاً لاسم الرب[2]. وها أنذا قد نويت أن أبني بيتاً كما كلَّم الرب داوود أبي قائلاً: إن ابنك الذي أقيمه مكانك على عرشك هو يبني بيتاً لاسمي». والآن عليك أن تطلب بأن يُقطع لي من أرز لبنان، وعبيدي يكونون مع عبيدك وأجرة عبيدك أقدمها إليك بحسب جميع ما ترسم لأنك تعلم أن ليس عندنا من يعرف بقطع الخشب مثل صيدون[3]. فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح فرحاً عظيماً وأرسل إلى سليمان وقال: «قد فهمت ما أرسلت إلينا، نحن نقطع خشب الأرز وخشب السرو، وعبيدي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر فأجعله أطوافاً في البحر إلى المكان الذي تسميه لي وأطرحه وأنت تنقله إلى أورشليم. أحصى سليمان جميع النزلاء الذين في أرض إسرائيل، بعد إحصاء داوود أبيه

(1) سفر الأخبار الثاني: 2/ 9ـ3/ 8.
(2) حلمي علي شعبان: «سليمان»، (المرجع السابق)، ص 38.
(3) سفر الأخبار الثاني: 2/ 9ـ3/ 8.

لهم. فكانوا مئة وخمسين ألفاً وثلاثة آلاف وست مئة. فجعل منهم سبعين ألف حامل أثقال، وثمانين ألفاً قالع حجارة في الجبل، وثلاثة آلاف وست مئة يشرفون على عمل القوم[1].

بدأ سليمان بناء الهيكل المزعوم في أورشليم في جبل «الموريا» حيث تراءى لداوود في المكان الذي أعده في بيدر أرنان اليبوسي. فبدأ البناء في الشهر الثاني، في السنة الرابعة لملكه[2]. وبعد الانتهاء من بناء الهيكل، أمرهم سليمان ببناء سور حول المدينة يحميها من غزوات الطامعين. وفي يوم الافتتاح جمع سليمان كهنة إسرائيل والناس ليحتفلوا بافتتاح الهيكل. أنجز سليمان بناء الهيكل في سبع سنوات، ونقل إليه تابوت العهد وخيمة الاجتماع.

مات سليمان بعد حكم 40 عاماً، ودفن في مدينة داوود[3]. الجدير ذكره في هذا المجال أن اليهود يستندون في تعلقهم بالقدس إلى أن هذه المدينة بناها الملك داوود، ثم أقام الملك سليمان فيها هيكل الرب، وهو قدس الأقداس

(1) لطيف إلياس لطيف: «لبنان التوراتي في اليمن»، (المرجع السابق)، ص 229.
(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الأديان والمذاهب»، (المرجع السابق)، ص 149.
(3) جريدة السفير/ملحق خاص، «فلسطين»، العدد 4، تاريخ 17 آب 2010، ص 10.

لدى اليهود قاطبة. لكن بعد ثلاث وأربعين سنة على احتلال المدينة ونحو 150 سنة على بداية التنقيب الأثري فيها لم يعثر أحد على أي دليل يشير إلى الهيكل أو إلى أي أثر يهودي فيها، بل صار من المقبول علمياً لدى أوساط واسعة من العلماء أن الإسرائيليين لم يدخلوا فلسطين بحروب ومعارك مثل معركة أريحا ومعركة عاي الواردتين في مرويات التوراة، وإنما بالتسلل التدريجي، فالحفريات دلت على أن أسوار أريحا لم تكن موجودة في العصر المفترض لدخول يوشع بن نون إليها، فهي تحطمت قبل ذلك بثلاثة قرون ولم يُعَد بناؤها. وأثبتت «كاتلين كينون» في حفرياتها التي أنجزتها بين (1952ـ1958)، أن أريحا لم تكن مأهولة قط في تلك الفترة. كذلك كانت عاي مهجورة قبل أحد عشر قرناً من عصر يوشع[1].

أما الهيكل المزعوم فهو واحدة من الخرافات التي تُضاف إلى الخرافات اليهودية الأخرى الواردة في التوراة فحتى الآن لم يكتشف اليهود أي أثر لهذا الهيكل الأسطوري.

فالتوراة تذكر أن الملك صرف في بنائه سبع سنين وقام بالعمل فيه ثلاثون ألف رجل من لبنان وآلاف العمال من أتباع سليمان، وعلى رؤوس هؤلاء كان يوجد 3300 وكيل،

(1) جريدة السفير: «فلسطين»، (المرجع نفسه)، ص 10.

كي يبنوا هيكلاً طوله 60 ذراعاً وعرضه عشرون وارتفاعه ثلاثون بحسب وصف التوراة، أي إن أبعاده 31×10,5×15 متراً، وهذه تساوي 325 متراً فقط أي مجرد شقة واسعة في أيامنا هذه[1].

من الناحية السياسية، جدد سليمان معاهدة الصداقة التي أبرمها والده داوود مع الفينيقيين، ولأول مرة بعد خروج العبرانيين من مصر، وطّد سليمان علاقته مع المصريين، وكذلك مع الحثيين والبابليين. كما عُرف عهد سليمان بالازدهار الثقافي حيث انتشرت المزامير. وسليمان ألّف ما يعرف «بنشيد الإنشاد» تلك القصائد التي تصف أطهر وأعنف ما عرف عن الحب الإلهي. وهو الذي ألّف «الامتثال»، التي أصبح بعضها شعبياً على كل شفة ولسان، لأن من خلالها تظهر الحكمة التي اشتهر بها، وكتب «أخبار الأيام» بجزءيه الأول والثاني حيث وضع كل تجارب حياته[2].

رغم تمسك سليمان بالحكمة، لم يستطع أن يمنع الكارثة من الوقوع. فالآراميون والآدوميون أخذوا يتململون ساعين للتخلص من الاحتلال الإسرائيلي.

(1) عدنان حداد: «الخطر اليهودي»، (المرجع السابق)، ص 85.

(2) قسطنطين خمار: «الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية»، المكتب التجاري، بيروت 1966، ص 14.

إن تدهور الحالة الاقتصادية، والضرائب المرتفعة، والضغط المصري، دفع سليمان إلى اعتماد القوة، وبذلك أضحى ديكتاتوراً مستبداً. رغم ذلك تساهل في اتباع الطقوس الوثنية في مملكته متغاضياً عن التقيد بالتعليمات والإرشادات التي كان قد قطع على نفسه الالتزام بها والسهر على تنفيذها، وهو في أوج شبابه، هذا الموقف حمل الشعب على التراخي والإهمال وعدم الاكتراث[1].

بعد أربعين عاماً من الولاية توفي سليمان، فخلفه ابنه «رحبعام»، فكانت فرصة انتهزها الشعب ليطالب بالإصلاح، ولكن جواب الملك كان قاسياً وظالماً. عندئذ ثارت قبائل بني إسرائيل، ففر الملك إلى أورشليم. وهكذا انفصلت إسرائيل بقبائلها العشر عن بيت داوود، والتفت في الشمال حول شقيقه «يربعام»، مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين:

- الأولى: شمالية: مملكة إسرائيل عاصمتها السامرة في نابلس، وتتألف من عشر قبائل، حكمها يربعام[2].
- الثانية: جنوبية: مملكة يهوذا عاصمتها أورشليم وتتألف

(1) يوسف الحاج: «هيكل سليمان»، بيروت 1932، ص 94.

(2) جوش مكدويل: «ثقتي في التوراة والإنجيل»، ترجمة: منيس عبد النور، طُبع في ألمانيا، (بدون تاريخ)، ص 97.

من قبيلتين يهوذا وبنامين وبقيت تحت حكم رحبعام[1].

ويسمى القسمان بمملكتي يهوذا وإسرائيل، وقد كان هذا الانقسام شراً عليهم إذ وقعت المملكتان في حروب دموية. لقد حكم في كل من المملكتين 19 ملكاً، وانتقل الملك في ذرية سليمان في مملكة يهوذا فيما تنقّل في عدد من الأسر في مملكة إسرائيل.

إن مملكة سليمان، مزقها القلق، وسادتها الاضطرابات، وبموت سليمان فتك بها الفقر والذل، نكست رؤوسها لأهل البلاد الأصليين. فكان الكيد والدسيسة سلاح بعضهم، وكان الغدر والبطش سلاح البعض الآخر[2].

لقد كانت الحرب سجالاً بين المملكتين، منذ البداية واستمرت طوال وجودهما مما أضعف كلتيهما[3]. هذا عدا الغزوات التي كانت المملكتان معرضتين لها من الخارج. فأول من غزا مملكة يهوذا شيشنق الأول ملك مصر عام 926ق.م، وأخذ الذهب وخزائن الرب، وخزائن بيت الملك، التي عملها سليمان.

وفي زمن يهورام ملك يهوذا الرابع (848ـ841ق.م)،

(1) جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية..»، (المرجع السابق)، ص 88.
(2) حسن زعرور: «سيف داوود...»، (المرجع السابق)، ص 166.
(3) جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية..»، (المرجع السابق)، ص 91.

انفصل بنو أدوم عن مملكة يهوذا ونصّبو على أنفسهم ملكاً. وفي زمنه أيضاً صعد الفلسطينيون والعرب الذين بجانب الكوشيين إلى يهوذا وافتتحوها، فاستولوا على كل الأموال الموجودة في بيت الملك وسبوا أبناءه ونساءه أيضاً. وفي زمن «يوآش» غزا الجيش الآرامي أورشليم، وأهلك كل الرؤساء، وأخذ جميع الخزائن وقدّمها «لحزائيل» ملك الآراميين. وفي عهد «أمصيا» ملك يهوذا (796ـ767ق.م)، هجم يهواش ملك إسرائيل على أورشليم فهدم سورها وأخذ كل الذهب والفضة[1]. وفي عهد ازدهار مملكة دمشق الآرامية أصبحت كلتا المملكتين، إسرائيل ويهوذا، تحت سيطرتها. فأخذ الملك «هداد» ملك دمشق (870ـ843ق.م)، الجزية من يهوذا وضم منطقة جلعاد في شرقي الأردن إلى المملكة الآرامية. كما أنه فرض الحماية الآرامية على إسرائيل في عهد ملكها «آخاب بن عومري» (874ـ853ق.م).

وكان الآراميون يستغلون الخلاف بين إسرائيل ويهوذا لإخضاع كليهما إلى نفوذهم[2].

(1) جورجي كنعان: «محمد واليهودية...»، (المرجع السابق)، ص 263.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «المدخل إلى دراسة الأديان..»، (المرجع السابق)، 150.

ثم تحركت الامبراطورية الآشورية متعطشة لاحتلال المنطقة، فاصطدمت بالآراميين، وبدأ الصراع بينهما على السيطرة، فاستغل الآشوريون الصراع القائم بين الآراميين وبين إسرائيل ويهوذا للإنقضاض عليهم جميعاً، فأخضعوهم كلهم أخيراً الواحد بعد الآخر.

المعتقدات الدينية لليهود

الدين اليهودي عصب العنصرية اليهودية، وهو دين يختلف اختلافاً بيِّناً من حيث طبيعته ونشأته وتاريخه عن الأديان الأخرى.

فهو مجموعة من العقائد والطقوس وقواعد السلوك والأخلاق. تراكمت وتبلورت ونضجت على مدى آلاف السنين.

وتشتمل الديانة اليهودية على فلسفة أخلاقية تصف بأسلوب مفصّل كيف ينبغي أن يعيش الإنسان في دنيا هي هبة الله تعالى للبشر. وتصر على قيام نظام ينظم سلوك الإنسان لأن الأعمال الصالحة وحب البشر والاستمتاع بالحياة هي مفاتيح الحياة[1].

واليهودية معتقد يختلف عن معظم المعتقدات والأديان، هي دين مغلق، فلا يحق لأي إنسان أن يعتنق اليهودية،

(1) هنادي الحاج: «الأديان من أولها إلى خاتمها»، (المرجع السابق)، ص 9.

ومازالت محاكم إسرائيل ترفض الاعتراف بيهودية مواطنيها من أب يهودي وأم غير يهودية.

وقد استطاع معتنقو اليهودية أن يحافظوا على دينهم وعرقهم، فلم يندمجوا في المجتمعات التي عاشوا معها في كل البلدان، وانعزلوا، وحافظوا على لغتهم وديانتهم وتقاليدهم وسلوكهم المبني على مبدأ واحد هو استغلال الشعوب الأخرى بأية وسيلة، فهم وحدهم «شعب الله المختار» وجميع الشعوب إنما خلقت لتخدم ذلك الشعب[1].

لم يستطع بنو إسرائيل الاستقرار على عبادة الله الواحد الأحد الذي دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعددية والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم[2].

ولم يتخلوا عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطع موسى أن يمنعهم من عبادة العجل الذهبي لأنها كانت حية في ذاكرتهم منذ أن كانوا في مصر.

وبقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى آخر.

(1) خديجة صفا: «من هم اليهود؟»، (بدون تاريخ)، ص 32.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «المدخل إلى دراسة الأديان»، (المرجع السابق)، ص 151.

وفي عهد القضاة تأثر بنو إسرائيل بمعبودات الكنعانيين كثيراً. وأصبح بعل معبوداً لبني إسرائيل في كثير من قراهم. وفي أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد فيه تمثال «يهوه» وتمثال بعل، وقد ظل ذلك إلى عهد يوشع[1].

وصفات «يهوه» عند بني إسرائيل تختلف عن صفات الإله المعبود. فهو ليس خالقاً لهم، إنما هو مخلوق لهم. وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم، وكثيراً ما يأتمر بأوامرهم. وفيه صفات الحرب إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، كما أنه أمرهم بالسرقة إذا أرادوها. ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه، وليس معصوماً وكثيراً ما يقع في الخطأ، ثم يندم على ما فعل. ويهوه إله قاس مدمر، متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعوب، بل هو إله بني إسرائيل فقط. وهو بهذا عدو لغيره من الآلهة، كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى[2].

وهكذا يتبين أن اليهود أكثر شعب شرّح دينه وعقيدته

(1) رشاد عبد الله الشامي: «إشكالية الهوية في إسرائيل»، عالم المعرفة، العدد 224، تاريخ آب 1997، ص 253.

(2) سهيل ذيب: «التوراة بين الوثنية والتوحيد»، دار النفائس، بيروت 1985، ص 115.

تشريحاً لا رحمة فيه ولا شفقة، وبلا هوادة وجرده من كل أسراره ورموزه، وحتى من صفته الدينية[1].

أما إذا أردنا تتبع الأدوار التاريخية حسب تسلسلها الزمني فيتوجب علينا التمييز بين عصر إبراهيم الخليل ويعقوب (إسرائيل)، وبين زمن قوم موسى، وبين مملكة يهوذا الذين جاء اسم يهود منهم. وسميت اليهودية بذلك نسبة إلى يهوذا بن يعقوب الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل الذين بعث فيهم موسى، فقلب العرب الذال دالاً[2].

وحسب أدوارهم كما ذكرهم القرآن الكريم، فإبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكانت اللغة في زمنه لغة واحدة، (اللغة الأم) يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية المنتشرون في أنحاء الشرق الأدنى. ثم جاء الدور الثاني بعد حوالى سبع مئة عام هو دور موسى وجماعته عندما نزحت هذه الجماعة إلى أرض كنعان. ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة «قوم موسى»، كما ورد اسمهم في القرآن الكريم[3].

(1) بنيامين فريدمان: «يهود اليوم ليسوا يهوداً»، ترجمة: زهدي الفاتح، دار النفائس 1988، ص 22.

(2) أحمد سوسة: «أيوب واليهود»، (المرجع السابق)، ص 155.

(3) أحمد سوسة: (المرجع نفسه)، ص 158.

أما الدور الثالث فهو الدور الذي يبدأ بسبي اليهود إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد (586ـ539ق.م). وهؤلاء هم بقايا جماعة يهوذا، وقد سمّوا باليهودية نسبة إلى مملكة يهوذا، وقد كان لهؤلاء في هذا الدور الأخير النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية. ففي بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة، والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي، حتى يُقال إن السبي البابلي كان عاملاً قوياً في تطوير الديانة اليهودية. وفي هذا الدور بالذات دوّنت أهم فصول التوراة، دوّنها الكهنة اليهود باللغة العبرية المعروفة بآرامية التوراة. وكان يهدف هؤلاء إلى تمجيد تاريخ «الزمرة» اليهودية التي كانوا يعيشون وسطها وهم منها وجعلها صفوة الأقوام البشرية والجماعة المختارة التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب[1]. ولتحقيق هذا الهدف كان لا بدَّ من إرجاع أصل هذه الجماعة اليهودية إلى أقدس شخصية في التاريخ القديم، أي إبراهيم الخليل[2]. أما الهدف الثاني، فهو تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها.

(1) برنارد لويس: «نصّان يهوديان حول بداية الإسلام»، ترجمة: نبيل فياض، دار الفنون للطباعة والنشر، بيروت 2004، ص 86.

(2) أحمد سوسة: «العرب واليهود»، (المرجع السابق)، ص 159.

ويتضح مما تقدم أن التوراة قد كتبت بعد إبراهيم بألف وثلاث مئة عام، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى في عصره[1].

وقد ندّد عيسى بن مريم (ع)، بأعمال من سمّاهم بالكتبة «الفريسيين والناموسيين»، وأنذرهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة ومبالغتهم في التمسك بالدنيا[2].

كما أن القرآن الكريم أشار إلى أن اليهود قد حرّفوا التوراة، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[4]. فقد أصبح التحريف واضحاً في مدونات اليهود، كما أخفى اليهود ما ألزمهم بعبادة الله الواحد الأحد، وما أجبرهم على الالتصاق بشريعة موسى، لذلك

(1) إنجيل متى، الفصل 33.
(2) «القرآن الكريم»، سورة البقرة، الآية 79.
(3) «القرآن الكريم»، سورة الأنعام، الآية 91.
(4) «القرآن الكريم»، سورة الأنعام، الآية 91.

أنزل بهم الله تعالى قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[1].

اليهود يمجّدون تعلقهم بدين آبائهم بوصفه دليلاً على قدرتهم الفائقة على المثابرة، حين تكون القضية بالنسبة إليهم دحض الخصوم الذين يعتبرون تحررهم مستحيلاً، يسمّون دينهم ببساطة السند الأقوى للفضائل المدنية والاجتماعية[2].

كان اليهود يشتركون في الاعتقاد بأنهم شعب الله المختار، والتاريخ هو تاريخ شعب إسرائيل في المقام الأول، وهو تاريخ البشرية بصفة عامة. لذلك يجب على الملوك والحكام أن يبذلوا جهدهم في السهر على رفاهية الشعب المختار[3].

ـ التوراة: التوراة كلمة عبرية مشتقة من الآرامية تعني الشريعة، ويطلق عليها أيضاً أسفار موسى الخمسة، لأن موسى بحسب التقليد، هو المشترع والوسيط الذي على يده حصل إسرائيل على هذه الشريعة، وتحتوي شريعة موسى من جهة على روايات وتقاليد قصصية، ومن جهة أخرى على

(1) كارل ماركس: «حول المسألة اليهودية»، دار الحقيقة، بيروت (بدون تاريخ)، ص 76.

(2) البان ج. ويدجيري: «المذاهب الكبرى في التاريخ»، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت 1979، ص 122.

(3) «الكتاب المقدس»، العهد القديم، دار المشرق..

شرائع بحصر المعنى وتقاليد اشتراعية أثرت في مراحل تكوين شعب إسرائيل.

أما عناوين أسفار التوراة الخمسة التي تكوّن التوراة، فهي مترجمة عن اليونانية، وتشير إلى محتوياتها، فهناك تكوين السماء والأرض وخروج بني إسرائيل من مصر، ودور الأحبار في تشريع العبادة، وإحصاء عدد الأسباط، وتثنية الاشتراع وهي تكرار للشريعة . لكن التقليد العبري يكتفي بتسمية كل من الأسفار الخمسة بأول كلمة عبرية منها. فلهذه الشريعة ولهذا التاريخ وحدة عميقة[1]. والأسفار الخمسة تشكِّل مجموعة روحية متماسكة ترتبط حول بعض المواضيع الكبرى: التكوين أو الخلق، الخروج، اللاويين أو التوابين، الأخبار، العدد، التثنية، ويطلق عليه اسم أسفار موسى.

ـ أسفار موسى[2]

1 ـ سفر التكوين: وفيه تاريخ بدء الخليفة وتاريخ العالم حتى عهد النبي يوسف، وهو سفر تاريخي فيه أقاصيص وعِبَر تحكي هجرة أجداد العبرانيين إلى فلسطين ثم إلى مصر.

2 ـ سفر الخروج: وفيه تاريخ اليهود منذ خروجهم من

(1) الكتاب المقدس: العهد القديم، (المرجع السابق)، ص 60.

(2) الكتاب المقدس: المرجع نفسه، ص 60.

مصر، وفيه مختصر الشريعة التي لقّنهم فيها موسى شريعته في جبل سيناء ومن ضمنها الوصايا العشر.

3 ـ **سفر اللاويين (التوابين)**: ويحتوي على طقوس الكهنة أبناء لاوي وفيه العبادات والأخلاق والنكاح وغير ذلك من شرائع اليهود.

4 ـ **سفر الأعداد**: وفيه إيضاح لتجوال إسرائيل في الصحراء وغزوهم أرض كنعان وتقسيم الأراضي بينهم وتعدادهم.

5 ـ **سفر التثنية (الاشتراع)**: وفيه عرض تاريخي سريع، ونصائح أخلاقية وتشريعات خاصة، وتبريك موسى لقومه ثم وفاته، وأرض الميعاد على مرأى عينيه.

ـ أسفار الأنبياء نوعان:

أسفار الأنبياء المتقدمين وتناولت تاريخ اليهود منذ دخول يوشع فلسطين حتى هدم الهيكل: يشوع بن نون، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني.

ـ أسفار الأنبياء المتأخرين: أشعيا، إرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، يونس، ميخا، حبقوق، صغنيا، حجى، زكريا، ملاخي[1].

التوراة أول كتاب سماوي فصلت فيه الأحكام. يعترف

(1) هنادي الحاج: «الأديان...»، (المرجع السابق)، ص ص 23-24.

الإسلام بالتوراة التي أنزلت على موسى، ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم. ويقرر التاريخ أن موسى كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحتين والتابوت.

أما التوراة المتداولة في الوقت الحاضر فقد دوّنت بعد إبراهيم الخليل بـ 1300 عام، وبعد عهد موسى بأكثر من 700 عام، وهي بالطبع غير التي نزلت على موسى، لأن التوراة المتداولة اليوم محرفة وأضيف إليها ما اتفق مع رغبات ونزعات وميول الكتبة مارة بعدة أدوار من الرواية الشفوية.

وما في التوراة من طقوس ووصايا مأخوذ كله عن المصريين مما يدل على أن كاتبيها غلبت عليهم الديانة المصرية، لأنهم بعد أن انحرفت معتقدات اليهود وطبائعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية وكتبوا غيرها مما يتناسب وما يريدون من تاريخ وعقيدة[1].

ومن المؤكد أن محاولات روايتها لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد. وظلت هذه الشرائع تروى بلا رقيب ولا حسيب، وتسودها الفوضى حتى القرن الأول قبل الميلاد، حتى بذل أول جهد في إقرارها من قِبل اليهودي «هليل» رئيس المجلس الديني الأعلى أيام

(1) عبد الرزاق محمد أسود: «الأديان والمذاهب»، (المرجع السابق)، ص ص 160ـ161.

(هيرودوس) الذي خطط لتقسيم هذه المرويات إلى أقسامها الستة. ثم جاء من بعده من نظم التفاصيل الجزئية، وأكمل نصوصها وأضاف إليها مزيداً من الأحكام.

أما الذي دوّنها كتابة في وضعها المعروف فهو «يهودا هاناس» في نهاية القرن الثاني الميلادي[1].

والتوراة عند عرضها للحوادث التاريخية، لم تحدد التسلسل الزمني، ولم تنسق الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك لكي يلتبس الأمر على القارئ، فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها. والأرجح أن مدوني التوراة تعمدوا ذلك لترك المجال لإرجاع تاريخهم، وهم بقايا بيت يهوذا، إلى أزمنة قديمة لم يكن لهم أية صلة بها، فخلطوا بين أدوار تفصل بينها عدة قرون، إذ ربطوا أحداثاً تعود إلى عصور متباعدة وعدّوها عصراً واحداً.

وعلى سبيل المثال، ذكروا في التوراة أن إبراهيم الخليل ذهب إلى «أبيمالك» ملك الفلستينيين في جرار وتغرّب في أرضهم، ومثل ذلك ورد عن ابنه إسحاق وصلته بأبيمالك المذكور. هذا في حين أن عهد إبراهيم الخليل كان يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، بينما يرجع عصر الفلستينيين الذين سميت أرض فلسطين باسمهم إلى القرن الثاني عشر

(1) عبد الرزاق محمد أسود: (المرجع نفسه)، ص 161.

قبل الميلاد. وهذا ما يجعل فاصلاً بين عهد إبراهيم الخليل وعهد الفلسطينيين يمتد حوالى سبعة قرون من الزمن[1].

والغاية الأساسية التي كان يرمي إليها مدوّنو التوراة من وراء ربط عصر اليهود بعصر إبراهيم الخليل وتأكيدها ذلك مراراً في سفر التكوين هي إرجاع تاريخ بقايا بيت يهوذا وعزو نسبهم إلى إبراهيم الخليل مباشرة، واعتبار إبراهيم الخليل الذي كانت قد انتشرت شهرته في الآفاق في تلك الأزمان كنبي عظيم رئيسهم الأعلى قبل أن يظهروا إلى عالم الوجود. وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية، قديماً وحديثاً، أن إبراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود إلى فلسطين، في حين أن اليهود ظهروا بعد إبراهيم بأكثر من ألف عام. وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب تواريخها.

ـ التلمود: هو رواية شفوية تناقلها الحاخامات حتى جمعها الحاخام «يوضاس» سنة 150م، في كتاب أسماه «المشنا» أي الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالإيضاح والتفسير. وقد أتم «الراباي يهوذا» سنة 216م، تدوين زيادات وروايات شفوية. وقد تمّ شرح هذه «المشنا» في

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرجع السابق)، ص 181.

كتاب سمّي «جمارا»، ومن المشنا والجمارا يتكوّن التلمود، ويحتل منزلة التوراة[1].

يعتبر كتاب التلمود عند اليهود جزءاً من أحكام الديانة اليهودية. ويشمل مجموع المناقشات الدينية الأولى مع شروح لرجال الدين، فيه القوانين اليهودية، من قانون عقوبات وقوانين مدنية.

وأصل كلمة «تلمود» في العبرية «لاماد» أي يعلم. ويزعم اليهود أن هذه التقاليد والتعاليم ألقاها شفاهية النبي موسى على شعبه حين كان على الجبل، وأعطيت لهم ثم تداولها هارون وأليعازر ويوشع وسلموها للأنبياء. ثم انتقلت منهم إلى أعضاء المجمع العلمي الأعلى وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح[2].

وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض، وجعل الناس عبيداً لليهود على اعتبار أنهم شعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض، كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها له إلهه

(1) هنادي الحاج: «الأديان. . .»، (المرجع السابق)، 26.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، الدار العربية للموسوعات، المجلد الأول، ص 91.

الخاص دون الآخرين من الناس[1]. لذلك كانوا حريصين أن لا يطلع على التلمود غيرهم إلا من يأمنون جانبه من غير اليهود ممن يؤيد نزعاتهم وميولهم خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضد اليهود. وقد أخفوه أربعة عشر قرناً منذ أن وضعه خاقاموهم. ففي سنة 1242م، أمرت الحكومة الفرنسية في باريس بإحراق التلمود علناً، وقد تمّ حرقه عشرات المرات في مختلف الأزمان والأقطار.

واشتغل كثيرون من اليهود بالفلسفة بروح حرّة في زمن العرب، واهتم آخرون في شرح التوراة والتلمود على أساس عقلي. فيشير الأخباريون إلى أن حاخاماً من حاخامي العراق اسمه «حنان بن داوود»، ثار على التلمود ودعا للاكتفاء بالتوراة، وأنشأ في بغداد العباسية طائفة يهودية جديدة هي القرائية، بلغ عدد أتباعها نحو عشرة آلاف شخص[2].

لقد عاش اليهود مرحلة مخاض طويلة بين التعددية والتوحيد دامت حوالى أربع مئة سنة. وكانت الصعوبة عندهم تتمثل بتسمية الإله أي المحاولات الآيلة إلى تجريده.

(1) محمد مراد: «المدارس التاريخية الكبرى»، مكتبة الفقيه، بيروت 1996، ص 50.

(2) جبران نقولا: «في العالم اليهودي، فلسطين»، القدس 1935، ص16.

وبالفعل فقد انقسم اليهود حول اسم الإله إلى فئتين أو إلى اتجاهين: الأول يمثل الموحدين الذين نادوا بالرب الإله خالق السموات والأرض وهو الله وحسب. والثاني يمثل التعدديين الذين تحولوا إلى التوحيد وذلك في مرحلة انتصر فيها أحد الآلهة على الآخرين. من هنا تعددت أسماء الآلهة في التفسيرات اليهودية المختلفة، إيل: أي الله الخالق للسموات والأرض، إيلوهيم: أي الآلهة بصيغة الجمع، أدوناي أي سيدي، ويهوه وهو اسم أحد الآلهة القبلية عند العبرانيين[1].

(1) محمد مراد: «المدارس التاريخية الكبرى»، (المرجع السابق)، ص ص 43ـ44.

الفصل الثاني

فلسطين والغزوات الخارجية قبل الميلاد

الغزو الآشوري
وسقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا

عندما بدأ عهد يربعام (933ـ912ق.م)، اندلع القتال اليهودي اليهودي، بين القبائل اليهودية الشمالية والقبائل اليهودية الجنوبية. وفي عهد «أحاز بن ويثام» ملك أورشليم قتلت إسرائيل من يهوذا مئة وعشرين ألفاً في يوم واحد وسبي مئتي ألف شخص منهم إلى السامرة عاصمة إسرائيل حينذاك، ونهبوا أملاكهم، بعد أن كان بنو إسرائيل قد طوروا حالهم، حيث كانت أورشليم من أشهر المدن، تشتت شملهم وذاقوا الذل والهوان عند باقي الشعوب الوثنية[1].

وفي سنة 732ق.م، قام الملك الآشوري «تجلات بلاشر الثالث» بحملة عسكرية على مملكة آرام، فاستولى على عاصمتها دمشق، ثم توجه إلى إسرائيل فاستولى على كل أراضيها في عهد ملكها «فقح» (739ـ731ق.م)، وسبى

(1) حسن زعرور: «سيف داوود...»، (المرجع السابق)، ص 166.

اليهود إلى آشور، وأحل محلهم سكاناً من أقاليم أخرى تاركاً لخلف «فقح» الملك «هوشع» مدينة السامرة[1]. وقد قام تجلاث بلاشر الثالث الآشوري بهذه الحملة استجابة إلى طلب «آحاز بن يوثام» ملك يهوذا (735ـ715ق.م) من القائد الآشوري لإنقاذه من ضغط الملك «رحين» ملك دمشق، والملك «فقح» ملك إسرائيل، وقدَّم ملك يهوذا إلى آشور كميات كبيرة من الفضة والذهب[2].

وتبعاً للخطة التي سار عليها «تجلاث بلاشر الثالث» أجلبى «سرجون الثاني» 27280 شخصاً من اليهود إلى بلاد آشور، وأسكنهم في حَلاَحَ، وعلى ضفة الخابور، نهر جوزات بالقرب من حاران في الشمال الأقصى لبلاد ما بين النهرين، وفي مدن ميديا شرق بلاد ما بين النهرين. وقد أسكن محلهم العرب سنة 715ق.م، وبعض الأهالي من كوثا وبابل سنة 709ق.م[3].

بعد سقوط مملكة إسرائيل، بقيت مملكة يهوذا تنتظر

(1) سفر الملوك الثاني 16/ 19ـ17ـ9.

(2) سهيل ذيب: «التوراة بين الوثنية والتوحيد»، دار النفائس، بيروت 1985، ص 76.

(3) فيليب. ل. تومبسون: «هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين، القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003، ص 33.

دورها. ولكن «حزقيا» ملك يهوذا بدأ يعد المؤامرة على الملك الآشوري سنة 715ق.م، واتصل بفرعون مصر لمساعدته. وقد بعثت مصر بجيش من المصريين والأثيوبيين فاستولوا على عسقلان، ثم اتجهوا شمالاً للاتصال بقوات حزقيا، ملك يهوذا، إلا أن «سنحاريب» ملك الآشوريين قابلهم وانتصر عليهم، ثم توجه إلى عقرون فهدمها وأخذ يحتل مدن يهوذا الواحدة تلو الأخرى، باستثناء مدينة أورشليم[1]. ونقل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور سنة 701ق.م، ولكنه احتفظ بعرشه بعد أن دفع الجزية، واعترف بسيادة الآشوريين، وبقي هذا الاعتراف حتى انهيار الدولة الآشورية حيث ولدت الدولة البابلية الكلدانية على أنقاضها[2]. وقد أخذت مصر تحرض الشعوب التي تعيش تحت إمرة الدولة الكلدانية الجديدة على الثورات ضدها محاولة إسقاطها، مما دفع «صدقيا» ملك يهوذا سنة 589 ق.م إلى الالتحاق بالمصريين بتحريض من «حوفرا» ملك مصر، حيث رفض ملك يهوذا الولاء إلى «نبوخذ نصر» الكلداني، وهكذا فقد وضع «صدقيا» مصيره مع مصر.

(4) فيليب حتى: «تاريخ العرب»، دار غندور للطباعة والنشر، بيروت، ص 71.

(5) توماس تومبسون: «القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003، ص 118.

فغضب نبوخذ نصر غضباً شديداً وزحف وجميع جيوشه على أورشليم وحاصرها سنة 587ق.م وبنى حولها تحصينات[1]. إلا أن دخول «حوفرا» ملك مصر إلى فلسطين دعا البابليين إلى رفع الحصار لمحاربته، فظن اليهود أن النصر بات حليفهم، ولكن بعد أن تمكن البابليون من صد المصريين وأرجعوهم على أعقابهم، ثم أعادوا بسط الحصار على أورشليم، ولم يمضِ وقت طويل حتى تفشت المجاعة والوباء في المدينة، مما اضطر اليهود إلى أن يرضخوا ويستسلموا، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من شهر تموز سنة 586ق.م.

أما صدقيا، فهرب هو وأفراد عائلته. ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه إلى «ربله» مقر معسكر الملك نبوخذ نصر، وهناك ذبح أولاده أمام عينيه، ثم فقئت عيناه، وأخذ مكبلاً إلى بابل، وقد قدر عدد الأسرى الذي سيقوا إلى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحوالى 50,000 شخص[2].

لقد تمّ القضاء على مملكتي إسرائيل ويهوذا، وقد كان عدد الملوك الذين حكموا في كل منهما عشرين ملكاً، فدام حكم إسرائيل 209 سنوات وذلك بين سنة (931

(1) سفر الملوك الثاني: 24/ 19ـ25/ 15.

(2) أحمد سوسة: «العرب واليهود..»، (المرجع السابق)، ص 315.

و724ق.م). وقد دام حكم يهوذا 345 سنة وذلك بين سنة (931 و586ق.م)[1].

وبعد وفاة نبوخذ نصر سنة 562 ق.م. خلفه على العرش ملوك ضعفاء حتى سقطت الدولة الكلدانية بيد الملك الفارسي «قورش» الذي استولى على بابل.

اليهود خلال الحكم الفارسي

استفاد اليهود أثناء وجودهم في السبي في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم، فاقتبسوا الكثير منها خصوصاً ما يتعلق بفنون الزراعة والتجارة[2]. فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم بما في ذلك أساليب شق الجداول وتطهيرها وطرق الإرواء. وفي بابل مارسوا شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم ومنها كان نشوء التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي، بحيث إن السبي البابلي كان عاملاً قوياً في تطور الدين اليهودي في القرون التالية[3].

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود..»، (المرجع السابق)، ص 316.
(2) عباس محمود العقاد: «الصهيونية وقضية فلسطين»، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا، (بدون تاريخ).
(3) أحمد سوسة: «العرب واليهود..»، (المرجع السابق)، ص 324.

وبعد وفاة نبوخذ نصر سنة 562ق.م، خلفه على العرش ملوك ضعفاء حتى سقطت الدولة الكلدانية بيد الملك الفارسي «قورش» (539ـ538ق.م)، الذي استولى على بابل[1]. ثم سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم. وقد اعترفت تلك المناطق بالحكم الفارسي الجديد. وأصبحت دويلات سورية وفلسطين جزءاً من امبراطورية عظيمة تعتبر من أكبر الامبراطوريات التي عرفها العالم القديم.

وشهدت فلسطين مع بداية حكم الفرس لها رجوع بعض يهود السبي من بابل[2]. فقد أصدر قورش مرسوماً بعد احتلاله المدينة يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين. وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذ نصر[3]. وقد عاد حوالى خمسين ألفاً إلى فلسطين، حيث احتدم النزاع بين العائدين والمقيمين، سواء أكان بسبب السيطرة على الأرض أو من أجل الوصول إلى السلطة. والذي زاد الأمور تعقيداً هو أن بعض العائدين قد تركوا زوجاتهم في بلاد فارس،

(1) منير ماشوش: «الصهيونية»، دار المسيرة، بيروت 1979، ص 10.
(2) أحمد صدقي الدهان: «نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين»، مجلة شؤون فلسطين، العدد 77/نيسان 1978، ص 122.
(3) موريس دونان: «بيبلوس، تاريخها وآثارها وأساطيرها، «ترجمة: أنيس عكره، منشورات ميادون جبيل ـ لبنان 1998، ص 36.

واتخذوا لأنفسهم زوجات وثنيات من أرض فلسطين نفسها، مما هيأ عودة عبادة الأوثان من جديد[1].

وكان زعيم اليهود العائدين «روزو بابل»، وهو من سلالة أحد ملوك اليهود. وقد أرجع معه كنوز الهيكل التي نهبها نبوخذ نصر. واعترفت به الجماعة العائدة حاكماً عليها لبعض الوقت. فشرع «روزو بابل» في بناء الهيكل إلا أن الأقوام المجاورة كالحوريين والحثيين والأدوميين احتجوا على ذلك وهددوا بالعصيان، فأصدر «سحر ديس» خلف قمبيز الثاني سنة 522ق.م. أمراً بتوقيف عملية البناء. ولكن «داريوس» أتاح لهم ذلك، وأتموا بناء الهيكل على عهده سنة 515ق.م، على نفقة الدولة، وأحاط الهيكل بسور.

ولما عاد الإسرائيليون من بابل تحت قيادة «روزو بابل» أُطلق اسم يهودا على المكان الذي عادوا إليه وسموا أنفسهم اليهود لتمييزهم عن سواهم من الإسرائيليين، وقسّموا المنطقة إلى أربعة أقاليم، وصارت أشبه ما تكون بالجمهورية منها بالملكية، يحكمها حاخام كبير بإمرته مكوّن من (72 شخصاً). بقي في ظل هذه المملكة، وتحت حماية الدولة الفارسية[2].

(1) كمال الصليبي: «التوراة جاءت من الجزيرة العربية»، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، ص 43.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 17.

وفي عهد أرتحششتا الأول (465ـ424ق.م)، عاد فريقان آخران من اليهود المسبيين أحدهما برئاسة «نحميا» والآخر برئاسة «عزرا». ويلفت النظر البرنامج العنصري الذي سارا عليه، وأدخلاه العقيدة الدينية، والذي كان منه وجوب طلاق الزوجات غير اليهوديات، وإعلان أبنائهن غير شرعيين. وحلت اللغة الآرامية محل اللغة العبرية كلغة دارجة، وفي المراسلات الرسمية بين اليهود، وظلّت العبرية تستخدم كلغة دينية[1].

استمر الحكم الفارسي لفلسطين والمنطقة نحو قرنين. وقد استطاع أن يستميل إليه أهل البلاد بما وفر من استقلال نسبي لهم، وما حققه من تنظيم، حيث عبّد الطرق ونظّم البريد وصك النقود. بقي اليهود في حماية الدولة الفارسية حتى أغار عليهم الإسكندر المقدوني. ولما وصلت جيوشه إلى مشارف مدينة أورشليم خرج إليه الحاخام الأكبر في موكب واستقبله استقبالاً كريماً.

(1) أحمد صدقي الدجاني: «نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين»، مجلة شؤون فلسطينية، (المرجع السابق)، ص 123.

الإسكندر المقدوني في فلسطين

في العام 332ق.م، وجّه الإسكندر المقدوني أنظاره نحو الشرق لغزو الامبراطورية الفارسية، واستطاع أن يحققَ ذلك، حيث كانت نهاية الحكم الفارسي في فلسطين والمنطقة. لقد خرج الإسكندر المقدوني على رأس جيش يراوح عدده بين ثلاثين وأربعين ألفاً، من قبرص وهاجم الامبراطورية الفارسية، حيث عبر مضيق الدردنيل إلى آسيا الصغرى، ومنها إلى كليكيا، فمناطق السهول حيث انتصر في معركة أيسوس عام 323ق.م، على داريوس الثالث انتصاراً حاسماً. وتخليداً لهذا الانتصار أمر ببناء مدينة الإسكندرية[1]. ثم اندفع باتجاه الجنوب، فاستسلمت له المدن الفينيقية الساحلية حتى وصل إلى صور التي قاومت بشدة، حيث فتحها بعد سبعة أشهر وانتقم من أهلها.

وفُتحت الطريق أمامه إلى ساحل فلسطين فاحتله حتى وصل إلى غزة التي قاومت بدورها ببطولة وصمدت شهرين

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى: «اليونان، مقدمة في التاريخ الحضاري»، دار النهضة العربية، بيروت 1979، ص 186.

أمام حصاره المحكم لها[1]. ثم دخلها الإسكندر مصاباً بجروح طفيفة، ونكّل بأهلها واستولى على كنوزها وثرواتها، واستكمل سيطرته على فلسطين. ولما وصلت جيوشه إلى مشارف مدينة أورشليم، خرج إليه الحاخام الأكبر في موكب واستقبله استقبالاً كريماً وأدخله المدينة بسلام. وأطلعه على نبوءة تقول، إن الإسكندر سيغلب الفرس، لذلك فرح الإسكندر وعامل اليهود بالحسنى وعفاهم من الضرائب سبع سنين[2]. وعندما مات الإسكندر في 323ق.م قسمت مملكته الواسعة إلى عدة ممالك، وانتقل حكمها إلى قواده[3]. وكانت فلسطين من حصة القائد «لاميدون»، وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دامية برز من خلالها أربعة قواد على رأس أربع دول هم «بطليموس» في مصر، وسلوقس في مرزبانه بابل التي تضم سورية، و«إنيتفوس» في آسيا الصغرى، و«أنيباتز» في مقدونيا، وقد نجح بطليموس في أخذ فلسطين

(1) محمد عبد السلام كفافي: «في أدب الفرس وحضارتهم»، بيروت 1967، ص 146.

(2) أحمد صدقي الدجاني: «نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين»، (المرجع السابق)، ص 124.

(3) جون سترينج: «الملك هيرود وأورشليم، كتاب القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 147.

من لاميدون، وغزا أنيتفوس سورية واستولى عليها ووصل إلى غزة، فدمر الهيكل، ونهب خزائنه وأجبر اليهود على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية. وأمر أن ينصّب تمثال «جيوبيتر» في وسط المعبد اليهودي، وأن يضحّوا بالخنازير، وقتل منهم عدداً كبيراً.

حيال ذلك أخذ الصراع بين اليهودية والإغريقية يشتد يوماً بعد يوم حتى اندلعت ثورة المكابيين[1].

وقد نظم يهوذا وإخوته عصابات غير نظامية تعمل في التلال وتتجنب المواجهة المباشرة مع قوات الحكومة. وقد نجحت هذه العصابات في إنزال ضربات قتالية بجنود «أنتيفوس»، كان أولها تصديهم لحاكم نابلس «أبولونيوس» وقتله. وبعد عدة معارك نجحت في السيطرة على القدس. فطهّر اليهود هيكلهم وأعادوا المذابح اليومية.

وقد كانت ثورة المكابيين في بدايتها ذات طابع ديني ولم تلبث أن تطورت إلى ثورة سياسية، وقد توجهت في وقت واحد ضد القوات الحكومية، وضد أنصار الثقافة الجديدة «الهلنستية» من اليهود، وانتصرت في المجالين.

ويلاحظ أن الدولة السلوقية كانت قبل نشوب هذه الثورة

(1) وليم لانجر: «موسوعة تاريخ العالم»، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية 1954، ص 71.

قد بدأت تعاني الضعف، وأصيبت بهزيمة على يد الدولة الرومانية الغنية في آسيا الصغرى، واضطرت في عام 188ق.م إلى التخلي عن ممتلكاتهم وراء جبال طوروس[1]. وهكذا استطاع المكابيون فرض وجودهم في فلسطين، وانتخبوا «سمعان» شقيق يهوذا كاهناً أعظم وحاكماً سنة 141ق.م. ولم يجد الملك السلوقي «ديمتريوس» الثاني مناصاً من الاعتراف بالأمر الواقع، فمنح اليهود من شعب فلسطين الاستقلال تحت حكم سمعان، وبقي هذا الوضع حتى جاء الرومان بعد ثمانين سنة، حيث فقدت البلاد استقلالها على يد القائد الروماني «بومين» الذي استولى عليها عام 63ق.م وجعل مملكة يهوذا إقليماً رومانياً[2].

(1) أحمد صدقي الدجاني: «نظرة تحليلية في تاريخ فلسطين»، (المرجع السابق)، ص 126.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 18.

اليهود خلال الوجود الروماني

في سنة 64 ق.م. احتل القائد الروماني «بومبي» سورية بعد تغلبه على السلوقيين وضمها إلى روما، وفي السنة التالية دخل بومبي أورشليم وجعلها تابعة لحاكم سورية الروماني، وأصبحت فلسطين تحت الحكم الروماني. ولم يكن اليهود في هذا العهد أحسن حالاً مما كانوا عليه في العهد اليوناني نتيجة تدخلهم في الصراعات القائمة بين الزعماء الرومان على الحكم[1].

لم يكن بومبي يثق باليهود، وكان على علم بمؤامراتهم فعمد إلى قتل الكثيرين منهم واصفاً إياهم بالمشاغبين، ثم حطّم أسوار القدس، فكان ذلك نهاية الدويلة اليهودية. ونتيجة عدم اطمئنان بومبي إلى اليهود عمد إلى فصل أجزاء واسعة من الدويلة اليهودية وضمها إلى سورية[2]. وفي عهد قيصر (49ـ43ق.م)، كان اليهود يتمتعون بحرية شعائرهم

(1) منير ماشوش: «الصهيونية...»، (المرجع السابق)، ص 11.
(2) موريس دونان: «بيبلوس...»، (المرجع السابق)، ص 39.

الدينية، وبحكم كهني ذاتي، ثم بعد اغتيال قيصر سنة 44 ق.م. نشب خلاف بين «أوكتافيان» و«أنطونيوس» أدى إلى القتال بينهما سنة 30 ق.م انتصر فيه أوكتافيان، فتولى زمام الحكم بصفته أول امبراطور روماني، وسمّي «أغسطس». وفي هذه الحالة كان «أنطونيوس» و«أوكتافيان» قبل نشوب الخلاف بينهما قد عينا «هيرودس» ملكاً على يهوذا وعلى الجليل سنة 39ق.م[1]. خلال ذلك لم يهدأ اليهود رغم الأثمان المرتفعة التي دفعوها نتيجة المؤامرات والدسائس التي يقومون بها، وتبديل التحالفات مع القوى كعادتهم، دفعهم باتجاه الفرس من جديد، فاتصلوا بهم ودعوهم لاحتلال بلادهم تخلصاً من نير الرومان، فكان أن أقدم الفرس على احتلالها وعينوا «جونوس» المتحالف معهم ملكاً على أورشليم فيما هرب هيرودس إلى روما[2].

وبعد سنتين قدم الرومان بقوات كبيرة فطردوا الفرس، وعمد هيرودس إلى قتل أعداد كبيرة من اليهود انتقاماً لما فعلوه، واستمر حكمه في فلسطين حتى وفاته سنة 4 ق.م. وبعد وفاة هيرودس اضطربت الأحوال على يد موظفين

(1) مصطفى العبادي: «الامبراطورية الرومانية، النظام الامبراطوري، ومصر الرومانية»، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 113.
(2) حسن زعرور: «سيد داوود...»، (المرجع السابق)، ص 170.

رومانيين، قساة التصرف، ومن أهم ما تخللته هذه الفترة ولادة السيد المسيح (ع).

ثم عين «هيرودس أغريبا الثاني» حفيد هيرودس ملكاً على فلسطين في عهد الامبراطور «كاليجولا» (37ـ41م)، وبعد وفاته عادت الفوضى. بعد ذلك تولى سبعة من الحكام الرومانيين (44ـ66م) الحكم، كلهم مرتشون مما ساهم في الانفجار سنة 66م عبر ثورة شاملة على الحكم الروماني[1]. غير أن الرومان دخلوا أورشليم سنة70م، وأحرقوا معبدهم وذبحوا اليهود وباعوا من بقي منهم حياً[2].

وبعد أن نهضت أورشليم وعمرت بالسكان ثار اليهود مرة ثانية بقيادة «باركوخبا» أحد زعماء اليهود، فاعتصمت جماعته في المواقع الجبلية الحصينة، وأخذوا يقاتلون قتال حرب عصابات، وظلوا محصنين بمواقعهم ثلاث سنوت (132ـ135م). وكان رد الملك الروماني «هادريان» قاسياً عليهم من خلال حملة اجتاحت مواقعهم وأزالت قلاعهم،

(1) وليم لانجر: «موسوعة تاريخ العالم»، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، مكتبة النهضة العربية، ص 72.

(2) شوقي ضيف: «العصر الجاهلي»، دار المعارف، القاهرة 1960، ص 97.

وأحرقت قُراهم، وهدم مدينة أورشليم وذبح نصف مليون يهودي، وباع وشرد الباقين في جميع أرجاء المملكة. وأصبحت مدينة أورشليم مستعمرة رومانية وحرّم على اليهود السكن فيها[1]. ثم أسكن جالية رومانية ويونانية في أورشليم، وأقيم في محل الهيكل معبد للإله اليوناني «جوبيتر». وهذه هي الضربة الأخيرة لليهود في فلسطين، فلم يعد لهم أي كيان فيها طوال العصور التالية[2].

ومنذ القرن الأول للميلاد، تمزق شمل اليهود، وانشقت عصا وحدتهم. وغادر اليهود فلسطين وتفرقوا فجماعة منهم حلت في مصر، وأخرى نزلت العراق والحجاز واليمن، وقصدت أخرى بلاد الأفغان، وهبط آخرون بلاد الهند والصين، ومنهم من انتقل إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنكلترا.

يدل مما تقدم، على أن أهل فلسطين الأصليين بقوا في أراضيهم منذ خمسة آلاف عام، ولم يغيّر حكم داوود

(1) ليستر غراب: «الجماعات الأثنية في أورشليم»، كتاب القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003، ص 233.

(2) مصطفى العبادي: «الامبراطورية الرومانية، النظام الامبراطوري ومصر الرومانية»، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 133.

وسليمان الذي لم يطل أكثر من ثمانين عاماً أو حكم إسرائيل ويهوذا الهزيل شيئاً وهذه هي الحقيقة التاريخية الواقعية[1].

إن اليهود لم يتركوا أي كيان سياسي يهودي خاص بهم في تاريخ فلسطين القديم، ولكنهم تركوا ديانة يهودية متأخرة مقتبسة من تراث كنعاني وبابلي وآرامي. أما الأمر الثاني فهو، أن كيان إسرائيل كان قائماً على الاغتصاب والاعتداء على شعب أمّن له ثقافته وتقاليده وحكمه، وهذا الشعب كان في أرض فلسطين منذ خمسة آلاف عام. وقد جاء قوم موسى عازمين على طرد هذا الشعب من دياره، ليحلوا محله، زاعمين أن إلههم «يهوه» أمرهم بأن يبيدوا هذا الشعب ويحلوا محله، وأن الرب وعدهم بأنه سيحارب بنفسه من أجل تحقيق ذلك لهم. وهذا الشعب العريق بقوميته وتراثه لا يمكن أن ينسى أن هذه الأرض هي أرض أجداده منذ أقدم الأزمنة اغتصبت منه[2]. هذا عدا ادعاء اليهود بالاستعلاء والتفوق على بقية شعوب الأرض، وأن الله جعلهم الشعب المختار، وجعل الناس عبيداً لهم مما كان له أثر في بعث النفرة والكراهية والانعزالية بينهم وبين سكان البلاد التي يعيشون فيها.

(1) اليهو جرانب: «حاضر فلسطين»، ترجمة: منير بعلبكي، بيروت 1939، ص 14.

(2) أسعد رزوق: «إسرائيل الكبرى»، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968، ص 294.

الفصل الثالث

السلوك السياسي ليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية

يهود الخزر

قامت مملكة الخزر اليهودية في جنوب روسيا سنة 740م. في منطقة القوقاز في المنطقة الممتدة بين نهري الفولغا والدون، وحتى شواطئ بحر الخزر (بحر قزوين) والبحر الأسود[1].

وقد اعتنق أكثر سكان الخزر الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد أمير الخزر «بولان»، وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية حتى أواخر القرن العاشر الميلادي[2].

وبعد «بولان»، كان أول «خاقان» خزري يتخذ اسماً عبرياً لنفسه هو «أوبادياه» (عبديه)، الذي قرر أن لا يرتقي عرش الخزر إلا من يعتنق الديانة اليهودية، ومن ثم أقبل كثير من رعاياه على اعتناق تلك الديانة حتى يكونوا قريبين من سدة الملك[3].

(1) نصر شمالي: «ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية»، مكتب الخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1984، ص 114.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية..»، (المرجع السابق)، ص 33.

(3) عبد الرحمن شاكر: «دولة الخزر الجديدة، إسرائيل»، دار مصباح الفكر، ط1، 1981، ص 13.

والخزر كانوا قبيلة تركية، انطلقت من الاستبس في القرن الخامس الميلادي. أما عن العوامل التي جعلتهم يعتنقون اليهودية، فتعود إلى الحرص على الاستقلال إزاء القوتين العظميين المتمثلتين بالمسيحية والإسلام، واللتين كانتا تستقطبان العالم. وأن صلات الخزر الوثيقة ببيزنطة وبحاضرة الخلافة قد كشفت لهم أن عقيدتهم الشامانية البدائية (الوثنية)، لم تكن همجية ومتخلفة عن مقتضيات عصرها فحسب، ولكنها كانت أيضاً عاجزة عن إضفاء الهيبة الروحية والشرعية على رجال الحكم. كما هو حال رجال الحكم المسيحيين والمسلمين، ونتيجة الخوف من الذوبان، وفقدان الاستقلال، اختاروا العقيدة الثالثة اليهودية غير التابعة لأي من القوتين العظميين[1].

ازدهرت مملكة خزريا في ظل الديانة اليهودية بفضل تجارتها الواسعة على ضفاف بحر قزوين (بحر الخزر) في عاصمتهم «إتل» على مصب نهر إتل (الفولجا). وكانت تشمل إلى جانب السجاد العجمي، تجارة الرقيق، خصوصاً للحكام العرب. وبلغ من قوة هذه الدولة اليهودية الكبرى في التاريخ أنها دخلت في معارك حربية مع البلاد العربية الإسلامية

(1) نصر شمالي: ملاحظات «أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 115.

الناشئة في عهد كل من يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم حول منطقة القوقاز التي تشمل جرجان (جورجيا حالياً)، وأرمينيا، وقد استطاع مروان بن الحكم ردهم عنها إلى ضفاف الفولجا[1].

ولم تدم المملكة اليهودية في الخزر حيث جاءت حملة الروس بعد حوالى القرن ونصف القرن من دخول اليهودية إليها، وقضت على المملكة بأكملها وشردت أهلها، فانتشر اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية[2].

فقد هاجر يهود الخزر بعد التدمير الكامل لتجمعاتهم، نحو مناطق الانتعاش الاقتصادي الجديدة، في الطريق التجاري بين اتحاد المدن التجارية وبين روسيا، أي في بولونيا، وفي شرقي ألمانيا، وفي روسيا، ودول البلطيق.

تجدر الإشارة إلى أن الذين قضوا على دولة خزريا، كانوا أمراء «كييف» الفرغانيين، أي من «فرغانة»، في غرب سيبيريا، وهو الأصل نفسه الذين قضوا منه الخزر، وأولهم كان «روريك» الذي أقام بين «قبائل الرس» السلافية في عام 855م. وكانت تلك هي بداية مولد الدولة الروسية. وفي عام

(1) نصر شمالي: ملاحظات «أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 115.

(2) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية. . .»، (المرجع السابق)، ص 33.

965م، استولى أحد خلفائه وهو الأمير «سفيتوسلاف» على قلعة «ساركل» الخزرية. وفي عام 969 استولى على «إتل» عاصمة الخزر، وعلى سميندر ثانية مدنهم الكبرى.

بعد ذلك انسحبت دولة الخزر إلى شبه جزيرة القرم ودامت فيها 50 عاماً حتى استطاع «ستسيلاف» أمير كييف أن يقضي عليها بالتحالف مع بيزنطة سنة 1016[1].

ومن دولة خزريا اليهودية انحدر 92% من يهود العالم. والكتل الرئيسية التي يتكوّن منها من يُعرفون باسم اليهود في العالم أصلهم من خزريا، وأولهم الكتلة الخزرية في جنوب روسيا، والكتلة البولونية، والجالية اليهودية في أمريكا، حيث كانت أمريكا هي المهجر الأكبر للخزر بعد أن شرع قياصرة روسيا في اضطهادهم.

والجدير ذكره أن معظم قادة إسرائيل العسكريين والسياسيين تعود أصولهم إلى يهود الخزر الآريين، التركمان الذين تهوّدوا في القرن الثامن الميلادي، وهم لا علاقة لهم بالعرق السامي الذي ينسبون أنفسهم إليه[2].

(1) عبد الرحمن شاكر: «دولة الخزر»، (المرجع السابق)، ص 36.
(2) نصر شمالي: «ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 120.

اليهود في أوروبا الشرقية وروسيا

عاش اليهود في أوروبا الشرقية أسرى القواعد التي وضعها لهم «عزرا» اليهودي البابلي. وقصد من وضع القواعد إلى إحاطة اليهود بسياج من التعصب القومي، والعنصرية الذي يحول بينهم وبين الذوبان أو الاندماج في المجتمعات الأخرى. وظلوا طوال عهود تشتتهم محتفظين بروح الاستعلاء والتفوق التي شحنتهم بها شريعة عزرا حاملين معهم تفكيرهم الديني: «بنو إسرائيل شعب مقدس، لأنهم شعب الرب، وأرض مقدسة لأنها محل بيت الرب». وتوارثوا هذا التفكير الذي جمّدوه، ثم عقدوه وعبدوه، فأوجد فيهم الغرور والتحزّب والانزواء.

وكان اعتقادهم أنهم شعب مختار سبباً في تقوية ما لديهم من نزعة إلى اعتزال غيرهم من الشعوب، ولشعورهم بالامتياز والتفوق والاستعلاء، أشعروا الأمم بأنهم من طينة غير طينتهم[1].

(1) جورجي كنعان: «العنصرية اليهودية»، دار النهار، بيروت 1983، ص 83.

وظلوا محافظين على خصائصهم المميزة واستقلالهم النسبي، خصوصاً في أوروبا الشرقية، يقاومون تحت عقدة «المختارين»، كل اندماج وانصهار في مجتمعات الشعوب التي عاشوا بينها. وكانت الغالبية العظمى من اليهود تعيش في بداية القرن التاسع عشر، في شرق أوروبا خصوصاً في أراضي جمهورية بولونيا الملكية. ففي جنة النبلاء هذه وجدت طبقة التجار اليهود مجالاً رحباً للعمل، وخلال قرون طويلة، لعب اليهودي دور التاجر والمرابي، ووكيل السيد الإقطاعي والوسيط في جميع الأمور. ومثلت المدن اليهودية الصغيرة الغارقة في بحر من القُرى الفلاحية، المتاخمة في الغالب لقصور الإقطاعيين البولونيين، دور الاقتصاد التبادلي في مجتمع إقطاعي صرف[1].

ولكن بعد الفوضى السياسية والانحطاط الاقتصادي وجهت إلى الإقطاعية البولونية ضربة قاضية. كما اهتز فيه المرتكز التقليدي الذي احتله اليهود في أوروبا الشرقية. وأدى تدمير مركز اليهود الاقتصادي في أوروبا الشرقية، إلى هجرة يهودية جماعية. ففي كل مكان، وتحت أشكال وصور متعددة، أنعشت أمواج المهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية

(1) إبراهام ليون: «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»، ترجمة: عماد نويهض، دار الطليعة، بيروت 1969، ص 123.

المسألة اليهودية، ومن هذه الناحية يشكل تاريخ اليهود في أوروبا الشرقية خصوصاً العامل الحاسم في القضية اليهودية المعاصرة.

وتعود العلاقات التجارية ليهود أوروبا الشرقية وبوهيميا وبولونيا وروسيا الصغرى إلى العصور الوسطى، فالشبكة التجارية التي أقامها اليهود بين آسيا وأوروبا، امتدت عبر حقول بولونيا وأوكرانيا. وكان اليهود الشرقيون يقايضون المواد الثمينة من آسيا كالتوابل والحرير، بمواد أوروبا الخام، فشكلوا العنصر التجاري الوحيد في مجتمع زراعي صرف[1].

وقد أدّت الأوضاع الاقتصادية المتدنية،والحياة الدينية داخل الغيتو اليهودي، إلى ظهور حركات دينية «كالحسيدية» من حسيد أي التقي، أسسها الحاخام «بسرائيل بعل شم طوق» (1700ـ1761)، نشأت الحركة بين يهود أوكرانيا في منتصف القرن الثامن عشر، ثم انتشرت في بولونيا وروسيا والمجر ورومانيا، حتى أصبحت عقيدة أغلبية الجماهير اليهودية في شرق أوروبا بحلول سنة 1830. ولعل الناحية البارزة في فكر هذه الحركات الدينية، هي الحب «لأرض إسرائيل» والكره العميق للحكومات التي يعيشون في ظلها،

(1) إبراهام ليون: «المفهوم المادي. . .»، (المرجع السابق)، ص 125.

والنبلاء الذين يستغلون هذه الطبقات الفقيرة. وناحية أخرى، هي تعظيم وتقديس شعب إسرائيل المرتبط «بأرض إسرائيل»، وقد عبّروا عن حبهم لأرض إسرائيل عبر هجرات إفرادية، وجماعية إلى «أرض الميعاد»[1].

ومما دعّم هذه الانعزالية، وضع اليهود في مجتمعات شرق أوروبا، كأقلية اقتصادية تقوم بأعمال تجارية ومالية معيّنة. ففي مطلع القرن التاسع عشر كان أكبر تجمع لليهود في العالم موجوداً في أوروبا الشرقية، خصوصاً في روسيا القيصرية، حيث كانوا يعيشون في مسام تلك المجتمعات بسبب طبيعتها الإقطاعية والزراعية المتخلفة. فكانوا يحتكرون التجارة والربا ويعملون كوكلاء لصالح النبلاء، ووسطاء بين الفلاحين وبين الأسياد الإقطاعيين. وكانوا يمارسون وظائفهم الاجتماعية المعهودة: تجار، مقرضون، ممولون، صيارفة، مرابون، باعة متجولون مما أدى إلى تراكم واسع للرأسمال السائل بين أيديهم مع مرور الزمن[2].

ولما زحف نابليون باتجاه روسيا كان اليهود من ورائه وفي عونه بقصد سحق روسيا عدوتهم الكبرى، وكان لهم الدور الكبير في تدمير ونهب مزارع الشعب الروسي، وفي

(1) جورجي كنعان: «سقوط الامبراطورية الإسرائيلية»، دار النهار للنشر، بيروت 1982، ص 94.

(2) جورجي كنعان: «سقوط الامبراطورية»، (المرجع السابق)، ص 95.

القضاء على مئات الألوف من الروس في ساحات المعركة. رغم ذلك فإن اليهود لم يستطيعوا تحطيم القيصرية والدولة الروسية، واستلام مقاليد الحكم فيها، فقرروا الانتظار والعمل مرة أخرى على تحطيمها من الخارج.

ففي عهد القيصر «نيقولا الأول» (1825ـ1855)، بدأت سياسة «الترويس» المشهورة للأجناس غير الروسية. وكان المفكر النظري للترويس من مساعدي القيصر، هو الكونت «يوفاروف» الذي كتب تقريراً في عام 1832، أعلن فيه أن مبادئ الروسي الحقيقي هي ثلاثة: الأتوقراطية، أي الإيمان بالحكم المطلق للقياصرة، والعقيدة الأرثوذكسية واللغة الروسية[1].

وقد عانت الشعوب غير الروسية في ظل حكم القياصرة معاناة شديدة بفضل تلك السياسة طبقاً لدرجة ابتعادهم عن مبادئ الروسي الحقيقي. ومن هؤلاء «الخزر اليهود»، عن طريق إجبار أولادهم من سن الثانية عشرة على الدخول في معسكرات الخدمة الإجبارية بما فيها العسكرية، ويبقون لمدد قد تطول إلى خمسة وعشرين عاماً. وفي أثنائها يعلمون اللغة الروسية، ويُجبر الكثير منهم بمختلف وسائل التعذيب على اعتناق الأرثوذكسية فضلاً عن إجبار البالغين على حلق لحاهم وارتداء الملابس الروسية.

(1) عبد الرحمن شاكر: «دولة الخزر..»، (المرجع السابق). ص 42.

وفي ظل سياسة الترويس هذه وُلِدت الحركة الصهيونية، التي بدأت كنزعة دينية في روسيا في مطلع القرن التاسع عشر، حيث هاجر بعض اليهود الخزر إلى فلسطين[1].

وكان اغتيال قيصر روسيا «المتنور» ألكسندر الثاني سنة 1881، هو الحدث الذي أشعل شرارة الانفصالية عند اليهود، واللاسامية عند الأقوام الأخرى. فقد جعلت السلطات الروسية من اليهود ضحية الاغتيال حيث ذبح العدد الكبير منهم.

ورداً على نهوض القومية الروسية في أعقاب اغتيال القيصر ألكسندر الثاني، تأسست المنظمة الصهيونية الأولى «أحباء صهيون» في روسيا، وأنشئت مشابهة لها في عدد من المدن الأوروبية.

وفي العام ذاته (1881)، وبمبادرة مجموعة من المثقفين اليهود الذين تخلوا عن عقيدتهم السابقة التي تؤمن بفكرة القومية المدنية، وتبنوا فكرة القومية اليهودية على شاكلة القومية الأثنية الروسية[2].

وقد شرع يهود الخزر في إقامة مستوطنات يهودية على

(1) عبد الرحمن شاكر: «دولة الخزر..»، (المرجع السابق). ص 43.
(2) أودي أديب: «اليهود الشرقيون في إسرائيل»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003، ص 20.

أرض فلسطين منذ عام 1882[1]. وكانت مستعمرة «ريشون لزيون» أي الأولون في صهيون، أقدم المستعمرات التي أقامها روتشيلد في عام 1882، وقد أنشأتها مجموعة من الشباب اليهودي القادمين من روسيا ورومانيا على ظهر الباخرة «أصلان» التي رست أمام مدينة يافا.

وقد بنت المستعمرة بالقرب منها، واختار موقعها «لورانس أوليفانت» رسول روتشليد الخاص، ثم بنى بعدها مستوطنات زكرون يعقوب وروشبينا ونيس زيوتا. وأسس فيما بعد شركة «بيكا»، مؤسسة استعمار أراضي فلسطين[2].

وفي العام 1884، عقد «أحباء صهيون» المؤتمر الأول في بولونيا «مؤتمر كاتوفيتر»، واشترك فيه عدد من المفكرين اليهود البارزين منهم «ليون بينسكر» و«هرمان شابيرو». وبعد ثلاث سنوات عقد «أحباء صهيون» مؤتمرهم الثاني، وكانت أبرز أعمال هذه الجمعية نشر الفكر الصهيوني بين جماهير اليهود في أوروبا الشرقية، ودفعهم للهجرة إلى فلسطين. وفي أوكرانيا ظهرت جمعية يهودية ثانية حملت اسم «يابيت يعقوب

(1) حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908ـ1909)، الدار الجامعية، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 7.

(2) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل..»، (المرجع السابق)، ص 48.

هيانرحل». وقد عرفت باسم مختصر هو «بيلو»، حيث كانت أول منظمة تنقل اليهود إلى فلسطين، إذ دفعت سنة 1882، أول فوج من المهاجرين. هذه المنظمات والجمعيات كانت ذات طابع ضيق وغير معترف بها بشكل رسمي علني في أوروبا الشرقية[1].

ومن زعماء الهجرة الثانية الذين نشطوا في هذا الميدان «دافيد بن غوريون» (1886ـ1973)، الذي يعتبر عنصر العمل الأساسي، بالإضافة إلى عناصر الإنتاج الأخرى الذين كانوا مدار الحركة الصهيونية. لقد انضم بن غوريون منذ وصوله إلى فلسطين عام 1906 إلى حركة «عمال صهيون»، وراح يدعو إلى تدعيم العمل اليهودي إلى أبعد حدوده الاقتصادية، ويهاجم الملّاك اليهود الذين يستخدمون العمال العرب في مزارعهم.

لقد امتازت مرحلة الهجرة الثانية بتصميم الصهيونيين الأوائل على العمل لتثبيت أسس العنصرية اليهودية، حيث عقد المهاجرون الذين كانوا يعملون في مستوطنة «بيتح تكفا» اجتماعاً أقروا فيه إنشاء جمعية مهمتها، العمل لبناء المستوطنات[2]. بالإضافة إلى قرار المنظمة الصهيونية العالمية

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل، (المرجع نفسه)، ص 51.
(2) جورجي كنعان: «العنصرية اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 105.

بتكثيف النشاط الاستيطاني في فلسطين، رغم ذلك وصل عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين إلى 25 مستوطنة، يسكنها حوالى 6500 يهودي حتى العام 1905، لأن معظم المهاجرين اليهود من روسيا قد اتجهوا إلى الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا الغربية[1].

وأما اليهود الذين استمروا داخل روسيا، لم يستطيعوا تحطيم السلطة القيصرية، والدولة الروسية واستلام مقاليد الحكم فيها. فقرروا الانتظار والعمل مرة أخرى على تحطيمها من الخارج.

ولقد أشعل اليهود نار الحرب الروسية ـ اليابانية (1904ـ1905)، وكانوا وراء اندحار روسيا فيها، وذلك بتقديم المساعدات والمنح المالية الضخمة إلى اليابان. وبعد انتهاء الحرب دخل عدد من اليهود في مجلس الدوما الجديد في روسيا، ولكن ذلك لم يكن كافياً في نظر اليهود. وفي هذا السياق، قال هرتسل إن يهود روسيا قبضوا على القيصر نقولا الثاني وعائلته وساقوهم إلى سيبيريا حيث قتلوا جميعاً بعد التعذيب. وكان الذي حاكم القيصر 15 يهودياً من السفاكين، ومعهم يهودي بولوني وآخر مجري، ونُفذ الحكم

(1) جورجي كنعان: «العنصرية اليهودية»، (المرجع نفسه)، ص 106.

في العائلة دفعة واحدة من قِبل الجنود اليهود بقيادة اليهودي «يوروفسكي»[1].

وعندما اكتُشف كتاب بروتوكولات حكماء صهيون في روسيا الذي تضمن العمل للسيطرة على العالم، وفيها روسيا بطرق إجرامية لاإنسانية ولاأخلاقية، تعرض اليهود إلى المذابح في روسيا حتى العام 1917، حيث وقعت الثورة البلشفية.

بعد الثورة تدفق المهاجرون الخزر (اليهود)، من روسيا بالملايين إلى الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا الغربية هرباً من الحكم الجديد، إلى حد أن اليهود وصفوا الخروج من روسيا شبيهاً بقصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان.

وقد شجعت الحكومة الروسية هذا الخروج تخلصاً من اليهود الخزر، خصوصاً أن كثيراً منهم شرعوا ينضمون إلى الحركات الثورية التي قامت ضد الحكم القيصري، وانضمت إلى جانب الطبقات العمالية في روسيا[2].

وقد ظهرت القوى الاشتراكية كعضو قيادي للحركات

(1) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 34.

(2) أنيس صايغ: «يوميات هرتزل»، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1973، ص 498.

الثورية ضد الحكم القيصري، وانضمَّ عدد من يهود الخزر إلى الحركة الاشتراكية، وطالبوا في بداية الأمر أن يكون لهم تنظيم خاص في الحزب الاشتراكي الديمقراطي، ولكن لينين عارض ذلك بشدة، باعتباره انقساماً عنصرياً في حركة سياسية المفروض فيها أن تؤمن بالدولة البروليتارية[1].

(1) عصمت سيف الدولة: «نظرية الثورة العربية»، دار الفكر، بيروت 1971، ص 314.

اليهود في أوروبا الغربية

لعب اليهود خلال قرون طويلة دور الوسطاء التجاريين بين الشرق والغرب. وتوطّد مركز الحياة اليهودية تدريجاً في إسبانيا وفرنسا، خصوصاً أنهم يتكلمون الفارسية والرومانية والعربية ولغات فرانكية وإسبانية وسلافية. إنهم يتنقلون من الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب، بحراً وبراً، قاصدين الهند والصين. ومنذ بداية القرن الثالث عشر تم إقصاء اليهود من التجارة في أوروبا الغربية، لكن اليهود تابعوا تطوير عملياتهم التجارية في المناطق التي لم يبلغها الاقتصاد التبادلي بعد. ففي إنكلترا غاص اليهود في أعمال الربا، لأنهم أثرياء كبار، وهذا ما أدى إلى انتقال قسم من أراضي النبلاء إلى أيدي المرابين اليهود، بفضل فائض الربا[1]. فأتاحت الرأسمالية للعنصرية اليهودية المختلفة أوسع الفرص لتجسد إيجابياً عداءها القبلي للشعوب وتحول كل

(1) إبراهام ليون: «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»، (المرجع السابق)، ص 89.

«جيتو» إلى وكر تآمر وتخطيط وتعبئة نشيط، وحصار لكل من ليس يهودياً.

وانطلقت العنصرية اليهودية بذهنية المؤمنين بامتيازهم في مجتمعات يرفضون الانتماء إليها، في ظل نظام يبيح لهم الاستغلال ليفرضوا سيطرتهم على الشعوب بكل الوسائل، ولم يكن غريباً أن ينتهي كل هذا إلى أن يصبح اليهود في المجتمعات الرأسمالية سادة المال، المسيطرين على أرزاق الناس من خلال البنوك. لذلك انتقم النبلاء، المُختَلَسة أموالهم، بتدبير مجازر ضد اليهود. ففي عام 1189 جرت مذابح اليهود في لندن ولنكلن وستمغورد[1].

وفي عام 1290، طرد سكان إنكلترا اليهود، ويقارب عددهم الثلاثة آلاف، وصودرت أملاكهم. ولم يختلف وضع اليهود الاقتصادي في فرنسا عنه في إنكلترا، وعددهم يقارب المئة ألف.

لقد تعاطى اليهود الربا في شمال فرنسا بشكل خاص حيث كان يهود مرسيليا يقيمون علاقات تجارية مع إسبانيا وشمال أفريقيا وصقلية وفلسطين، إذ كانوا يملكون بواخر، يستوردون التوابل والرقيق. وكان اليهود في فرنسا يخضعون

(1) عصمت سيف الدولة: «نظرية الثورة العربية»، (المرجع السابق)، ص312.

إلى جملة من الضرائب والرسوم، ووضعت عدّة وسائل قيد التنفيذ لاستخراج أكبر مبلغ ممكن منهم. فالتوقيفات الجماعية والأحكام المتكررة والطرد، كل ذلك كان حجة لاستلاب واسع.

وكان ملوك فرنسا يطردون اليهود تارة، ويستقبلونهم أخرى، كل ذلك للاستيلاء على أموالهم[1].

وكانت قرون الثاني والثالث والرابع عشر، عهد تطور الربا اليهودي في كل أنحاء أوروبا الغربية، وفي قسم من أوروبا الوسطى. وأدى التطور الاقتصادي إلى الانهيار السريع، وجرى الطرد النهائي لليهود في نهاية القرن الثالث عشر في إنكلترا، وفي نهاية القرن الرابع عشر في فرنسا، وفي نهاية القرن الخامس عشر في إسبانيا. لقد أصبح اليهودي مجهولاً تماماً في أوروبا الغربية. ولكن تمكّنت بعض المجموعات اليهودية الصغيرة، من التشبث ببعض الوظائف الاقتصادية الملحقة، وأصبحت المعارف اليهودية «بيوت الرهون»، يستقرض منها البؤساء. فأصبح اليهودي مُرابياً صغيراً، يُقرِضُ فقراء المدن والأرياف، مقابل رهونات مخفضة القيمة.

وبعدما أُقصيَ عن التجارة، تركز الرأسمال اليهودي في

(1) إبراهام ليون: «المفهوم المادي...»، (المرجع السابق)، ص 91.

الربا فقط. وقد أدّى ذلك الوضع الجديد إلى تبدل موقف النبلاء والملكية تجاه اليهود. وكان ينتقل الأسياد أحياناً في سبيل الدفاع عن أملاكهم المهددة إلى صراع لاهوادة فيه ضد المرابين اليهود الذين يستنزفونهم[1].

في هذه الأثناء وُلِدت فكرة استغلال العواطف اليهودية، ومحاولة تجنيدهم لخدمة أغراض استعمارية. وقام بهذه المحاولات زعماء الأوساط الحاكمة في الامبراطوريات الاستعمارية. وقد حاولت شركة الهند ـ الهولندية عام 1652، توطين اليهود في جزيرة «كوراساو». وفي العام 1654، شاءت بريطانيا أن تُسكن اليهود في إحدى مستعمراتها «سورينام». وحاولت فرنسا في السنة ذاتها أن تسكنهم في «كايان»[2]. وفي سنة 1695 تقدم تاجر يهودي دانمركي «أوليغرولي» بمذكرة إلى ملوك أوروبيين عديدين كان أهمهم وليم الثالث الإنكليزي، ولويس الرابع عشر الفرنسي. وقد أرفق بهذه المذكرة برامج مفصلة لنقل اليهود إلى فلسطين. وبعد سنوات قليلة تقدم «المركيز لانغاليري» إلى السفير التركي في لاهاي بهولندا يطلب منه إجراء مفاوضات

(1) إبراهيم ليون: «المفهوم المادي...»، (المرجع السابق)، ص 97.

(2) هاني الهندي: «حول الصهيونية وإسرائيل»، دار الطليعة، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 21.

لنقل اليهود إلى فلسطين. وكما نشر الأمير «دي لين» عام 1797، مذكرة مفصلة حول إعادة بناء دولة يهودية في فلسطين، سيكون نفعها شاملاً لليهود وللدولة التي ستعاونهم على ذلك، بالإضافة إلى نفعها للعالم أجمع[1].

في هذه المرحلة حاولت فرنسا توظيف مسألة اليهود وإعادتهم إلى فلسطين في مشاريع التوسعية في الشرق العربي. وفي صراعها مع بريطانيا حول مناطق النفوذ في المنطقة العربية.

ففي عام 1798، وقُبيل الحملة الفرنسية على مصر ببضعة أشهر، رُوج في فرنسا «كراس» نسب إلى يهودي إيطالي تحت عنوان: «إعادة تأسيس الدولة اليهودية»، وحدد الكرّاس حدود «مملكة إسرائيل الجديدة» بأنها تمتد من عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب البحر الميت إلى البحر الأحمر. وجاء في الكراس: إن هذا الموقع سيجعلنا (اليهود)، نتاجر مع الهند وأفريقيا الجنوبية والشرقية، والحبشة، وسنقوم عن طريق البحر المتوسط بإقامة علاقات مع إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وسائر أجزاء أوروبا[2].

(1) هاني الهندي: «حول الصهيونية...»، (المرجع نفسه)، ص 22.

(2) حبيب قهوجي: «إسرائيل خنجر أميركا»، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ط1، 1979، ص 19.

وفي 19 أيار سنة 1798، غادر نابليون بونابرت مرفأ تولون الفرنسي سراً إلى مالطا، فاستولى عليها، ثم وصل إلى مصر، ونزل مع جيوشه شرقي الإسكندرية، واتجه بجيشه نحو العاصمة، وانتصر على المماليك في موقعة الأهرام، واستقر بعد ذلك في القاهرة.

ورأى نابليون أن يأخذ زمام المبادرة ويسرع باحتلال فلسطين وسوريا، باعتبار أنها الطريق البرية الوحيدة التي يمكن للجيوش العثمانية أن تسلكها في طريقها إلى مصر. هاجم مدن فلسطين من شباط سنة 1799، محرزاً بعض الانتصارات، إلا أنه وقف أمام أسوار عكا عاجزاً عن قهرها[1].

وأثناء حصار نابليون بونابرت لعكا، أصدر في 22 أيار عام 1799، نداءه المشهور لليهود الذي دعا فيه يهود الشرق إلى الانضواء تحت لوائه، والقتال من أجل «إعادة تأسيس مملكة القدس القديمة، وتسليمها لليهود والورثة الشرعيين لفلسطين»[2].

(1) عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: «التاريخ المعاصر أوروبا، من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية»، دار النهضة العربية، بيروت 1973، ص 79.

(2) حبيب قهوجي: «إسرائيل خنجر أميركا»، (المرجع السابق)، ص 20.

رغم فشل حملة نابليون على الشرق، فقد ظلت تراوده فكرة استخدام المسألة اليهودية في مشاريعه الاستعمارية، وفي صراعه مع بريطانيا. ففي عام 1806 دعا إلى عقد مؤتمر لليهود الذين يعيشون في الأراضي الواقعة تحت سيطرة فرنسا. وتم عقد المؤتمر عام 1807، حيث جرى تشكيل مجلس أعلى لليهود المقيمين في فرنسا وإيطاليا. لكن سقوط نابليون بعد ذلك بفترة قصيرة أخرج فرنسا مؤقتاً من حلبة الصراع حول استخدام موضوع اليهود في التنافس الاستعماري مع بريطانيا في الشرق الأوسط[1].

إن عمل نابليون هذا قد يكون هو الذي نبّه هرتزل إلى إمكانية استغلال القوى الاستعمارية لتحقيق أحلام اليهود، وكذلك إنشاء دولة في فلسطين، كما أنه بالتالي قد نبّه أيضاً الدول الاستعمارية إلى استغلال اليهود في تحقيق أهدافها الاستعمارية.

فمبادرة نابليون، قد أثارت بريطانيا التي أدركت خطر منافستها، وبدأت هي أيضاً وضع مخططات سياسية واجتماعية لتحقيق أهدافها ومطامعها، منها إنشاء دولة يهودية في فلسطين تكون عميلة لها[2].

(1) حبيب قهوجي: «إسرائيل...»، (المرجع نفسه)، ص 20.

(2) نقولا الدر: «هكذا ضاعت فلسطين»، بيروت 1963، ص 22.

ففي عام 1838، صدر كتاب في بريطانيا وضعه «اللورد لندسي» تحت عنوان: «رسائل حول مصر والأراضي المقدسة»، تحدث فيه عن الإمكانية المتوافرة آنذاك أمام الجنس العبري الذي حافظ على وجوده بشكل مذهل جداً للوصول إلى عصر جديد من الحياة القومية واستعادة أرض وطنه مجدداً.

ومن أجل تحقيق ذلك فتحت بريطانيا قنصلية في القدس سنة 1838، فكانت أول قنصلية أوروبية، وقد وضعت هذه القنصلية اليهود تحت حمايتها ورعايتها بهدف استمالتهم إليها ضد الدولة العثمانية، ولكي تتخذ منهم وسيلة لتدخلها في شؤون البلاد العربية[1].

وعلى الصعيدين الرسمي والعملي، نشطت الدوائر البريطانية في العمل من أجل المشروع الصهيوني. ففي عام 1839 أرسل الاتحاد العام للكنائس الأسكتلندية بعثة تضم راهبين إلى فلسطين، لدراسة أحوال اليهود هناك ووضع تقرير عنها. وفي السنة نفسها عرض «السير موسيس مونتفيرزي» وهو ممول ومصرفي يهودي بريطاني، على محمد علي باشا الذي كان يسيطر على فلسطين وسورية آنذاك مشروعاً يقضي

(1) حسان حلاق: «دور اليهود والقوى الدولية...»، (المرجع السابق)، ص 33.

بتأجير أرض في فلسطين تضم مئة أو مئتين قرية لمدة 50 سنة، وكان ينوي في حال موافقة محمد علي على مشروعه أن يؤسس شركة لاستصلاح الأراضي وتشجيع عودة اليهود إلى «أرض إسرائيل»، وبعد إخراج محمد علي باشا من سورية وفلسطين عام 1840 بحملة عسكرية أوروبية تزعمتها بريطانيا، كثفت الدوائر البريطانية نشاطاتها وعملها في سبيل المشروع الصهيوني، وحاولت بريطانيا إقناع السلطان العثماني بفوائد إقامة كيان يهودي في فلسطين للوقوف في وجه مخططات ومشاريع محمد علي وخلفائه للتوسع على حساب السلطنة العثمانية[1].

وفي الرابع عشر من حزيران 1841، وضع الكولونيل «تشارلز هنري تشرشل» الذي كان يعمل حينذاك قنصلاً بريطانياً في دمشق، مشروعاً لتوطين اليهود في فلسطين، ضمّنه في رسالة بعث بها إلى السير «موسيس مونتفيرزي» في لندن وجاء في هذه الرسالة: «إن تجديد وجود الشعب اليهودي هدف يمكن الحصول عليه، ولكن أهم الشروط الضرورية لذلك أولاً أن يقوم اليهود أنفسهم بإثارة الموضوع في كل مكان وبالإجماع، وثانياً تقوم الدول الكبرى بمساعدتهم». ودعا إلى وضع سورية و«أرض إسرائيل» تحت

(1) حبيب قهوجي: «إسرائيل خنجر أميركا»، (المرجع السابق)، ص 21.

حماية أوروبية. وعندما عرض «مونتفيرزي» اقتراح تشرشل على لجنة ممثلي الطوائف اليهودية في بريطانيا ردت اللجنة بتاريخ 8 تشرين الثاني 1841 أنها غير مؤهلة للقيام بالمهمة. بعد ذلك وجّه تشرشل نداء إلى يهود أوروبا، دعا فيه إلى تهجير اليهود إلى فلسطين، وجعلهم أسياد البلاد بلا منازع[1].

توالت بعد ذلك النشاطات والمشاريع البريطانية في مجال محاولة توطين اليهود في فلسطين[2].

وقد حاولت فرنسا في عهد نابليون الثالث تجديد نشاطاتها في مجال استخدام موضوع اليهود في خدمة أغراضها الاستعمارية. ففي عام 1860 أرسل «أرنست لاهران» سكرتير الامبراطور «نابليون الثالث» كتاباً بعنوان المسألة الشرقية الجديدة دعا فيه إلى بناء الدولة اليهودية في فلسطين تحت الوصاية الفرنسية. ومع انتقال الرأسمالية الغربية إلى مرحلة الامبريالية، واحتدام الصراع بين الدول الاستعمارية الكبرى حول السيطرة والنفوذ في منطقة الشرق العربي الذي ازدادت أهميته في أعقاب حفر قناة السويس، برزت حاجة الاستعمار إلى ضرورة تأمين ذرائع ملائمة وإيجاد قيادة يهودية منظمة تتولى تحت إشراف المخططين التنظير لفكرة توطين اليهود في فلسطين والإعداد والتحرك من أجل

(1) حبيب قهوجي: «إسرائيل...»، (المرجع نفسه)، ص 26.

(2) جورج أنطونيوس: «يقظة العرب»، ترجمة: ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت 1982، ص 29.

تحقيق هذه الفكرة على أساس سياسي[1]. وهكذا بدأت تظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كتابات لكُتّاب يهود تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة يهودية فيها. وكان الصحافي النمساوي اليهودي تيودور هرتسل الداعية لإقامة الدولة اليهودية.

وأصدر عام 1896 كتابه «الدولة اليهودية» الذي ضمّنه مخططاً عملياً لتهجير اليهود وتوطينهم في فلسطين تحت إشراف بريطانيا[2].

لقد سار الاستعمار البريطاني والصهيونية جنباً إلى جنب في طريق محو عروبة فلسطين وإقامة إسرائيل. ولكن فلسطين كانت في ذلك الوقت لا تزال تشكل جزءاً من ولايتي دمشق وبيروت العربيتين في الدولة العثمانية. فتقدمت بريطانيا آنذاك باقتراح يرمي إلى البدء باستيطان اليهود وإقامة المستعمرات في سيناء المصرية التي كانت تخضع للحماية البريطانية. وكادت المؤامرة الإنكليزية الصهيونية تنجح لولا تنبّه الحكومة المصرية لمخاطرها ورفضها العروض الإنكليزية[3].

(1) جورج أنطونيوس: «يقظة العرب»، ترجمة: ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت 1982، ص 29.

(2) عبد الوهاب الكيالي: «المطامع الصهيونية التوسعية»، بيروت 1966، ص 20.

(3) روجيه جارودي: «الأساطير المؤسِّسة...»، (المرجع السابق)، ص25.

وعادت بريطانيا تعرض على الصهيانة عام 1903، قيام مستعمرة ذات حكم ذاتي لليهود في «أوغندا» أواسط أفريقيا، كمنطقة تجمع يهودية مؤقتة، تمهيداً لنقلهم فيما بعد إلى فلسطين[1]. وقد وافق يهود أوروبا الغربية على فكرة أوغندا، ولكن أصرّ يهود فلسطين على الاستيطان في فلسطين.

ولما مات هرتزل في 3 تموز 1904، انعقد المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905، وقد قرر بذل الجهود، لبناء دولة على أرض فلسطين. وكذلك أصرّ الصهيانة في المؤتمر المنعقد عام 1908 في لاهاي (هولندا) على رفض عرض إقامة مستعمرة في أوغندا، وتقرر التمسك بهجرة اليهود إلى «أرض الميعاد»، والاستمرار بسياسة التعاون مع بريطانيا حتى تُنفذ الخطة المتفق عليها.

ومنذ ذلك الوقت ضاعفت الصهيونية جهودها، ووضعت كل نفوذها المالي والسياسي في خدمة الاستعمار البريطاني، وساهمت مساهمة فعّالة في خلق ظروف الحرب العالمية الأولى، وفي زج أميركا فيها إلى جانب حليفتها بريطانيا[2].

(1) روجيه جارودي: «الأساطير المؤسّسة...»، (المرجع السابق)، ص25.

(2) شفيق الرشيدات: «فلسطين»، دار الكاتب العربي، مصر 1968، ص46.

اليهود في الولايات المتحدة الأميركية

بدأ وجود اليهود مع بداية «كرستوف كولومبس» حيث أخرج أكثر من 300 ألف يهودي من إسبانيا بتاريخ 2 آب 1492، وفي 3 آب 1492 أبحر كولومبس حاملاً معه عدداً من اليهود. وقد تحدث إلى اليهود، حيث كانت رسالته الأولى التي شرح فيها اكتشافاته موجهة إلى شخص يهودي. وقد نال أنصار كولومبس عدداً من الامتيازات مكافأة لهم. أما هو فقد غدا ضحية المؤامرة التي حاك خيوطها طبيب الباخرة اليهودي[1]. بعد اكتشاف قارة أميركا، بدأ اليهود يهاجرون إليها. واعتبروها يومئذ ملجأهم الأخير. ملجأهم من الاضطهاد الأوروبي لهم. اضطهاد الكنيسة للأسباب الدينية المعروفة والخاصة بعقيدة المسيح. ولأسباب اقتصادية، لأن اليهود هم المرابون الذين يقرضون أموالهم بفوائد باهظة. وكان من مصلحة المقترضين أن يتخلصوا من اليهود حتى يتحرروا من ديونهم. فحلّت باليهود كراهية الشعوب الأوروبية

(1) عبد الرزاق محمد أسود: «الموسوعة الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 77.

ولعنة الكنيسة. فرأوا في الأرض الجديدة الملاذ الذي يحميهم من الاضطهاد الأوروبي بشقيه الديني والشعبي[1].

ومنذ ذلك الوقت بدأ اليهود بالتطلع إلى أميركا وشرعوا في الهجرة إليها.

وفي المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور الأميركي سنة 1789، نبّه الرئيس الأميركي «بنيامين فرانكلين» شعب الولايات المتحدة الأميركية إلى خطر اليهود حيث قال: «هناك خطر يهدد الولايات المتحدة الأميركية، وذلك الخطر هو اليهودية.... حيثما استقر اليهود، نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف. إنهم كونوا حكومة داخل الحكومة. وحينما يجدون معارضة من أحد، فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً. إذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية، ففي أقل من 100 سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا، ويغيّرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لإقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا الفردية. إذا لم يُمنع اليهود من الهجرة فإنه لم يمضِ أكثر من 200 سنة ليصبح أبناؤنا عمالاً في الحقول لتوفير الغذاء لليهود

(1) هاشم زكريا: «أمريكا والصهيونية»، دار الوثبة، (بدون تاريخ)، ص 35.

الذين يجلسون في البيوت المالية. اليهود خطر على هذه البلاد، وإذا سمح لهم بالدخول إليها فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا، يجب منعهم من الهجرة بموجب الدستور.

رغم تحذير الرئيس الأميركي «فرانلكين»، ظهرت في عام 1830 حركة بروتستانتية في أميركا تتعاون مع اليهود وتروج لفكرة عودة اليهود إلى فلسطين، وتبعها قيام حركات أخرى مماثلة. وقد حاولت هذه الحركات الدينية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأميركية القيام بمحاولات للاستيطان في فلسطين، وكانت المحاولة للاستيطان الزراعي قرب يافا[1].

وفي عام 1850 قام «وارد كريسون» قنصل الولايات المتحدة الأميركية في القدس، بتأسيس مستوطنة زراعية في منطقة القدس، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى. وقد نشأ في أواسط القرن التاسع عشر نوع من العلاقة والمشاركة بين أميركا وبريطانيا. وتمثّل أحد أوجه المشاركة بين الدولتين، في سعي مشترك لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، لأن فلسطين تعتبر أهم مفارق طرق التجارة في العالم. وقد أخذ هذا السعي المشترك بين الدولتين شكل خلق دينية تبشيرية،

(1) «بروتوكولات حكماء صهيون»، إعداد الطلاب الوطنيين في لبنان، دار القاموس الحديث، بيروت (بدون تاريخ)، ص 215.

تقوم أثناء عملها التبشيري بالتركيز على العهد القديم (التوراة) وذلك من أجل تهيئة العقول لقبول فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين[1].

وفي العام 1906، برزت اللجنة اليهودية ـ الأميركية للدفاع عن اليهود ضد تهمة الاتجار بالرقيق الأبيض.

وهي تهمة وجهها ضد اليهود في نيويورك الجنرال «بنغهام» مدير الشرطة آنذاك. وقد ورد في تقرير الجنرال: «إن خيرة الأسر اليهودية الثرية، إنما جمعت ثرواتها الضخمة من الاتجار بالرقيق الأبيض، وأن 50% من الجرائم التي تقع في المدينة هي من صنع اليهود».

رغم ذلك لم يكتفِ اليهود بأن تكون لهم منظماتهم الخاصة بهم، بل تسللوا إلى المنظمات غير اليهودية ليسيطروا عليها من وراء الستار. وهذه المنظمات غير اليهودية قدمت خدمات جليلة لليهود، لأنها كانت تذهب في تأييدهم إلى أبعد مما تستطيع أن تذهب إليه المنظمات اليهودية[2].

إنطلاقاً من ذلك سيطر اليهود على صناعة السينما والسكر والتبغ، وعلى نصف صناعة اللحوم المعلبة، وصناعة

(1) حبيب قهوجي: «إسرائيل خنجر أميركا»، (المرجع السابق)، ص 102.

(2) هاشم زكريا: «أمريكا الصهيونية»، (المرجع السابق)، ص 52.

الأحذية، وعلى التجارة بصورة عامة. واستولى اليهود على مصادر الذهب والبترول والمعادن، وعلى البنوك وبورصة الأوراق المالية، وعلى الصحف والإذاعة والتلفزيون ودور النشر ووكالات الأنباء في الولايات المتحدة الأميركية. ثم غزت الأفكار اليهودية عقول طلاب الجامعات، وقد تزعم اليهود كل الحركات الفوضوية في الحقل الطلابي[1].

لقد استطاع اليهود بأساليبهم الملتوية مسك زمام الأمور كلها في أميركا، ولم يمنحوا الوطن الجديد ولاءهم. لقد ثبت أن ما قاله «فرانكلين» في أواخر القرن الثامن عشر كان صحيحاً، فقد استطاع اليهود السيطرة على القرار الأميركي.

وفي هذا المجال يقول شارل مالك: «إن لليهود في أميركا وضعاً مستقراً، وقد تأصل في جذور الحياة الأميركية، بذلك القدر عينه، لهم تأثير فعّال في الرأي العام الأميركي، ووزن متفوق في السياسة الأميركية الرسمية. ومعظمهم محصور في نيويورك وبعض المدن الصناعية الكبرى كشيكاغو وكاليفورنيا وبوسطن وفيلادلفيا. وهم محتكرون لبعض الصناعات الرئيسية. كما أنهم يحتكرون بعض المهن المهمة

(1) شارك مالك: «إسرائيل، أميركا والعرب، تقرير في الوضع الحاضر، 5 آب 1949»، دار النهار، بيروت، ط3، 2003، ص 67.

كطب الأسنان، ولهم تأثير كبير في عدد من المهن الأخرى كالمحاماة»[1].

وفي العام 1891، قام «وليم بلاكستون»، وهو رجل أعمال من شيكاغو ومعه مجموعة من الشخصيات الأميركية بتوجيه رسالة إلى الرئيس الأميركي «بنيامين هاريسون»، وإلى وزير خارجيته «جيمس بلان»، تطلب منهما عقد مؤتمر دولي لبحث مطلب اليهود بشأن «العودة إلى أرض فلسطين»، وقد عاد بلاكستون نفسه إلى تقديم مذكرة مماثلة وقعها مئات الأميركيين إلى الرئيس الأميركي عام 1916 أثناء الحرب العالمية الأولى.

وخلال الحرب العالمية الأولى قدم القنصل الأميركي في القدس الحماية لعدد من يهود القدس، وعمل على نقل الطعام والوقود والأدوية والمساعدات لليهود المقيمين في فلسطين. كما شاركت السفن الأميركية في نقل اليهود الذين قررت السلطات العثمانية إبعادهم عن فلسطين من يافا إلى الإسكندرية.

والجدير ذكره أن «بن غوريون نفسه ومعه الزعيم الصهيوني «يتسحاق بن زفي» كانا بين أولئك الذين تدخل

(1) شارل مالك: «إسرائيل وأميركا والعرب»، (المرجع نفسه)، ص 57.

السفير الأميركي لحمايتهم، وقد نقلتهما سفينة أميركية من يافا إلى الإسكندرية عام 1915، ومن هناك توجها إلى الولايات المتحدة الأميركية حيث عملا لجمع فيلق يهودي للمشاركة في الحرب إلى جانب الحلفاء ضد الألمان والعثمانيين[1].

ففي الرابع من أيلول عام 1917، أرسل اللورد «روبرسيسل» برقية باسم الحكومة البريطانية إلى مستشار الرئيس الأميركي «الكولونيل هاوس» ومنه إلى الرئيس «ولسون»، قال فيها: «نحن ملزمون بتصريح التعاطف مع الحركة الصهيونية، وأكون شاكراً إذا أكدت لنا بصورة غير رسمية ما إذا كان الرئيس ولسون يؤيد مثل هذا التصريح. وفي أواخر أيلول نفسه أجاب المستشار الأميركي باسم الرئيس ولسون، بأن الرئيس يحبذ إصدار تصريح يساند الصهيونية[2].

وبعد أن اقتنعت الولايات المتحدة الأميركية أن الاستيطان اليهودي هو الأمر الوحيد الممكن، صبّت جهودها لدعم الهجرة والاستيطان اليهودي. كما تبادل بلفور الرسائل مع الرئيس الأميركي ولسون للاتفاق على الصيغة النهائية

(1) حبيب قهوجي: «إسرائيل...»، (المرجع السابق)، ص 38.

(2) حبيب قهوجي: «إسرائيل...»، (المرجع نفسه)، ص 39.

للتصريح الذي سوف تصدره بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي. وقد وافق الرئيس الأميركي على مشروع التصريح سراً، وظلّت الموافقة الأميركية طي الكتمان بسبب موقع الولايات المتحدة الأميركية في الحرب العالمية الأولى، وفي السياسة الدولية. وعندما تأكدت نهائياً هزيمة تركيا قال ولسون في آب عام 1918: «أعتقد أن الأمم الحليفة قد قرّرت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا ومن شعبنا» اليهود اليوم في الولايات المتحدة الأميركية هم أهم جالية لإسرائيل على الإطلاق[1]. بداية، فإن أكبر عدد لليهود في العالم هو في أميركا يليها «إسرائيل». كما أن سيطرة اليهود على الكونغرس والإعلام، وبالتالي على أي إدارة أميركية تتولى الحكم، هي في قمتها التاريخية والجغرافية. لم يعرف اليهود في الغرب على مدى تاريخهم الطويل وتأثيرهم في مجرى الأحداث، قوة ونفوذاً وتسييراً لمقادير البلاد أكثر مما هو اليوم في أميركا. ثم إن الولايات المتحدة مصدر لا ينضب للمال، فالمعونات المالية التي وصلت قيمتها في أحد التقديرات إلى 139 مليار دولار

(1) نصر شمالي: «ملاحظات أساسية...»، (المرجع السابق)، ص160.

منذ إنشاء «الدولة الإسرائيلية»، ليس لها مثيل في التاريخ. وهي معونات متعددة الأشكال، فمنها منح لا ترد، ومنها قروض لا تُدفع، ومنها كفالات لا تُرجع، ومنها تحويل أموال الضرائب إلى إسرائيل باعتبارها معفاة، أي كأنها دفعت إلى أمريكا، ومنها المعونات العسكرية التقليدية والدورية أو الطارئة في حالة الحرب[1].

لذلك لا توجد لإسرائيل رغبة في هجرة جماعية لليهود من أمريكا إلى «إسرائيل» باستثناء بعض المتطرفين والمتعصبين الذين يقيمون الآن في مستوطنات في الضفة الغربية وغزة قبل الانسحاب منها 78 بالمئة منهم من أمريكا الشمالية. ويوجد عدد كبير من الشخصيات المهمة اليهودية التي تحمل الجنسيتين الأمريكية والإسرائيلية ويتنقلون بين البلدين بكامل الحقوق في كليهما[2].

(1) سلمان أبو سته: «إسرائيل 2020، خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع»، المجلد الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2004، ص 64.

(2) سلمان أبو ستة: «إسرائيل 2020»، (المرجع نفسه)، ص 65.

الفصل الرابع

المخطط الاستعماري ـ الصهيوني
نحو فلسطين

تيودور هرتزل ومشروع الدولة اليهودية

تيودور هرتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية، ومؤسس عدد من أجهزة هذه الحركة التي لا يزال بعضها يعمل إلى الآن، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية وللمؤتمرات الصهيونية العالمية الستة الأولى، وهو بالتالي «أبو دولة إسرائيل»[1].

يُعد تيودور هرتزل، المؤسس للحركة الصهيونية السياسية، فبدعوته إلى «الدولة اليهودية» تحددت المعالم السياسية للصهيونية تحديداً واضحاً، ثم اتخذت طريقها إلى التطبيق العملي، ذلك الطريق الذي انتهى بقيام دولة إسرائيل عام 1948[2].

وُلِد تيودور هرتزل في مدينة بوادبست عاصمة المجر في العام 1860، درس في فيينا عاصمة النمسا بين 1878

(1) أنيس صايغ: «يوميات هرتسل»، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1973، ص 7.

(2) محمد محمود الصياد وبعض المؤلفين: «المجتمع العربي والقضية الفلسطينية»، دار النهضة، بيروت 1977، ص 348.

و1884. اشتغل بالكتابة الأدبية والسياسية بين 1885 و1891، دون أن يلتحق بمؤسسة معينة. وفي عام 1891 عين مراسلاً «للجريدة الحرة الجديدة» في باريس (كانت تصدر في فيينا ـ النمسا). وظل في وظيفته هذه إلى 1895. وقد رافق خلالها الضجة التي قامت في فرنسا حول قضية الضابط اليهودي «دريفوس» المتهم بالخيانة، وأخذ يتخلى بالتدريج منذ سنة 1894 عن آرائه السابقة بوجوب اندماج اليهود مع الشعوب التي يقيمون بينها، وأخذ يدعو في الوقت نفسه إلى إنشاء دولة لليهود[1].

وعندما عاد إلى فيينا ـ النمسا ـ وعُيِّن محرراً أدبياً «للجريدة الحرة الجديدة» سنة 1896، أخذ يتصل باليهود لينظم الدعوة إلى محاربة الاندماج، وإنشاء الدولة اليهودية، وهي الدعوة التي نشرها في كتيب عام 1896 بعنوان: «الدولة اليهودية»[2].

وأكد هرتزل على ضرورة اعتماد العنف لتحقيق أطماعه الصهيونية في فلسطين، وكان يؤمن بأن ما لا يناله باللين، أي بالإغراء والتملق يجب أن يناله بالقوة، أي بالتهديد

(1) أنيس صايغ: «يوميات هرتزل...»، (المرجع السابق)، ص 8.

(2) أيغون ردليخ: «مذكرات صهيوني»، ترجمة: عبد الحسين شعبان، (بدون تاريخ)، ص 10.

والوعيد: فقد أخذ يفكر في تأسيس جيش يفتح به البلد الذي يريده وطناً لليهود في الوقت نفسه الذي يفكِّر فيه بوجوب إنشاء هذا الوطن.

إلى جانب هذا الجيش، كان يفكر في إنشاء جيش من العمال، يحقق الأغراض العسكرية والاقتصادية في آن واحد. وكان هرتزل قد طالب بصراحة، بإنشاء جيش صهيوني في أول اجتماع رسمي له مع جمعية أحباء صهيون في لندن بتاريخ 14 تموز 1896، وذلك لحماية المتسللين إلى فلسطين[1].

والجدير ذكره أن هرتزل كان قد وضع في حزيران 1895، قائمة بوسائله التي سيسلكها للوصول إلى هدفه إنشاء دولة يهودية، وهي:

ـ جمع المال والاكتتاب لمريدي الأرض.

ـ اتفاقات على بيع الأراضي.

ـ شراء السفن أو بناؤها.

ـ انتقاء الأراضي وتعيين مناطق صالحة للمدن الرئيسية.

ـ دعم العمال في روسيا وغيرها لبناء ثكنات للتسفير.

ـ عقود سفر وشحن مع السكك الحديد.

(1) حسن زعرور: «سيف داوود، خداع وأضاليل»، دار الرسول الأكرم، 1988، ص ص 328ـ329.

وقال هرتزل: «إن الخروج إلى أرض الميعاد يحتاج إلى عملية نقل ضخمة لم يسبق لها مثيل في العالم الحديث. إنها عملية مركبة تشمل كل أنواع المجهود الإنساني، تتلاحم وتتداخل كما في دوران العجلات المسننة فوق بعضها».

وقال: إن هذا المشروع حتى في مراحله الأولى، سيؤمن العمل للجماهير الناشئة، لكل المهندسين وللمعماريين والفنيين والكيماويين والأطباء والمحامين الذين خرجوا من المعسكرات، والذين ظنوا أنهم يستطيعون أن يحصلوا على معيشة شريفة خارج نطاق المهن اليهودية المشوشة. إنهم يفتشون في بأس، وقد بدأوا يؤلفون طبقة البروليتاريا المثقفة. وقال هرتزل: فيهم أرى المستقبل وقوة اليهود التي لا تزال نائمة. ومن هذه الطبقة البروليتارية المثقفة سأجمع الموظفين ونواة الجيش الذي سيبحث ويكتشف ويأخذ البلاد، سأحصل على المال والعمال اليهود لخدمة أهدافنا[1].

وقد حقق هرتزل فكرة ربط يهود العالم كلهم في برلمان واحد، وكان هذا البرلمان هو المؤتمرات التي كانت تعقد كل عام، ويحضرها ممثلون عن يهود العالم أجمع، البرلمان

(1) محمد دروزة: «مأساة فلسطين»، دار اليقظة العربية، بيروت 1988، ص 539.

الذي ربط بين اليهود، على اختلاف بلدانهم وتباعد ديارهم[1].

تجدر الإشارة إلى أنه عندما بدأت هجرة اليهود إلى فلسطين، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني قانوناً في تموز 1882 حرّم على اليهود دخول فلسطين، فأصبح الطريق إليها صعباً، لكن جمعية (عشاق صهيون)، قد نشطت بعد صدور هذا القانون، وأخذت تدعو إلى حب صهيون، ذلك الجبل الذي يقع جنوبي القدس «والذي دفن فيه الملك داوود».

وأخذت تنظم عمليات الهجرة إلى فلسطين لشراء الأراضي فيها، والاستيطان بمساعدة بعض القناصل الأوروبيين، أو برشوة بعض موظفي الحكومة العثمانية، وكان للجمعية حينذاك فروع في ألمانيا والنمسا وبريطانيا.

حاول هرتزل في عام 1896، الحصول على موافقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، أو على الأقل إلغاء قوانين الحد من هجرة اليهود إليها، مقابل تزويد السلطنة بالقروض المالية[2].

(1) جميل عطية ـ صلاح عيسى: «صك المؤامرة، وعد بلفور»، دار الفتى العربي، 1991، ص 37.

(2) حسان حلاق: «دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908ـ1909)»، الدار الجامعية، (المرجع السابق)، ص 38.

وبرغم تدهور الاقتصاد العثماني، وحاجة السلطان الشديدة إلى المال فقد رفض عروض هرتزل قائلاً:

«لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا.

لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سورية وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال. السلطنة العثمانية ليست لي، وإنما للشعب العثماني، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً حجراً منها. ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا اقسمت السلطنة فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لم تُقسم إلّا على جثثنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان»[1].

وعندما فشلت محاولات هرتزل تلك، بدأ يعد لعقد أول مؤتمر صهيوني.

مؤتمر بال في سويسرا

في 29 آب عام 1897، انعقد المؤتمر الصهيوني الأول

(1) أنيس صايغ: «يوميات هرتزل»، (المرجع السابق)، ص 35.

من مائتي عضو وفدوا إليه من مختلف بلاد أوروبا. ولقد اتخذ المؤتمرون من الفكرة الأساس التي صاغها هرتزل للصهيونية دستور المؤتمر ودستور الحركة الصهيونية، «إن هدف الصهيونية ينحصر في خلق ملجأ لليهود في فلسطين بضمانة قانونية يضمنه القانون العام». وعلى كل صهيوني أن يساهم في ما يقتضيه هذا الهدف من مال، وعلى أثر ذلك نشأت مؤسستان يهوديتان «البنك القومي اليهودي» و«المؤسسة القومية اليهودية».

لقد وضع المؤتمر الصهيوني الأول الصيغة النهائية لدستور العمل للحركة الصهيونية متمثلة في وطن قومي يهودي بضمانة من القانون العام[1].

وبهذه الصيغة تتحدد نهائياً معالم الصهيونية كحركة، إنها حركة سياسية، بهدفها وبوسائلها. فهي تسعى إلى خلق وطن قومي، ومن ثم دولة سياسية لليهود، كعلاج لمشكلة اجتماعية بحتة هي «اللاسامية» وهي في سعيها إلى هذا الهدف السياسي تلجأ إلى قادة الدول للاستعانة بنفوذهم، مع تصميم على أن تتأيد دولتهم القومية بسند قانوني. وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد. فلقد نجح الصهاينة في سعيهم لدى بريطانيا

(1) زاهية قدورة: «تاريخ العرب الحديث»، دار النهضة العربية، بيروت 1975، ص 188.

العظمى في هذا الصدد ثم أفلحوا في الحصول على سند[1].

وانتخب مؤتمر بال هرتزل أول رئيس، وأعلن قيام المنظمة الصهيونية العالمية، وتمّ إقرار برنامجها ونظامها الداخلي. كما ورد في وثائق المنظمة الصهيونية العالمية، إنها تعمل من أجل تأسيس «ملجأ واق في فلسطين» لليهود. وبغية تحقيق هذا الهدف، كان لا بدَّ من تعمير أرض فلسطين «بالمزارعين والحرفيين اليهود». وتنظيم كل اليهود بواسطة الاتحادات المحلية والعامة، وتقوية الشعور القومي اليهودي والوعي الذاتي، وكذلك تهيئة الخطوات للحصول على موافقة الدول العظمى من أجل تنفيذ مخططات الصهاينة. إن المؤتمر هو المؤسسة العليا للمنظمة الصهيونية العالمية، الذي يضم ممثلين من البلدان كافة، وقد انتخب المؤتمر مجلساً تنفيذياً انتخب بدوره من بين أعضائه لجنة تنفيذية مصغرة، أطلق عليها الهيئة التنفيذية المركزية للمنظمة الصهيونية العالمية، حيث أصبح هرتزل أول رئيس لها. وعلاوة على ذلك فقد تمّ تأسيس الإدارة الفلسطينية، والبنك اليهودي الاستعماري،

(1) روجيه غارودي: «الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية»، (المرجع السابق)، ص 25.

والبنك الإنكليزي ـ الفلسطيني، والصندوق اليهودي القومي، التي تتبع كلها إلى اللجنة التنفيذية[1].

أما المنظمات الصهيونية الدنيا، فقد كانت تتألف من مجموعات إقليمية، خاضعة للمركز فيما يتعلق بالخطة القومية، ويعتبر صهيونياً كل يهودي بلغ الثامنة عشرة من عمره، على أن يقر ويلتزم بمقررات أو برامج مؤتمر بال، ويدفع لمصلحة المنظمة الصهيونية العالمية اشتراكاً شهرياً، وبكلمات أخرى، فقد وضعت المقاييس التي تحدد الانتساب التنظيمي إلى الصهيونية، كما تحولت المنظمة الصهيونية العالمية إلى منظمة ذات درجات ومقامات يفصل ما بين قياداتها وأعضائها جدار شاهق متين.

ففي نظامها الداخلي لا ترد حتى إشارة أو تلميح إلى مبادئ الديمقراطية. إذا لم يجرِ انتخاب أعضاء المؤتمرات الصهيونية انتخاباً حقيقياً، وإنما كان يجري تعيينهم على يد نشطاء الحلقات الصهيونية وذلك من أوساط الأغنياء، الذين كانوا يتمكنون من دفع نفقات السفر إلى الخارج، أما الطريق فقد كان مغلقاً في وجه الناس غير الأثرياء[2].

وقول حاييم وايزمن (1874ـ1952)، حول المؤتمر

(1) مجموعة الكُتّاب السوفييت: «الصهيونية نظرية وممارسة»، ترجمة: يوسف سلمان، دار الطليعة، بيروت 1974، ص 60.

(2) المرجع نفسه، ص 61.

(شارك مع ولده في أعمال المؤتمر)، «كان نجاح المؤتمر وإنشاء المنظمة، الخطة الأولى في بناء الحركة الصهيونية التي لولاها لما استطعنا أن نحصل أخيراً على فلسطين».

والأهم من هذا كله أن هذا المؤتمر، والمؤتمرات التي تلته قد فرض مصطلح الصهيونية على الحياة السياسية للعالم، فلم يعد الأمر مجرد عواطف يُبديها اليهود نحو فلسطين، أو رغبة في السفر إليها للحج أو الاستيطان، لكنه أصبح شيئاً مختلفاً تماماً.

لقد نجح المؤتمر في أن يقنع عدداً كبيراً من اليهود بأن يكونوا صهيونيين.

أصبحت الصهيونية بعد هرتزل حركة سياسية، وكانت قبله أحلاماً، وأشعاراً، وعملاً من أعمال الإحسان. رغم ذلك برزت الصعوبات نتيجة انتشار الدعوة للاندماج بين صفوف كثيرين من اليهود، خصوصاً في بريطانيا وفرنسا. وكان هؤلاء يرون أن المشكلة اليهودية قد نشأت أصلاً من عزلة اليهود، وخوفهم من الاندماج في مجتمعاتهم. وأن حلّ مشكلة اليهود، في كل بلد، هو أن يكونوا من أبنائه، فاليهودي البريطاني يكون بريطانياً واليهودي الفرنسي يكون فرنسياً[1].

(1) لمزيد من التفاصيل يراجع: حسن زعرور: «سيف داوود..»، (المرجع السابق)، ص ص 331ـ334.

قامت المنظمة بدعوة المؤتمر الصهيوني للانعقاد مرة كل سنة، لتطرح عليه ما أنجزته من خطوات لتحقيق المقررات التي تتخذها.

لم تكن المنظمة هي الممثل الوحيد لليهود، إذ كان اليهود الرافضون للصهيونية، يستقلون بجمعيات خاصة بهم، ويرفضون التعاون مع المكاتب التي أنشأتها في مختلف دول أوروبا[1].

وعندما اختلف أعضاء المؤتمر الصهيوني الرابع حول مشروع شرقي أفريقيا، تعرضت المنظمة الصهيونية للتصدع، وتزعم وايزمن وسوكولوف حركة منفصلة في بريطانيا نجحت في الحصول على وعد بلفور عام 1917، وقد أدى ذلك إلى انتخاب وايزمن رئيساً للمنظمة عام 1919، فأعاد توحيدها.

وفي عام 1922، أنشأت المنظمة فرعاً لها في فلسطين باسم «**الوكالة اليهودية**» لتقوم بالتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني في وضع وعد بلفور موضع التنفيذ.

وقد اهتمت المنظمة بأن تنشئ ذراعاً مالية لها، فأنشأت الصندوق القومي اليهودي ليساعدها على شراء الأراضي وإنشاء المستوطنات، على أن يقوم بتأجير الأرض إلى

(1) جميل عطية ـ صلاح عيسى: «صك المؤامرة...»، (المرجع السابق)، ص ص 79ـ80.

المستوطنين اليهود، شرط ألا يستخدموا العمال العرب، أو يعيدوا تأجيرها لغير اليهود. كما أنشأ الصندوق شركات فرعية له في كل من الولايات المتحدة الأميركية، ولندن لجمع الأموال التي يمول بها نشاطه[1].

بالإضافة إلى قيام المنظمة بدعوة المؤتمر الصهيوني للانعقاد، فقد قامت بدور هام منذ إنشائها حتى إعلان الدولة في عام 1948، فأنشأت جهازاً قوياً لجمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية عن فلسطين والأقطار العربية الأخرى، لاستخدامها في خدمة الأهداف الصهيونية، كما نظمت حملات جمع الأموال، خصوصاً من أميركا لتمويل الهجرة والاستيطان. واستطاعت أن تؤكد نفوذها في أجهزة الإعلام الغربية بشراء الصحف وتمويل إصدارها وتوجيه سياساتها. وقامت أيضاً بإجراء المفاوضات السياسية مع الدول الكبرى للحصول على كل المساعدات التي تمكنها من تحقيق أهدافها.

ومنذ وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ركزت المنظمة الصهيونية العالمية دورها على العمل بين يهود العالم، ومحاولة الحصول على مزيد من التأييد السياسي

(1) محمد دروزة: «مأساة فلسطين..»، (المرجع السابق)، ص ص542ـ543.

الدولي لإنشاء الوطن القومي الصهيوني، في حين قامت الوكالة اليهودية بالدور الأكبر في تنفيذ المخطط الصهيوني داخل فلسطين ذاتها.

لقد استغلت المنظمة الصهيونية حركة الإصلاح، واكتساح الأفكار الجديدة للعالم حول حقوق الإنسان، وحاولت مقايضة اشتراك اليهود في الحركات الثورية مقابل الحصول على امتيازات من الدول حول انتزاع العرب من فلسطين وإقامة دولة يهودية[1].

ولقد ساد التوجه الاستعماري لدى القيادة السياسية الأميركية في الفترة نفسها التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، وكانت الروح اليهودية قد ثبتت مواقعها بقوة في المراكز المالية العالمية، وتحولت الروح من قوة ضاغطة أوروبياً إلى قوة عالمية للضغط على الدول بهدف تحقيق ما عملت له خلال قرنين من الزمن: السيطرة على النظام العالمي وإقامة دولة يهودية في فلسطين.

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ عام 1897 حتى العام 1951. والمؤتمر الذي عُقد في القدس في 14 آب 1951، كان لبحث عملية الانتقال بالحركة اليهودية من دولة صهيون إلى بحث خطوات تأسيس مملكة صهيون العالمية.

(1) محمد دروزة: (المرجع السابق)، ص ص 543ـ544.

أما المؤتمر الذي انعقد عام 1897 في سويسرا بال، كان تنفيذاً لتعليمات واضحة عثر عليها ضمن نص خطبة الحاخام «ريتشورن» في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قديسهم «سيمون بن يهودا» سنة 1869 في مدينة براغ.

وأول من نشر نص الخطاب، «القرارات» العالم الروسي «سيرجي نيلوسي» الذي وقعت البروتوكولات في يده عام 1901، أي بعد خمس سنوات من مؤتمر بال[1].

وفي هذا المؤتمر جرت مناقشات ودراسات لوضع خطة سرية مرعبة لاستعباد العالم. ثم سجلوا قراراتهم أو وصاياهم باسم «بروتوكولات حكماء صهيون»، وضربوا حولها سياجاً كثيفاً من السرية والكتمان. وفي أحد المحافل السرية في فرنسا، تمكنت سيدة فرنسية من الحصول على هذه الوثيقة السرية وهرّبتها، ولم تكن هذه الوثائق إلا بروتوكولات حكماء صهيون، وهي جزء من مقررات مؤتمر بال[2].

وبعد ضياع البروتوكولات اهتز العالم ونشطت اليهودية العالمية بكل أجهزتها السرية والعلنية لاسترجاع النسخة المفقودة دون جدوى.

ووصلت النسخة المسروقة إلى أحد زعماء روسيا الشرقية

(1) «برتوكولات حكماء صهيون»، (المرجع السابق)، ص 210.
(2) فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي: «حقيقة اليهود» (بدون تاريخ)، ص 31.

وهو «اليكسي نيقولافيتش»، فذعر أشد الذعر لما احتوته من خطط شيطانية جهنمية لاستعباد العالم، عن طريق المال اليهودي والخلق اليهودي، فقدمها إلى صديقه العالم الروسي الكبير «سيرجي نيلوسي»، الذي درسها دراسة تحليلية كاملة. وكان من نتائج طبعها قيام حملة شعواء على اليهود في جميع أنحاء العالم ولا سيما في روسيا القيصرية. فوقعت مذابح ضدهم في روسيا، وقتل منهم في إحداها عشرة آلاف، وأقبل اليهود في جميع أنحاء العالم على شراء كل نسخة تمكنوا من العثور عليها من الكتاب حتى اختفى تماماً من الأسواق، إلا نسخة واحدة من الكتاب وصلت إلى المتحف البريطاني ودوّن عليها تاريخ الاستلام 10 آب 1906. وكان «نيلوسي» قد أعاد طبعها بالروسية سنة 1905، وسنة 1911، ثم أعاد طبعها سنة 1917[1].

بروتوكولات حكماء صهيون، لغز من الألغاز في مجال البحث التاريخي، هو أخطر كتاب ظهر في العالم ولا يستطيع أن يقدّره إلا من يقرأ البروتوكولات ليستطيع أن يبصر الخطة التي رسمتها تيارات التاريخ لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها.

(1) «برتوكولات حكماء صهيون»، (المرجع السابق)، ص 211.

أهداف اليهود
في الحرب العالمية الأولى 1914ـ1918

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى (1914ـ1918)، ظن اليهود أنها قد تكون فرصتهم. فأخذ فريق منهم يسعى مع الألمان، وفريق آخر يسعى مع الإنكليز وحلفائهم، في سبيل تحقيق هدفهم، لأنهم يعرفون أنهم لن يستطيعوا إقامة دولة في فلسطين، بدون دعم دولة عظمى وحمايتها[1]. فكانت ذلك نقطة لقاء هامة بينهم وبين بريطانيا، اهتموا باستغلالها من ناحيتهم. وقد رحبت بريطانيا باهتمامهم من ناحيتها، حيث تصورت أنها إذا تبنت قضيتهم، وقدمت لهم وعداً بتشجيعهم على هدفهم، بذلوا جهودهم في حمل الدول الأخرى على الموافقة على تبني بريطانيا لهدفهم، وجعل فلسطين وشرق الأردن منطقة نفوذ واستعمار لهم، في سبيل ذلك، لما كان

(1) لوتسكي: «تاريخ الأقطار العربية الحديث»، ترجمة: عفيفة البستاني، دار الفارابي، بيروت 1980، ص 426.

لهم من نفوذ في مختلف الأوساط الدولية والصحفية والمالية الأوروبية والأميركية[1].

لقد رأت بريطانيا بالإضافة إلى ذلك في الحركة الصهيونية قوة نافعة لها، وهي احتياجها في فلسطين إلى محامٍ دائم، لأنها كانت تعتبر أن منطقة البحر المتوسط شريان حيوي لمصالح بريطانيا الآنية والمقبلة. فهو جسر بين الشرق والغرب، وممر طبيعي لآسيا وأفريقيا، وملتقى طرق العالم، ولتأمين حماية ناجحة للمصالح الأوروبية المشتركة، لا بدَّ من السيطرة عليه وعلى شطآنه الجنوبية والشرقية.

إن الخطر بالنسبة إلى بريطانيا في هذه المنطقة يكمن في تحررها وتثقيف شعوبها، وتطورها وتوحّد اتجاهاتها، لهذا ينبغي للدول ذات المصالح أن تعمل على استمرار تأخرها وتقسيمها، وإبقاء شعوبها مفككة جاهلة متأخرة. وأن تعمل على محاربة اتحاد هذه الشعوب أو ارتباطها بأي نوع من الروابط الفكرية أو الروحية أو التاريخية، وإيجاد الوسائل العلمية لفصلها بعضها عن بعض[2]، لا سيما أن من يعيش في شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية بصورة خاصة

(1) محمد عزة دروزة: «مأساة فلسطين»، دار اليقظة العربية، بيروت، ط1، 1988، ص 540.

(2) أحمد عمران: «تشريح تاريخ الصهيونية»، دار المجد، ص 349.

شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ واللغة والدين ومقومات التجمع عموماً، فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الهائلة.

لذلك أخذت تعمل بريطانيا لإقامة حاجز بشري قوي وغريب، على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة، من قناة السويس قوة عدوة لشعوب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية، ومصالحها، هو التنفيذ العملي العاجل للسبل والوسائل المقترحة[1].

انطلاقاً من ذلك أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الصهيونية، وراحت تعمل بكل نشاط وحرية في سبيل تحقيق مخططها الرامي إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين. وكانت الخطوة الأولى عند الصهاينة هي العمل لكسب الحكومة البريطانية لدعم قضيتهم، من خلال إسكان وايزمن في لندن حيث يمكن أن يكون على اتصال وثيق بالرسميين البريطانيين في الحكومة، وقد علم وايزمن في أول اجتماع له مع «لويد جورج»، رئيس لجنة المهمات الحربية، أن الحكومة البريطانية بحاجة إلى طريقة لإنتاج مادة «الأسيتون» للمتفجرات بكميات

(1) أحمد عمران: «تشريح تاريخ الصهيونية»، (المرجع نفسه)، ص350.

كبيرة. فابتكر وايزمن في سنة 1915، تلك الطريقة. عند هذه المرحلة، بدأت بريطانيا تنظر بشكل فعّال بعين الاعتبار في موقف رسمي أكثر تأييداً للصهيونية[1].

وفي آذار 1915، بعث «السير إدوارد غراي» بمذكرة إلى «السير إدوارد بوشانان» السفير البريطاني في بطرسبرغ، ملخصاً فيها الآراء البريطانية حول العلاقة بين فلسطين واليهودية العالمية. وقد نصت هذه المذكرة التي كلف «بوشانان» بنقلها إلى وزير الشؤون الخارجية الروسيد «م. سازانوف»، على أن الحكومة البريطانية مهتمة بإيجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء[2].

وبعد تقديم المذكرة إلى «سازانوف» مباشرة، وصل «سايكس» الوزير المساعد لوزارة الحرب البريطانية إلى بطرسبرغ ليبدأ المحادثات التي أدت إلى معاهدة «سايكس بيكو» الشهيرة التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا وروسيا.

واتصل سايكس بعد ذلك بالفرنسيين، فاقتنع «جورج بيكو»، المفاوض الفرنسي في معاهدة «سايكس ـ بيكو»، بأن إلحاق اليهود الأميركيين بقضية الحلفاء أمر حيوي لزج أمريكا

(1) آن تايلر: «تاريخ الحركة الصهيونية، 1897ـ1947»، ترجمة: بسام أبو غزالة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1966، ص 27.

(2) لوتسكي: «تاريخ الأقطار العربية»، (المرجع السابق)، ص 460.

في الحرب. ثم أقنع جورج بيكو بأنه يمكن اجتذاب اليهود الأمريكيين إلى قضية الحلفاء بمجرد وعدهم بأن توضع البلاد المقدسة بعد الحرب تحت إدارة مؤاتية للصهيونية[1]. وبناء على ذلك بعثت الحكومة الفرنسية باليهودي «فكتور باش»، إلى الولايات المتحدة ليؤكد لليهود الأميركيين أن المستعمرات اليهودية في فلسطين ستمنح حماية بريطانيا وفرنسا الكاملة بعد انتهاء الحرب. ولكن بعثة «باش» فشلت في استثارة حماسة كبيرة لدى اليهود الأميركيين، فأخذ سايكس، يفقد اهتمامه بالصهيونية كوسيلة لزج أميركا في الحرب، رغم الأهمية الحيوية لدور يهود أميركا[2].

عقدت دول الحلفاء العديد من الاتفاقيات السرية لاقتسام الغنائم بعد الحرب، فكانت اتفاقية «سايكس ـ بيكو» في 16 أيار 1916، تشكل الاتفاقية الرابعة من سلسلة الاتفاقيات الخمس الموقعة بين الحلفاء أساساً لاقتسام أملاك الدولة العثمانية. تم توقيع الاتفاقية بين ممثل بريطانيا السير مارك سايكس، وممثل فرنسا السيد «جورج بيكو» مع إدخال بعض التعديلات على الاتفاقية الثالثة التي وقعت مع روسيا في 26

(1) جورج أنطونيوس: «يقظة العرب»، ترجمة: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1982، ص401.

(2) لوتسكي: «تاريخ الأقطار العربية»، (المرجع السابق)، ص 461.

نيسان 1916. وقد استثنيت روسيا من الحصة فيما بعد بسبب انسحابها من الحرب عقب الثورة البلشفية عام 1917، وتضمنت هذه الاتفاقية توزيع الولايات العربية تحديداً بين فرنسا وبريطانيا بعد تقسيمها[1].

كانت معاهدة سايكس ـ بيكو، إلى حد ما، مخالفة لرغبات الصهاينة في أنها فرضت على فلسطين حكماً دولياً بدل انتداب تشرف عليه حكومة بريطانية مؤيدة للصهيونية. ولكن المعاهدة من جانب آخر، لم تلمح إلى أية وعود للعرب، مما استبعد إمكانية حكم عربي، وأعطى للصهاينة وقتاً ليغتصبوا فلسطين لأنفسهم[2]. حينذاك كان عدد سكان فلسطين حوالى 700,000 نسمة. وكان لليهود في فلسطين 43 مستعمرة زراعية تبلغ مساحة أراضيها 400 ألف دونم، ويعمل عليها 12 ألف شخص، وفي ذلك الوقت أصبح مجموع اليهود في فلسطين 90 ألفاً، كان نصفهم يسكن مدينة القدس[3].

(1) أدمون رباط: «الوسيط في القانون الدستوري اللبناني»، دار العلم للملايين، بيروت 1970، ص 264.

(2) علي عبد فتوني: «المراحل التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي»، دار الفارابي، بيروت 1999، ص 36.

(3) محمد رفعت بك: «قضية فلسطين»، دار المعارف، مصر 1948، ص 22.

لقد أدرك اليهود خلال الحرب العالمية الأولى، أن أمامهم فرصة ثمينة يستطيعون الإفادة منها، فباشروا نشاطهم لدى حكومات المعسكرين محاولين استغلال أنسب العروض. وكانت أنظارهم تتجه نحو بريطانيا. فقد وضعوا تحت تصرف الحلفاء أموالاً طائلة قدمتها المؤسسات والمصارف اليهودية في أميركا خصوصاً، لتساعد على استمرار بريطانيا وفرنسا في الحرب ضد ألمانيا. والتحق عدد كبير من اليهود بجيوش الحلفاء ليشكلوا فيها وحدات عسكرية خاصة بهم قاتلت في عدد من المعارك. وأشهر هذه المجموعات لواء كان يقاتل بقيادة الكولونيل «باترسون» اليهودي في الدردنيل حين أراد الحلفاء فتح الطريق من هناك إلى روسيا. وكانت هناك مجموعة يهودية ثانية قاتلت مع جيش اللنبي بقيادة «جوزيف تروميلور» في فلسطين، ومجموعة ثالثة بقيادة الكولونيل «جابوتنسكي»، وكان أفرادها يرتدون ألبسة الجيش البريطاني، إلا أن لهم علماً خاصاً مع نجمة داوود شعاراً لهم. وفي الولايات المتحدة تشكل لواء يهودي آخر من أفراده دافيد بن غوريون[1]، إلى جانب هذه المجموعات اليهودية الخاصة كان هناك الآلاف منهم قد حاربوا في جيوش الحلفاء وتحت أعلامهم باعتبارهم رعايا لتلك الدول، وساهموا في خدمة

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل...»، (المرجع السابق)، ص 62.

الحلفاء أيضاً عن طريق التجسس، وأشهر منظماتهم في هذا المجال «نيلي» التي تألفت غالبية عناصرها من يهود فلسطين. وفي عام 1917، لاحت بوادر النصر لبريطانيا وحلفائها، خصوصاً عندما دخلت الولايات المتحدة الأميركية الحرب إلى جانبها. عندها أقدم اليهود على الاندفاع في الضغط على الحلفاء ليحققوا لهم أهدافهم فيما هم يضاعفون خدماتهم لإنزال الهزيمة بألمانيا[1].

وقبل نهاية الحرب العالمية الأولى، قدم الزعيم الصهيوني البريطاني «صموئيل» إلى الحكومة البريطانية تقريراً عرض عليها فيه مشروع تأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت إشرافها، واقترح حشد ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي أوروبي فيها. وقد برر مشروعه بجملته المشهورة: «فنكون بذلك قد أوجدنا بجوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا»، وتظاهرت بريطانيا باستحسان الفكرة وكأنها تعرض لأول مرة، وأجرت مشاورات شكلية مع روتشليد ووايزمن الزعيمين الصهيونيين، صدر بعدها في 2 تشرين الثاني 1917 وعد بلفور[2].

(1) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل...»، (المرجع نفسه)، ص63.

(2) شفيق الرشيدات: «فلسطين»، دار الكتاب العربي، مصر 1968، ص49.

وبعد توقف العمليات العسكرية للحرب العالمية الأولى، بدأت المنظمة الصهيونية ممارسة ضغوط كبيرة على سياسيي بعض الدول كالولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا للتعجيل بقبولها إعلان وعد بلفور، والعمل على تطبيق نصه، وفسح المجال أمام اليهود لبسط سيطرتهم على فلسطين. وقد نجحت الجهود الصهيونية في تحقيق هدفها بذلك[1].

(1) أسعد رزوق: «إسرائيل الكبرى»، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968، ص 399.

الجهود الصهيونية
عشية صدور وثيقة بلفور

يقول حاييم وايزمن (1874ـ1952)[1] في بداية عام 1917: رأيت أنه قد حان الوقت لعمل شيء حاسم للحصول على تصريح قاطع يحفظ لليهود آمالهم في فلسطين، فقابلت اللورد بلفور، وكان معي البارون ليونيل روتشيلد ورنالد جراهام. وكان الاعتقاد السائد لدى الدوائر الصهيونية أن الاتصالات بالحكومة البريطانية قد طالت، وأن الوقت قد حان كي تعلن بريطانيا تأييدها لمطالبنا، وقلت لبلفور:

«إن الدوائر الصهيونية في العالم تنتظر أن تُعلن بريطانيا في تصريح رسمي، موافقتها على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين». ويقول وايزمن:

رحّب بلفور بالاقتراح ووعدني بأن يعمل ما في وسعه من أجل إصدار بيان، تُعلن فيه الحكومة البريطانية تأييدها للحركة

(1) وُلِد في سنة 1874 في مدينة موتول، روسيا البيضاء: يراجع كتاب: مذكرات وايزمن، دار الفنون، بيروت، ط1، 2006، ص 8.

الصهيونية، وطلب منا إعداد صيغة البيان المقترح، تمهيداً لعرضه على مجلس الوزراء البريطاني[1].

رأى بعض الصهاينة أن ينص التصريح المرتقب على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، انطلاقاً من أن فلسطين يهودية، كما أن بريطانيا بريطانية وفرنسا فرنسية.

ورأى المعتدلون أن ينص التصريح على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، دون أي إضافات أخرى قد تعقّد الموقف أمام بريطانيا.

اشتد الخلاف بين الصهاينة، حتى استقر الرأي على تشكيل لجنة لدراسة المشروعات المقدمة من الجماعات الصهيونية المختلفة، وإعداد مشروع واحد.

وضمت اللجنة اثنين من أصحاب الفكر الصهيوني ومن ذوي النفوذ في الأوساط الصهيونية، وهما الكاتب الصهيوني **«احادها عام»** والصحافي الصهيوني البارز **«ناحوم سوكولوف»** كما انضم إلى اللجنة **«وليونيل فالتر روتشيلد»**، وشارك **وايزمن** في عدة اجتماعات لهذه اللجنة التي كانت برئاسة **روتشيلد**.

بعد الانتهاء من إنجاز المشروع عُرض على «مارك

(1) جميل عطية ـ صلاح عيسى: «صك المؤامرة»، (المرجع السابق)، ص 52.

سايكس» فقرأ سايكس مشروع البيان في عناية، وتأمله طويلاً، ثم قال لوايزمن: إن البيان أطول مما يجب، وهو يتضمن تفاصيل دقيقة تمس فلسطين والعرب، فإنني أرى أن يختصر إلى أكثر من النصف، على أن يقتصر على نقطتين:

أولاً: الاعتراف بفلسطين وطناً قومياً للشعب اليهودي.

ثانياً: الاعتراف بالمنظمة الصهيونية.

وبعد أسابيع قابل وايزمن اللورد بلفور وكان قد أصبح وزيراً للخارجية البريطانية، وشرح له ملخصاً لما دار خلال الاجتماع مع سايكس.

وفي حزيران 1917 ورد للصهاينة من فرنسا وأميركا ما يفيد أن الفرنسيين والأميركيين لن يعترضوا، إذا أصدرت بريطانيا وعداً لمصلحة اليهود. مع الإشارة إلى أن اليهود البريطانيين المعادين للصهيونية وقفوا ضد المشروع، فقد نشر «دافيد الكسندر» رئيس مجلس يهود بريطانيا، «وكلود مونتيفور» رئيس الجمعية اليهودية البريطانية، بياناً في جريدة التايمز، هاجما فيه الصهيونية هجوماً شديداً، مما سبب حرجاً شديداً لوزير الخارجية البريطاني بلفور[1]. رغم هذه

(1) سليمان موسى: «الحركة العربية 1908ـ1924»، دار النهار، بيروت، ط2، 1977، ص 366.

المعارضة، تعهد لويد جورج وبلفور، أن الوعد التاريخي سوف ينظر في جلسة مجلس الوزراء البريطاني التي تنعقد في 2 تشرين الثاني 1917، وهذا ما حصل حيث وافق مجلس الوزراء البريطاني على الوعد بعد إجراء بعض التعديلات عليه على النحو التالي:

- الصيغة القديمة تنص: «على حق اليهود في إعادة حياتهم القومية في فلسطين».
- الصيغة الجديدة: «إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين».

لقد نجح «مانتوجو» الوزير اليهودي الوحيد في وزارة لويد جورج في تغيير معاني الوعد، بحيث أصبح يؤكد على «وطن قومي» لليهود في فلسطين بدلاً من إقامة دولة يهودية في فلسطين، واسترجاع الحقوق التاريخية لهم[1].

ومما لا ريب فيه أن زعماء الحركة الصهيونية كانوا منذ البداية على بيّنة من تطلع الاستراتيجية البريطانية إلى فلسطين، فأرادوا أن يستغلوه في سعيهم إلى إقامة دولتهم في فلسطين. ففي كتابه عن «الدولة اليهودية» راح هرتزل ينوه بذلك، فهو يرى أن تكون الشركة اليهودية التي سيناط بها أمر استعمار فلسطين على شكل شركة مساهمة تحت حماية إنكلترا، وأن

(1) جميل عطية: (المرجع السابق)، ص 56، وللمزيد من التفاصيل يراجع كتاب «مذكرات وايزمن»، (المرجع السابق)، ص 30.

يكون مركزها الرئيسي في لندن باعتبارها غير معادية للسامية، كما أعلن أنه في حالة ما إذا حصلنا من السلطان العثماني على فلسطين، «فإننا سنصبح هناك حاجزاً في وجه آسيا ومن ثم الحارس المتقدم للمدنية في مواجهة البربرية».

وبينما كانت الدبلوماسية البريطانية تقنع العرب بالحرب في صفها ضد السلطنة العثمانية، عن طريق الوعد بالدولة العربية الكبرى الشاملة لفلسطين، كان الوجه الثاني لهذه الدبلوماسية يطل على الصهيونية، ففي 2 تشرين الثاني 1917، حيث كانت بريطانيا قد اطمأنت نهائياً إلى ثمار دبلوماسيتها مع العرب، بأن تحققت الثورة العربية بالفعل في وجه الدولة العثمانية، من ناحية، وإلى ثمار وجه هذه الدبلوماسية مع الصهيونية كذلك، فقد دخلت الولايات المتحدة الأميركية الحرب بالفعل إلى جانب الحلفاء من ناحية أخرى[1].

لقد تحالفت بريطانيا والحركة الصهيونية لتنفيذ مخططات التجزئة في المنطقة على أن تعمل الصهيونية لاستخدام نفوذها لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.

كل هذا وبريطانيا تخطط لمستقبل بعيد وتهدف بتخطيطها

(1) محمد محمود الصياد وبعض المؤلفين: «المجتمع الغربي...»، ص 348.

إلى سلخ جزء من الوطن العربي وإقامة «إسفين» وسط البلاد العربية في كل أقطارها.

وبعد أن أنهت الحكومة البريطانية مشاوراتها مع أميركا، صدر الوعد المنتظر في شكل خطاب أرسله اللورد بلفور إلى اللورد روتشيلد[1].

(1) سليمان موسى: «الحركة العربية...»، (المرجع السابق)، ص 367.

نص الخطاب الذي دخل التاريخ باسم تصريح بلفور، (وعد بلفور)

وزارة الخارجية

في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر 1917

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف عَلى أماني اليهود والصهيونية، وقد عُرض على الوزارة وأقرته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جدياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به

اليهود في البلدان الأخرى. وسأكون شاكراً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح»[1].

المخلص
آرثر بلفور

بدأت الصهيونية نشاطها الفعلي في فلسطين بعد صدور التصريح مباشرة، فجاء وايزمن إلى فلسطين على رأس لجنة بريطانية إيطالية، فرنسية وأميركية، كي تدرس الأوضاع فيها، وتدرس مستقبل العلاقات بين الإنكليز واليهود، وتضع مخططاً لتنظيم وتسهيل الهجرة، وتأمين الأراضي لإقامة اليهود ريثما تنتهي الأعمال الحربية. وكانت صلاحيات هذه اللجنة أن تمثل الجمعية الصهيونية العالمية في فلسطين، وأن تعمل بصفة هيئة استشارية للسلطات البريطانية في فلسطين في جميع الشؤون المتعلقة باليهود تمهيداً لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي انسجاماً مع التصريح الصادر عن حكومة صاحب الجلالة[2].

(1) دافيد فرومكين: «سلام ما بعده سلام ـ ولادة الشرق الأوسط، 1914ـ1922»، ترجمة: أسعد كامل إلياس، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 1992، ص 319.
(2) زاهية قدورة: «تاريخ العرب الحديث والمعاصر»، (المرجع السابق)، ص 196.

من المفيد أن نشير إلى بعض ما كتبه حاييم وايزمن في مذكراته حيث كان يعايش الوثيقة حتى إعلانها:

«نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا في فلسطين، وقد انتدبنا الإنكليز لحكمها واستعنا في هذا بعصبة الأمم. فنحن الذين سلمنا فلسطين إلى الإنكليز مؤقتاً وليس الإنكليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك».

لقد احتضنت بريطانيا الحركة الصهيونية منذ نشأتها وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب إلى اليهود في عام 1943، ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها العرب في فلسطين لتم إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور.

ويقول وايزمن: بناءً على طلب اللورد بلفور، جرى تصحيح مشاريع الوثيقة من قبلي غير مرة. وكنت أثناء اجتماع مجلس الوزراء البريطاني الذي يتداول كلمات الوثيقة أكثر من عشر ساعات، منتظراً في بهو المجلس، فكان بلفور يخرج المشاريع ليطلعني عليها، ومن ثم لوضع التعديلات الملائمة حتى تمت الصياغة النهائية التي أقرت والتي كنت قد كتبتها بخط يدي[1].

(1) أحمد عمران: «تشريح تاريخ الصهيونية»، دار المجد 1998، ص ص 331ـ332.

في هذه الأثناء نشأ بين الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا مشاركة وسعي لإقامة دولة يهودية في فلسطين لأنها أهم طُرق التجارة العالمية، وعمدتا إلى خلق حركات دينية تبشيرية للتركيز على العهد القديم من أجل تهيئة عقوَل اليهود لقبول فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين.

ـ مؤتمر الصلح في باريس ـ فرنسا، شرعنة المشروع اليهودي:

في 18 كانون الثاني سنة 1919، عقد «مؤتمر الصلح» في باريس في قصر فرساي، بحضور ممثلي 27 دولة ما عدا روسيا فإنها لم تمثل. وأشرف على هذا المؤتمر المؤلف من رؤساء الدول ووزراء خارجيتهم كل من: كليمنصو ويشون عن فرنسا، ولويد جورج وبلفور عن بريطانيا، وأورلاندو وسونينو عن إيطاليا، ويلسون ولانسنغ عن أمريكا، وماتكينو وماتسوي عن اليابان[1].

وحضره فيصل بن الحسين مندوباً عن العرب، وممثلاً لوالده الشريف حسين، وحضر وايزمن بصفته ممثلاً للحركة الصهيونية.

(1) أحمد عمران: «تشريح تاريخ الصهيونية»، دار المجد 1998، ص ص 331ـ332.

وقد قدّم المؤتمر الصهيوني العالمي مذكرة إلى المؤتمر، طالب فيها بإنشاء الدولة اليهودية في فلسطين وشرق الأردن وجنوب لبنان، مستنداً إلى عهود ووعد قطعت له من بريطانيا ومن الحلفاء. وأبرز للمرة الأولى الصورة الكاملة لتصريح الحكومة البريطانية الصادر عن «بلفور» وزير خارجية بريطانيا. كما أشار إلى موافقة الحلفاء التامة على هذا التصريح[1]. وهنا ظهرت المؤامرة على حقيقتها، فقد تملصت بريطانيا، كما تملصت فرنسا من اتخاذ أي موقف واضح وصريح من طلب العرب الاستقلال، ومن قضية فلسطين بشكل خاص[2]. وطلبت وزارة الخارجية البريطانية من المنظمة الصهيونية إدخال تعديلات على خطة العمل للحد من المطالب المتطرفة ولقبولهم الانتداب البريطاني على فلسطين[3].

وتظاهر الوفد الأميريكي بأنه لا علم له البتة بهذه المواضيع، واستناداً إلى مبادئ «ولسون» اقترح تأليف لجنة تحقيق ترسل إلى سوريا وفلسطين ولبنان للتحقق من رغبات

(1) بشارة الخوري: «حقائق لبنانية»، (المرجع السابق)، ص 110.
(2) صالح زهر الدين: «المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية»، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت 1985، ص 61.
(3) بشارة الخوري: «حقائق لبنانية»، (المرجع السابق)، ص 110.

السكان الحقيقية في الحكم الذي يريدونه، واقترح الرئيس الأميركي أن تؤلف اللجنة من مندوبين من أميركا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا، فشكلت لجنة «كنج ـ كرين»[1].

وفي 28 حزيران سنة 1919، انتهى مؤتمر الصلح في فرساي إلى وضع ميثاق عصبة الأمم، ومن خلال توقيعه، كان واضحاً لمعظم الوفود التي مثّلت الشعوب المحكومة أن الحلفاء قد تخلوا نهائياً عن المبادئ التي نادوا بها خلال الحرب. وكذلك عن وعودهم وعهودهم التي قدموها أو أبرموها مع هذه الشعوب.

فقد توصلوا في مؤتمر الصلح إلى الوسيلة والاسم الجديدين للاستعمار، وأطلقوا على هذا الاكتشاف الجديد اسم الانتداب[2].

فتضمن ميثاق عصبة الأمم هذا المبدأ كدستور لحل مشاكل الأقطار والشعوب التي كانت تحكمها ألمانيا أو تركيا. وكان أول عمل يقوم به مؤتمر الصلح فيما يتعلق بفلسطين هو النص المتضمن في المادة 22 من ميثاق العصبة

(1) أسعد رزوق: «إسرائيل الكبرى»، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968، ص 399.

(2) حسان حلاق: «موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1887ـ1909)»، الدار الجامعية، بيروت، ص 224.

والداعي إلى إقامة انتدابات مؤقتة في بعض المجتمعات التي كانت في السابق تابعة للامبراطورية التركية[1].

وفي 25 نيسان 1920، انعقد في مدينة سان ريمو في إيطاليا المجلس الأعلى للحلفاء، وقرر بناءً على المادة «22» من ميثاق عصبة الأمم، وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني[2]، وقد أدمج وعد بلفور واعتُبر جزءاً من المعاهدة. وبذلك أعطي الوعد طابعاً دولياً خاصاً، إذ سجل رسمياً لدى عصبة الأمم. ووافقت دول الحلفاء على أن تكون الدولة المنتدبة على فلسطين مسؤولة عن تنفيذ البيان الذي صرح به جلالة ملك بريطانيا «بيان بلفور». وقبلت هذه الدولة أن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي. وحددت مسؤولية بريطانيا بالعمل لجعل البلاد في وضع سياسي وإداري واقتصادي يسهل إنشاء الوطن القومي اليهودي.

والجدير ذكره أن إعلان الانتداب يقع في 29 مادة، منها سبع مواد تنصب على مسألة الوطن القومي اليهودي[3].

قدّم بلفور مسودة الانتداب إلى مجلس عصبة الأمم

(1) آلن تايلر: «تاريخ الحركة الصهيونية»، (المرجع السابق)، ص 42.
(2) نجيب أرمنازي: «سورية من الاحتلال حتى الجلاء»، دار الكتاب العربي، مصر 1954، ص 6.
(3) هاني الهندي، محسن إبراهيم: «إسرائيل»، (المرجع السابق)، ص 67.

للموافقة عليها في كانون الأول 1920. وقد صدرت وثيقة الانتداب نهائياً سنة 1922، حيث كانت بمثابة نصر صهيوني.

فقد اعترفت الوثيقة بارتباط اليهود بفلسطين، وضُمن تصريح بلفور في صك الانتداب، ومعاهدة سيفر مع تركيا، ومنح يهود فلسطين حق إنشاء مؤسسات ذات حكم ذاتي، والتزمت سلطة الانتداب بتسهيل الهجرة اليهودية، وسنت القوانين لإنشاء وكالة يهودية تساعد الإدارة[1].

(1) آلن تايلر: «تاريخ الحركة الصهيونية»، (المرجع السابق)، ص 45.

الفصل الخامس

يهود بعض البلاد العربية

تاريخ يهود العراق

الكثير من الباحثين يحددون تاريخ ظهور أول مجموعة يهودية في العراق منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد. وأن هذا التاريخ يأتي متطابقاً مع تاريخ السبي الآشوري إلى شمال العراق بحدود 626 ق.م، طبقاً لسياسة الامبراطورية الآشورية في تشتيت الأسرى الواقعين تحت سيطرتهم إلى عدة مناطق نائية منعزلة عن أي تجمع سكاني. وهكذا فقد وزَّع الآشوريون سباياهم من اليهود إلى المناطق الجبلية[1].

ويقدِّر الرحّالة «ربِّي بنيامين» عام 1165م عدد اليهود في البلاد العربية الإسلامية باستثناء المغرب، بنحو ثلاث مئة ألف يهودي، في حين أن «ربِّي بتاحيا» الذي سافر بعده بعشرين عاماً يقدر عدد اليهود في العراق وحدها بست مئة ألف يهودي ويقول إن اليهود كانوا متجمعين بكثرة على نهري

(1) نجلاء عز الدين: «العالم العربي»، ترجمة: جماعة من الأساتذة، القاهرة (بدون تاريخ)، ص 300.

الدجلة والفرات، حيث يوجد معظم المدن والقُرى بين نينوى ودجلة[1].

وخلال القرن التاسع عشر، ما بين سنة (1816ـ1837) بلغ عدد اليهود في بغداد حوالى 7000 آلاف يهودي[2].

أما في إحصاء عِصبة الأمم عام 1924، أثناء مشكلة الموصل تبيّن أن عدد اليهود فيها 359 نسمة فقط. وفي العام نفسه، قامت حكومة الاحتلال البريطاني بإحصاء عدد اليهود في العراق، فكان عددهم 87448 نسمة، موزعين على خمس عَشْرة مدينة عراقية أكبرها مدينة بغداد حيث يقطنها 50,000 يهودي[3].

أما في إحصاء عام 1947، بلغ تعداد اليهود في العراق 117877. وفي إحصاء عام 1957، فلم يكن من أبناء الطائفة اليهودية سوى بضعة آلاف من العوائل المتمركزة في بغداد.

وقدر عدد أبناء الطائفة اليهودية بعد عام 1967 ما بين

(1) آدم متز: «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»، ترجمة: عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ)، ص 82.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.

(3) يعقوب يوسف كورية: «يهود العراق، تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم». دار الأهلية، عمان، الأردن 1998، ص 16.

2500 و3000 فرد بينهم عدد كبير من الأغنياء وذوي الاختصاصات. وفي أواسط الثمانينات بلغ عدد يهود العراق حوالى 500 نسمة[1].

أما على الصعيد التعليمي، انتشرت المدارس اليهودية في العراق. ففي العام الدراسي (1920ـ1921)، بلغ عدد التلاميذ الذين ضمتهم المدارس اليهودية 8228 تلميذاً وتلميذة، وهو رقم كبير موزع على 26 مدرسة في خمس مدن عراقية[2].

عاش يهود العراق جنباً إلى جنب مع بقية المواطنين العراقيين، يزاولون أعمالهم بكل حرية ونشاط حتى جاءت العصابة الصهيونية التي حاكت مؤامرة هجرة اليهود العراقيين لالتحاقهم بـ«أرض الميعاد» فلسطين.

حاولت المنظمات الصهيونية إرسال بعض الصحف الصادرة في فلسطين المعنية في الشؤون الصهيونية إلى العراق ليطلع عليها الشباب اليهودي، ولكن الجهات الوطنية العراقية في بغداد عملت على منع دخول مثل هذه الصحف، مما أثار حفيظة السفارة البريطانية. ولما وجدت الصهيونية أن كل التحركات في سبيل المزيد من هجرة اليهود لم تكن

(1) يعقوب يوسف كورية: «يهود العراق»، (المرجع نفسه)، ص 17.
(2) يعقوب يوسف كورية: «يهود العراق»، (المرجع نفسه)، ص 67.

بالمستوى المطلوب، ولم تأتِ بالغاية المطلوبة، حيث لم يزد عدد المهاجرين في العراق قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية عن بضع مئات لا أكثر، وهذا ما لا يروقها. عمدت إلى استخدام العنف ضد المؤسسات والأفراد اليهودية، لكي يكون حافزاً إيجابياً للمزيد من الهجرة إلى أرض فلسطين.

فألقيت بعض القنابل على دور العبادة والنوادي ومجموعة من بيوت اليهود في أنحاء مختلفة من بغداد[1]. وأخذت المنظمة الصهيونية تشن حملاتٍ واسعةً لإرهاب اليهود وتهديدهم من اليوم الأسود الذي سينتظرهم في العراق وأنهم سيقتلون ويذبحون وتسلب أموالهم عاجلاً أم آجلاً. وفي العام 1948، عندما بدأت الحرب العربية الإسرائيلية وما آلت إليه من اغتصاب صهيوني لأراضي عربية، ومهزلة التقسيم وقيام الكيان الصهيوني، أجمعت الصهيونية العالمية على القيام بأكبر حشد سكاني في الكيان المذكور، ليكون درعاً واقية لأمن إسرائيل من جهة، ولتأمين أيدٍ عاملة لدعم الاقتصاد الإسرائيلي من جهة أخرى، وعليه تقرر القيام بما يلزم لتهجير اليهود أينما وجدوا، من أجل هذا السبب اتجهت الأنظار إلى يهود العراق والعمل على سوقهم في هجرة

(1) إسرائيل 2020، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الأول، بيروت 2004، ص 23.

كبرى. وقد أيقن الصهاينة أن أقوى عامل يجعل يهود العراق في رعب دائم، ومن ثم الزعزعة والهجرة هو العنف ولا شيء غير العنف. فمنذ تاريخ 8 نيسان 1950 بدأت أعمال العنف تستهدف اليهود في العراق، فانفجرت قنبلة عند كنيس «مسعود شمطوب»، وفي عدة مناطق حيث يوجد يهود[1].

أما اليوم، فاستحدثت «دولة إسرائيل» دائرة «شؤون المتقاعدين الإسرائيلية» دائرة جديدة غايتها البحث عن أملاك لليهود الذين هاجروا من الدول العربية واستعادتها، مشيرة إلى أن من بين هذه الأملاك أراضي وبيوتاً وحتى آبار نفط. وقد أشارت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية في هذا المجال إلى أن عدد اليهود الذين هاجروا من الدول العربية إلى إسرائيل بعد قيامها يبلغ اليوم نحو مليون يهودي، وأضافت أن هؤلاء اليهود هم لاجئون فقدوا أملاكهم التي يصل حجمها إلى عشرات مليارات الدولارات، وأن الدائرة الحكومية الإسرائيلية المستحدثة بدأت الإعداد لتقديم دعاوى قضائية لاستعادة الأملاك من الدول العربية، وذلك على غرار الدعاوى التي أقيمت في الماضي من قِبل اليهود الذين هاجروا من أوروبا في أعقاب «المحرقة النازية» لاستعادة

(1) «إسرائيل 2020...»، (المرجع نفسه)، ص 24.

منازلهم وأملاكهم[1]. وأشارت صحيفة «يديعوت» إلى أن إحدى الدول المركزية التي يتجمع فيها عدد كبير من الأملاك التابعة لليهود هي العراق، ووفقاً لتقديراتهم فإن 130 ألف يهودي تركوا أملاكاً يصل حجمها إلى عَشَرة مليارات دولار أميركي في الدول العربية، وتشمل الأملاك التي يدعي اليهود أنهم تركوها في العراق وغيرها من الدول العربية، البيوت والحوانيت والمؤسسات التجارية والحسابات المصرفية. إضافة إلى مؤسسات عامة مثل كنيس وقاعات ومدارس وملاجئ للمسنين.

فإن دائرة شؤون المتقاعدين الإسرائيلية، ستطالب اليهود الذين جاؤوا من الدول العربية بتعبئة نماذج يفصلون فيها الأملاك، وستعمل على جمع أدلة على تملكهم لها. كذلك تعتزم الدائرة مطالبة الدول العربية بتعويضات على المس بحقوق اليهود من خلال سحب مواطنهم، وسلب حريتهم ومنعهم من الدراسة وحقوق التقاعد التي لم تدفع. وبعد ذلك سيتم إعداد ملف قضائي لكل واحد من «اللاجئين» اليهود حسب زعمهم، وتقديم دعاوى لاستعادة الأملاك مباشرة أو عبر طرف ثالث[2].

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 22 تموز 2010.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 22 تموز 2010 (المرجع نفسه).

اليهود في اليمن

لقد انتشرت اليهودية في اليمن على أثر خضوع فلسطين «لأدريانوس» وطيطس، وتدمير بيت المقدس سنة 70م[1]. وأخذ ساعد اليهود يشتد حتى إذا أقبل القرن السادس للميلاد صارت لها صولة في اليمن[2]. وقد استطاع يهود اليمن أن يؤثروا في أحد ملوك التبابعة هو «ذو نواس»، وأن يدخلوه في دينهم. وقد دفعوه دفعاً إلى التنكيل بنصارى نجران، مما شكل حجة لنصارى الحبشة لكي يستولوا على بلاده بدون مقاومة. وأزالوا دولة «ذي نواس» سنة 525م، وظلوا خمسين عاماً حتى أجلاهم عنها أهلها بمساعدة الفرس. ولكن وجود نصارى الحبشة كان السبب في تفرق اليهود، وخروج عدد كبير منهم من اليمن وتشتتهم في البلاد وخارجها[3]. وذهب اليهود إلى الحجاز، وكانوا قبائل وجماعات كثيرة انتشرت في

(1) أحمد أمين: «ضحى الإسلام»، دار الكتاب العربي، الجزء الأول، ص 325.

(2) فيليب حتي: «تاريخ العرب»، دار غندور، بيروت 1974، ص 97.

(3) شوقي ضيف: «العصر الجاهلي»، دار المعارف، القاهرة 1960، ص 98.

واحات الحجاز: يثرب وخيبر ووادي القُرى وتيماء، وسكن في يثرب ثلاث قبائل يهودية: بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع. وقد نزل بينهم الأوس والخزرج اللتان نزحتا من اليمن حوالى سنة 300م. وكانوا يعملون في الزراعة والصياغة والحدادة وصناعة الأسلحة ونسج الأقمشة[1].

وكانوا يعمدون عمداً إلى الإيقاع بين القبائل العربية. فقاوموا الإسلام وأظهروا له العداء والبغضاء، فحاربهم المسلمون وانتصروا عليهم، على أثر ذلك خرج العدد الأكبر منهم من الجزيرة العربية، ولم يبقَ منهم إلا نفر قليل[2].

(1) شوقي ضيف: «العصر الجاهلي»، (المرجع نفسه)، ص 98.

(2) آدم متز: «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»، دار الكتاب العربي، بيروت، المجلد الأول، ص 83.

يهود سوريا

كانت الطائفة اليهودية في سوريا من أقدم الطوائف اليهودية في العالم. فقد ارتحلت قلّة من يهود إسبانيا، وعدد من يهود فلسطين، طوال الفترة الممتدة من القرن السادس، وقد عاش اليهود في أحياء خاصة بهم. وكان الغيتو اليهودي في دمشق يسمى «حارة اليهود»، حيث عاش فيه أغنياؤهم وفقراؤهم على السواء. كما سكن قسم كبير منهم في مدينة حلب. وحتى القرن الثامن عشر لم يتجاوز عددهم بضعة آلاف، وأقام بعضهم في حمص وحماه وكانوا قلّة[1].

وقدّر الرحّالة اليهودي «بنيامين هشيني» الذي زار المنطقة عام 1848، عائلات اليهود في دمشق بـ 600 عائلة، وفي حلب بـ 2000 عائلة.

وفي إشارة أخرى إلى الطائفة اليهودية في سوريا يذكر الكاتب «أ. فزنكل» في كتابه «إلى القدس»، أنه في عام 1856، قدّر عدد يهود دمشق بـ 5000 نسمة، وكان منهم 50 يهودياً من أصل إيطالي، عاشوا في كنف قنصل النمسا.

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.

وخلال تلك الفترة احتل بعض اليهود مراكز رئيسية في إدارة شؤون الدولة وذلك بموافقة عثمانية[1].

وفي بداية القرن التاسع عشر كان أحد أبناء عائلة فرحي وهو «روفائيل بن فرحي» وزيراً للمالية في دمشق.

وكانت السلطنة العثمانية قد سمحت للطائفة اليهودية بتأسيس المدارس وإدارتها، وإنشاء المعاهد الدينية الخاصة بهم. وتمكنت مدرستا الأليانس في حلب ودمشق من أن تجلب إلى اليهودي الثقافة الأوروبية في غلاف فرنسي يهودي[2].

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، وحسب المصادر العثمانية، فقد توقفت الهجرة اليهودية إلى سوريا، ومعها تضاءلت حركة الزيادة في تعداد اليهود بسبب سوء الحالة الاقتصادية، وأحداث (1840ـ1861). وفي الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر قدر عدد اليهود في دمشق بـ 6265 ألفاً.

وخلال الحرب العالمية الأولى، ظهرت بوادر حركة

(1) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية 1850ـ1950»، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مجلة عالم المعرفة، العدد 197، تاريخ أيار 1995، ص ص 408ـ416.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.

صهيونية بين يهود سوريا ساهمت في الدعاية التي أدّت إلى نقل العديد منهم إلى فلسطين[1].

وقبل الهجرة اليهودية الكبرى من سوريا عام 1947 كان عدد اليهود فيها حوالى 13 ألفاً. وفي هذا السياق أشار «إبراهيم أبو حمرا» الرئيس السابق للطائفة اليهودية في سوريا، إلى أنه منذ شهر نيسان عام 1992 حتى شهر نيسان من العام 1993، غادر سوريا 2500 يهودي توجهوا إلى الولايات المتحدة الأميركية[2].

(1) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

(2) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

يهود لبنان

وجود اليهود في لبنان، يرجع إلى فترة قديمة تعود إلى فترة ثورة «باكوخبا» التي حصلت عام 132م، حيث هرب اليهود من بطش الرومان، واستوطنوا بعض المناطق في لبنان. أما القسم الأكبر دخل إلى لبنان آتياً من الأندلس. وقد انتشروا في بعلبك وطرابلس وبيروت وصيدا. كما أقامت أعداد محدودة من اليهود في بعض مناطق جبل لبنان، منها دير القمر، وكذلك في حاصبيا. وقد حافظت على وجودها في هذه الأماكن طوال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ويذكر الرحالة اليهودي «داوود» أنه أثناء تنقله في أوساط الطائفة اليهودية في لبنان، وجد انتشاراً مكوناً من 15 أسرة في بيروت وطرابلس[1].

وفي العام 1924 بلغ عدد اليهود في لبنان نحو 6261 نسمة، وارتفع عددهم بعد عام 1947 بقدوم مهاجرين جدد من سوريا إلى 11 ألف مهاجر، انتقل منهم 6 آلاف يهودي

(1) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية»، (المرجع السابق)، ص 171.

إلى «إسرائيل». وقد عمل غالبية اليهود في لبنان بالتجارة والصيرفة والسياحة والترفيه. وبلغ بعضهم مراكز عالية في المصارف اللبنانية.

وقد منح الدستور اللبناني الصادر عام 1926، اليهود كغيرهم من الطوائف الحقوق السياسية والإدارية كاملة[1].

وفي العام 1947، دخلت «شولاميت كوهين» كعميلة للموساد الإسرائيلي إلى بيروت، وكانت قد انتقلت على أثر زواجها من «جوزيف كيشيك»، وهو تاجر يهودي في لبنان كان يملك متجراً في سوق سرسق في وسط بيروت. وكانت تستقبل زبائنها في بيتها في منطقة وادي أبو جميل، وهو الحي اليهودي القديم في وسط بيروت. وكان عملها في مجال «الدعارة» مقدمة للوصول إلى ما تريده كجاسوسة للموساد. وفي عام 1956 وسّعت شولاميت كوهين أعمالها، فقد أصبحت تملك خمسة بيوت إضافية في مناطق مختلفة من بيروت. وقد جهّز الموساد شولاميت بكل أجهزة التسجيل اللازمة، مثل آلات التصوير السرية لتثبيتها في غرف النوم[2]. وفيما بعد استأجرت مطعماً في شارع الحمرا في بيروت، وحولته إلى حانة أسمتها «رامبو باب».

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 23 نيسان 2010.

لقد ساعدت الشبكة التي أسستها شولاميت كوهين على تهجير يهود لبنانيين، ويهود عرب إلى فلسطين المحتلة عبر الممرات الجبلية اللبنانية. كما قامت برفقة المتآمرين معها بسرقة الملايين من بنوك وشركات لبنانية، وتمّ تهريب الأموال إلى «إسرائيل». ويوم 9 تموز 1962، أي بعد 14 عاماً من التجسس والعمل للموساد أوقفها الجيش اللبناني، إضافة إلى عدد من الذين عملوا معها في شبكتها التجسسية، وذلك بعد عملية أمنية قادها الضابط اللبناني في سلك المخابرات اللبنانية «جورج بركات».

وفي 25 تموز 1962، حُكم على شولاميت كوهين بالإعدام قبل أن يخفف حكمها إلى السجن لمدة 20 سنة. ولكن في عام 1967 أُطلق سراحها في عملية تبادل أسرى بعد حرب الأيام الستة[1].

فالطائفة اليهودية التي كانت تضم أكثر من 22,000 يهودي في العام 1948، انحصرت بـ 3000 شخص بعد حرب 1967. وبعد السنة الأولى من الحرب في العام 1976، لم يتبق منهم إلا 500 يهودي لبناني.

اليوم لا يتعدى عدد اليهود في لبنان 200 شخص معظمهم كبار في السن. «لا نعرف شيئاً عنهم، يوجد كم

(1) «جريدة الديار»، تاريخ 23 نيسان 2010.

واحد ما حدا بيعرف شي عنهم»، هذه الأجوبة التي تصادفك عندما تسأل عن يهود لبنان، وفي حال نجحت في الوصول إلى أحدهم لا يجب أن يفاجئك رفضه القاطع للكلام.

والجدير ذكره أنه ما زال في لبنان طائفة يهودية معترف بها رسمياً، تتألف من العشرات يقيمون في ضواحي «بيروت الشرقية»، وأن ممثل هذه الطائفة المدعو «جوزف مزراعي»، كان يقيم في بيروت حتى العام 2003 قبل أن يغادر إلى فرنسا[1].

وعندما اجتاحت إسرائيل لبنان عام 1982، ودخلت بيروت في صيف العام نفسه، عرضت الحكومة الإسرائيلية الهوية الإسرائيلية على من تبقى من اليهود اللبنانيين. وبحسب تقرير صدر عن الصحيفة البريطانية «ذي تايمز» في آب 1982 جاء فيها: «لم يقبل أي يهودي لبناني الهوية الإسرائيلية»، وأكدت «ليزا» التي ما زالت تقيم في وادي أبو جميل، وسط بيروت بقولها: عُرِضت عليّ الهوية الإسرائيلية عندما أتى «أرييل شارون» إلى بيروت عام 1982، ولم أكن الوحيدة التي رفضتها آنذاك، لست ولن أكون إسرائيلية أبداً. وتقول ليزا: لم تكن الصهيونية جذابة بالنسبة إلى أغلبية اليهود

(1) يولا أسطيح: «يهود لبنان»، النشرة الإلكترونية اللبنانية، تاريخ 22 آب 2009.

العرب الذين هربوا إلى إسرائيل، لكن لم يكن أي بلد آخر مستعداً لاستقبالهم كلاجئين[1].

واليهود طائفة تحولت إلى مجموعة من الأفراد تبحث عنهم فلا تجدهم، وإن وجدت أحداً منهم، فهو يرفض التحدث مع أحد، وإن تحدث فكلامه مختصر جداً. مع الإشارة إلى أن الوجود اليهودي في لبنان تاريخي يستدل عليه من خلال أسماء بعض الشوارع التي عُرفت بهم، وبخاصة في بيروت تحت اسم «وادي اليهود»، أو في صيدا باسم حارة اليهود[2]. وفي طرابلس حيث يوجد 43 يهودياً مسجلاً على لوائح الشطب الصادرة عام 2009، عاش حتى سنة 1948 حوالى 150 عائلة كانت في حي اليهود الذي ما زال حتى اليوم. وكانوا يتفاعلون مع السكان، ويعملون في المهن التي تتطلب عملاً دقيقاً، فيصبغون الملابس وينسجون الحرير، ويعملون في الذهب والتجارة ويشترون العقارات. وهذا الوجود موثق حتى اليوم عبر تخصيص صناديق اقتراع لليهود في كل الانتخابات التي حصلت بعد الطائف 1990، برلمانية كانت أو بلدية أو اختيارية، وسجلات وزارة الداخلية في لبنان تطلق عليهم اسم الطائفة الإسرائيلية[3].

(1) يولا أسطيح: «يهود لبنان»، (المرجع نفسه).
(2) «جريدة صدى البلد»، تاريخ25 آب 2008.
(3) «جريدة المستقبل»، تاريخ 18 نيسان 2011.

وقد ضمت لوائح الشطب التي جرت على أساسها الانتخابات النيابية للعام 2009، 5390 يهودياً لبنانياً، انتخب منهم 5 أشخاص في دائرة بيروت الأولى.

يهود لبنان يطلقون أعمال ترميم كنيس «ماغن دايفد إبراهيم» الموجود في وادي أبو جميل، وسط بيروت. وأبناء الطائفة اليهودية في لبنان هم المعنيون والممولون مالياً للترميم الذي قد يستغرق عاماً، والمبلغ المطلوب يصل إلى حدود المليون ونصف المليون دولار. وليس بعيداً عن كنيس «ماغن دايفد إبراهيم» في وادي أبو جميل المدفن اليهودي في السوديكو، وسط بيروت، الذي يحرسه رجل يهودي يهتم بتنظيفه، والقبور اليهودية في السوديكو يعود بعضها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى ليتوقف الزمن عند 1975[1].

أما العائلات اليهودية اللبنانية الأبرز هي: مزراحي، مغربي، بينحار، كوهن، سرور، درويش، زيتوني، ليفي. أما ما تبقى من معالم يهودية إلى جانب كنيس وادي أبو جميل، ومقبرة السوديكو، مدرسة عبرية مهجورة، ومدفن مهجور في صيدا لجهة الجنوب، وكنيس في دير القمر مقفل منذ العام

(1) يولا أسطيح: «يهود لبنان»، (المرجع السابق).

1977[1]. أما في طرابلس وبحمدون وصيدا، فلا يزال هناك معابد مهجورة، أقفلت أيضاً منذ اندلاع الحرب اللبنانية في العام 1975[2].

(1) يولا أسطيح: «يهود لبنان»، (المرجع نفسه).
(2) «جريدة السفير»، تاريخ 8 أيار 2010.

اليهود في مصر

تعود علاقة اليهود بمصر إلى زمن نزول أولاد يعقوب فيها، وبقاء بعضهم بعد خروج النبي موسى من مصر. وإن كان الثابت تاريخياً وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد.

وعند الحديث عن الأوضاع اليهودية في مصر، يمكن التأكيد أن الطائفة اليهودية شهدت خلال القرن التاسع عشر، ومنذ أن تولى محمد علي باشا البلاد (1805ـ1848)، تطوراً وازدهاراً. وفي عهد الخديوي إسماعيل كان معظم المستثمرين من اليهود. وقد بلغ عدد أبناء الطائفة اليهودية عام 1897، 50,000 نسمة[1].

وكان ليهود مصر علاقات قوية بفلسطين، وذلك لعدة عوامل. لكن الحركة الصهيونية حاولت استغلال هذا الأمر لتمد نشاطها باتجاه يهود مصر، فزار هرتزل مصر عام 1904، لبحث مشروع الاستيطان اليهودي مع السلطات،

(1) عبد القادر ياسين: «القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري»، دار ابن خلدون، بيروت 1981، ص 74.

واستقبلته العائلات الرأسمالية اليهودية، وكان هذا بداية نشاط صهيوني تجلّى في تأسيس عدد من يهود الإسكندرية عام 1908 جمعية «بني صهيون» التي أيدت مقررات مؤتمر «بال» ثم تألفت جمعية أخرى حملت اسم «زئير صهيون».

وفي بدايات الحرب العالمية الأولى (1914ـ1915)، رحّلت الدولة العثمانية عدداً من يهود فلسطين وسوريا لقيامهم بنشاطات معادية للدولة، فاستقبلتهم الحكومة المصرية لدواع إنسانية، وكوّنت لهم مركزاً للاجئين في الإسكندرية، وشكلوا فيما بعد فرقة يهودية سميت «راكبي البغال»، خدمت قوات الحلفاء في العمليات العسكرية[1].

وفي عام 1942، كان الرأسماليون اليهود يساهمون في إدارة عشرات الشركات المتنوعة، كما كانوا يسيطرون على جانب كبير من رؤوس أموالها. وكانت تجارة الذهب والقطن والمنسوجات، هي أهم الأدوات في الاقتصاد المصري في أيدي اليهود. وبلغ إسهام اليهود في الحياة السياسية المصرية القمة بتعيين أول وزير يهودي في تاريخ مصر الحديث ألا وهو «يوسف قطاوي باشا» الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول سنة 1924، وقد أولت الحركة الصهيونية العالمية اهتماماً كبيراً لمصر لعدة اعتبارات أهمها أن مصر

(1) «مجلة فلسطين»، العدد 131، شباط 1972، ص 34.

تقع على أبواب فلسطين، وفيها طائفة يهودية كبيرة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في خدمة الصهيونية[1].

وبعد الاحتلال البريطاني، فتحت البلاد أمام الأجانب، فكان من نتيجة ذلك توافد اليهود إلى مصر حتى بلغ عددهم طبقاً لإحصاء عام 1947 نحو 63965 نسمة، منهم 5 آلاف حاصلون على الجنسية المصرية.

وفي العام 1948 وصل عدد اليهود في مصر إلى 80,000 نسمة، كان ثلاثون ألفاً يحملون الجنسيات الأجنبية[2].

وفي مصر تمتعت الطائفة اليهودية بموقع مميّز، حيث تغلغل أفرادها في معظم مجالات العمل الاقتصادي، في التجارة والصناعة والمصارف، وفي ميدان النشاطات المالية حيث ساهم يهود مصر في إنشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945، برزت إلى العلن جملة تناقضات بين الحركات الوطنية من جهة، وبين الاستعمار من جهة أخرى[3].

اندفع الصهيونيون يبسطون سيطرتهم على التعبيرات العلنية

(1) «مجلة فلسطين»، العدد 131، شباط 1972، ص 34.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.

(3) عبد القادر ياسين: «القضية الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 74.

للطائفة اليهودية في مصر، كالنوادي وفِرق الكشافة، وسيطر الاتجاه الصهيوني على «مكابي القاهرة»، واستخدموه في الإعداد لتهجير اليهود إلى فلسطين، بالمحاضرات، والتهيئة الإيديولوجية، وتوزيع التصاريح لدخول فلسطين[1].

أما على صعيد الصحافة، لقد بدأت علاقة اليهود بالصحافة المصرية مبكراً حينما أصدر «يعقوب صَنوع» صحيفتين باللغة الفرنسية، والأخرى جريدة هزلية وهي المعروفة باسم «أبو نضارة». وقد تنوعت أهداف اليهود من وراء إصدار هذه الصحف ما بين صحف صدرت مدعومة من بريطانيا أو فرنسا كصحيفة «الحقيقة» التي صدرت عام 1889. كما سعى بعض اليهود في الوقت نفسه لإصدار بعض الصحف لكسب ثقة الحركة الوطنية حينها. فقد أصدر «ليون كاسترو» رئيس فرع المنظمة الصهيونية العالمية في مصر جريدة حملت اسم «الحرية» في عام 1921 باللغة الفرنسية لخلق رابطة بين الحركة الوطنية في مصر والحركة الصهيونية باعتبارها حركة وطنية تحارب عدواً مشتركاً هو بريطانيا[2].

كما صدرت بعض الصحف لدعم المشروع الصهيوني

(1) سهام نصار: «صحافة اليهود في مصر بين ادعاء الانتماء وتكريس العزلة» (محاضرة)، الندوة السنوية لجمعية الدراسات التاريخية، القاهرة، تاريخ 22/ 4/ 2008.

(2) أحمد غنيم وأحمد أبو كوف: «اليهود والحركة الصهيونية في مصر، (المرجع السابق)»، ص 21.

فقط، ولتكوين أرضية جيدة له داخل الطائفة اليهودية، وكان بعضها يتبنى المشروع القومي اليهودي حتى قبل مولد الحركة الصهيونية رسمياً في مؤتمر «بال» عام 1897، ومن أهم تلك الصحف صحيفة «نهضة إسرائيل»، التي صدرت عام 1890، و«الرسول الصهيوني» عام 1902، و«مصرايم» عام 1904، وبعدها توالى العديد من الصحف الصهيونية «الشمس» والمجلة «الصهيونية»، و«الفجر» و«كاديما» والصوت اليهودي والمنبر اليهودي[1].

لقد اهتمت هذه الصحف بالدعوة إلى إصلاح أوضاع الطائفة اليهودية في فلسطين. وقامت تلك الصحف بنشر الوعي بالفكرة الصهيونية، والدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين. كما ساهمت بشكل كبير في الدعوة إلى جمع التبرعات للصناديق اليهودية المختلفة[2].

كانت العائلات اليهودية قطاوي وسواس ومنسي وحوصيري في مصر، الركيزة الأهم في الميدان الاقتصادي، لدرجة أنهم كانوا مواطنين من النخبة، خصوصاً الثقافية والاقتصادية، حيث كانوا يملكون قبل ثورة 1952، 103 شركات من إجمالي 308 شركات مسجلة في مصر. وعلى

(1) سهام نصّار: «صحافة اليهود...»، (المرجع نفسه).
(2) سهام نصار: «صحافة اليهود...»، (المرجع نفسه).

هذا فقد لعبت العائلات اليهودية دور الوسيط لرأس المال الأوروبي في المجتمع المصري، أي دور الجماعة الوظيفية المرتبطة بالاستعمار الأجنبي[1]. ومع تزايد القوى الوطنية ونشاطها في القطاع الاقتصادي تراجع نشاط الجاليات الأجنبية بما في ذلك نشاط العائلات اليهودية، جاء ذلك مع إلغاء الامتيازات الأجنبية وصدور قوانين التمصير عام 1947، ثم قيام الثورة عام 1952، بتوجهاتها الاقتصادية القومية التي تبلورت بشكل واضح في قرارات التأميم التي كانت موجهة ضد الممولين الأجانب والمصريين الذين كانت ترى الثورة أن نشاطهم يربط الاقتصاد المصري بعجلة الاستثمار الأجنبي، ويعوق عمليات التنمية من خلال الدولة. وهذا ما دفع غالبية أفراد العائلات اليهودية عام 1957 إلى الهجرة إلى أوروبا بعدما شعروا بتضاؤل الأرباح وانكماش المناخ الاستثماري في مصر[2].

(1) منى محمود منازع: «اليهود والاستثمارات الأجنبية في مصر» (محاضرة)، الندوة السنوية لجمعيات الدراسات التاريخية، القاهرة 22/ 4/ 2008.

(2) منى محمود منازع: «اليهود والاستثمارات...»، (المرجع نفسه).

يهود المغرب العربي

بدأ وجودهم في المنطقة بعد اضطهادهم دينياً في إسبانيا، وفرارهم إلى شمال أفريقيا، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وفي القرن العشرين في أعقاب التغلغل الأوروبي. وعندما احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830، وتونس عام 1881، والمغرب عام 1882 عمدوا إلى خلق تكتلات يهودية منفصلة بين السكان، وشجعوهم ليكونوا مراكز في وسط الأوروبيين المستعمرين. لذا أصبح اليهود والأوروبي في فترة الاحتلال مجتمعاً واحداً، وهذا ما دعاهم إلى الخروج بأعداد كبيرة من شمال أفريقيا بعد انتهاء الحكم الفرنسي[1].

وفي نهايات القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر كان للمهاجرين اليهود الذين قدموا من المغرب العربي تأثير ملحوظ في الاستيطان اليهودي في فلسطين. وشهدت هذه الفترة تحولاً هاماً ظهر في تفضيل هؤلاء على سائر يهود البلدان الإسلامية. وكان للدعاية

(1) «مجلة فلسطين»، العدد 131، شباط 1972، ص 36.

الفرنسية والأوروبية التي حظيت بها بعض العائلات المهاجرة إلى فلسطين من أصل مغربي، أثرها في تزايد قوتهم بين المهاجرين[1].

وعلى أبواب القرن العشرين، وفي الفترة الممتدة بين 1897ـ1911، وبعد تعيين اللجنة الصهيونية العالمية الدكتور «فالنسين الجزائري» ممثلاً للحركة الصهيونية في دول المغرب العربي، بدأت معه حركة نشاط صهيونية، تمثلت في بث مقررات مؤتمر «بال» في بلدان شمال أفريقيا، وأثمرت قيام عدة روابط يهودية، عملت على توزيع أسهم الاستيطان في فلسطين، ومنها: رابطة «بركو خفا» مؤسسها «ماركو باروخ» عام 1897 في القاهرة، ومن أفكارها الدعوة إلى احتلال فلسطين بالقوة، وتدريب اليهود عسكرياً، حتى يصبح بمقدورهم تشكيل نواة الجيش اليهودي. وأسست الرابطة فرعاً لها في الإسكندرية. غير أنها توقفت عن العمل عام 1904 لأنها واجهت صعوبات مالية وتنظيمية. وحلّت مكانها في السنوات السابقة للحرب عدة روابط يهودية[2].

(1) أبرز هذه العائلات: طوليدانو، بلهول، عبو...

(2) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية، 1850ـ1950»، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مجلة عالم المعرفة، العدد 197، أيار 1995، ص ص 339ـ340.

تونس: اتسمت حياة أبناء الطائفة اليهودية بسيطرة العادات والتقاليد على أوجه المجتمع كافة. وتمسكت بعض الطوائف التي سكنت «جربا» بالتقاليد اليهودية. وأسس اليهود في تونس «رابطة صهيون» عام 1911[1].

لقد وصل عدد اليهود في تونس سنة 1997 إلى 2,000 يهودي. وتقطن الجماعة اليهودية بشكل رئيسي في تونس العاصمة، وهناك تجمعان صغيران لليهود في الحارة الكبيرة والحارة الصغيرة داخل جزيرة جربا، حيث يعيش نحو 900 يهودي. كما يقطن نحو 200 يهودي في منطقة سوسة ـ المنستير.

ويعود وجود الجماعة اليهودية في تونس إلى عام 200م[2].

يهود المغرب: تأثرت الحياة اليهودية في مناطق عديدة من المغرب بالشخصيات اليهودية التي كان ينظر إليها بوصفها شخصيات تنتمي إلى عالم الأولياء والقديسين، وكان الإفراط في الولاء إلى هؤلاء القادة يُعد في منزلة إحدى الظواهر المميزة لحياة يهود المغرب، خصوصاً بالنسبة إلى الطبقات

(1) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية»، (المرجع السابق)، ص 416.

(2) نبيل السهلي: «الطائفة اليهودية في البلاد العربية»، دمشق 2005، ص 75.

الشعبية في المجتمع اليهودي التي شكلت غالبية أبناء المجتمع اليهودي.

أما موقف السلاطين في المغرب تجاه اليهود فكان طيباً وجيداً. فقد عرف عن المولى عبد الرحمن (1833ـ1855)، تبنيه لموقف طيبب من اليهود، إذ منح التجار اليهود تسهيلات عديدة أتاحت لهم فرصة التنقل بحرية في أرجاء المغرب، والسفر منها والعودة إليها[1]. كما سعى ابنه المولى محمد (1859ـ1873)، إلى تحسين أوضاع اليهود القانونية.

وقد شكّل يهود المغرب عشية الحرب العالمية الأولى 10% من التعداد الكلي للسكان في المدن الكبرى، الدار البيضاء، مراكش، فاس، مكناس، الرباط، كما كان لليهود وجود قوي في بعض المدن جنوب المغرب مثل مدينتي أربود وريساني.

أسس اليهود في المغرب عام 1900 «رابطة أبواب صهيون» ورابطة «العودة إلى صهيون». وفي مدينة فاس تأسست رابطة «محبة صهيون» وقد امتد نشاطها إلى مدينة «مكناس»[2].

(1) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية»، (المرجع السابق)، ص 312.

(2) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلدان الإسلامية»، (المرجع نفسه)، ص 408ـ416.

يهود ليبيا: استمر اليهود في العيش ضمن جو من الراحة النفسية مع مجيء الاحتلال الإيطالي سنة 1911، كما أنهم خطوا خطوات كبيرة في مجال التعليم، ووصل عدد اليهود في تلك الحقبة إلى 21 ألف شخص، عاش معظمهم في مدينة طرابلس. وأثناء الاحتلال الألماني لمدينة بنغازي سنة 1942 دمر الألمان المؤسسات التجارية اليهودية هناك، وطردوا أكثر من 200 يهودي نحو الصحراء[1].

وفي عام 1948، واجهت الجالية اليهودية في ليبيا هجمات عنيفة غادر على أثرها معظم يهود ليبيا واتجهوا إلى «إسرائيل» بعد إعلانها مباشرة. وحتى عام 1969، لم يبقَ إلا 500 يهودي في ليبيا[2].

لا بدَّ من الإشارة إلى أن الدول العربية عاملت اليهود معاملة جيدة طوال وجودهم فيها، حيث كان اليهود عبر التاريخ جزءاً من النسيج الاجتماعي لهم كامل حقوقهم كالمواطنين العرب.

(1) نبيل السهلي: «الطائفة اليهودية...»، (المرجع السابق)، ص 75.

(2) نبيل السهلي: «الطائفة اليهودية...»، (المرجع نفسه)، ص 75.

الفصل السادس

المشروع اليهودي والدولة الصهيونية المعاصرة

ـ الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مشروع الاستيطان

تزايدت مركزية فلسطين في وعي يهود الشرق منذ القرن التاسع عشر. وساهمت العوامل السياسية منذ ذلك الحين في توثيق علاقات يهود الشرق بيهود فلسطين. ومن بين عوامل تزايد قوة اليهود في فلسطين، أن السلطات العثمانية اعترفت عام 1840 بصلاحيات رئيس الطائفة اليهودية «أهريشون لتسبيون» ومنحته لقب «حاخام باشي». وتزايدت منذ ذلك الحين قوة الحاخامات في فلسطين كرجال دين ذوي صلاحيات واسعة. وخير دليل على ذلك، أن حاخامات اليمن كانوا يبعثون بتساؤلاتهم في الفقه اليهودي إلى حاخامات القدس.

ولقد مرت هجرة اليهود الشرقيين إلى فلسطين بعدة مراحل، وبالإمكان تمييزها بالآتي:

ـ هجرة فردية: 1812-1880: كانت المرحلة الأولى محدودة جداً، بدأت من كردستان خلال عام 1812، ثم

المرحلة الثانية التي أتت من إيران في الأعوام 1815ـ1841، وبعدها كانت هجرة يهود العراق 1818ـ1856، ومن بخارى 1827ـ1871، ومن اليمن ابتداء من عام 1855.

ـ هجرة جماعية: 1880ـ1914[1].

خلال هذه المرحلة وصل إلى فلسطين أعداد كبيرة من يهود الشرق (عشرة آلاف مهاجر). وقد شكلوا حوالى 10 بالمائة من التعداد الكلي لليهود في فلسطين. وخلال الحرب العالمية الأولى توقفت هذه الهجرة بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية. وقد تمّت هجرة يهود اليمن بدءاً من العام 1881ـ1882 بـ 200 يهودي، وفي العام 1885، وصل منهم 450 فرداً. وهاجر إلى فلسطين عام 1907 حوالى 220 يهودياً من مدينة «صعدة» ومحيطها[2].

إن خصوصية قيام «إسرائيل» تجعل من غير الممكن الحديث عن تطور السكان دون الحديث عن الهجرة، أو الحديث عن الأرض دون الإشارة إلى الميل إلى التوسع الإقليمي. والحديث عن سكان «إسرائيل» وأرضها لا يكتمل

(1) صموئيل أتينجر: «اليهود في البلاد الإسلامية، مشروع الاستيطان، (1850ـ1950)»، ص ص 139ـ140.

(2) «مجلة الشراع»، العدد 353، 26 كانون الأول/ديسمبر 1998، ص 48.

بغير الحديث عن الاستيطان. فالاستيطان هو المشروع الصهيوني متجسداً في الواقع، وهو العملية التي يتم عبرها زرع العنصر البشري اليهودي في فلسطين. إن الاستيطان هو الهدف قبل أي شيء آخر، ولا يغفل العامل الاقتصادي أو السياسي أو العسكري. فتاريخ الاستيطان هو تاريخ «دولة إسرائيل»، لأنه ظهر مع نشأة الحركة الصهيونية ومنظماتها العالمية. وقد تركز الوجود اليهودي في بداياته، في مدن: صفد، طبريا، القدس. فيما احتلت مجموعات استيطانية زراعية أماكن محدودة على الساحل الفلسطيني. وقد ارتبط وجودها بجهود أصحاب الثروات الكبيرة من اليهود، في الخارج. وحتى عام 1898، بلغ مجموع المستوطنات اليهودية 22، قدرت مساحتها بحوالى 200 ألف دونم، وبلغ عدد سكانها 4900 نسمة. ولم يتعد إجمالي عدد اليهود في فلسطين آنذاك 25 ألف نسمة.

في العام 1901 ارتفع عدد المستوطنات إلى 47، أقيم 14 منها بدعم المنظمة الصهيونية العالمية[1]. وشهدت مرحلة الاستيطان والهجرة غير الشرعية، هجرة حوالى 40 ألف يهودي من بلدان الشرق إلى فلسطين، نصفهم كان من اليمن،

(1) عبد الرحمن أبو عرفة: «الاستيطان: التطبيق العملي للصهيونية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981، ص 201.

وبعضهم الآخر أتى من إيران وكردستان وأفغانستان وبخارى والعراق.

وكان موضوع الهجرة إلى فلسطين، من أول أهداف الوكالة الصهيونية. وبمقارنة الهجرة قبل الانتداب بالهجرة بعده، نرى كم كان أثر الاستعمار البريطاني حاسماً على هذا الصعيد. وتشير المصادر الإسرائيلية إلى تطور عدد المهاجرين خلال المرحلة الممتدة بين 1882 و1919:

1882	1900	1914	1919_1916
24 ألفاً	50 ألفاً	85 ألفاً	56 ألفاً

وفي مكان آخر، تذكر هذه المصادر أنه هاجر إلى فلسطين خلال الفترة نفسها، عدد راوح بين 50 و75 ألف نسمة وذلك على دفعتين:

الدفعة الأولى: 1882_1903	الثانية: 1904_1914
20 _ 30 ألفاً	35 _ 40 ألفاً

وعلى هذا فإن من المفترض أن يكون قد وصل عدد اليهود المهاجرين عام 1914 إلى ما بين 79 و94 ألفاً. ومن مقارنة العدد الفعلي لليهود في فلسطين عام 1919، 56 ألفاً، بالعدد المفترض الذي هو حاصل جمع العدد الأصلي عام 1882، والهجرة التي حدثت، نلاحظ أن هناك نقصاً في عدد المهاجرين يراوح ما بين 23 ألفاً و38 ألفاً. هذا الفرق

الحاصل نتج عن أن العدد ممن هاجروا بين 1882 و1914 كانوا يغادرون فلسطين بهجرة معاكسة[1].

اتسعت أعمال اليهود ونمت مصالحهم في فلسطين، ووجدوا تحت أجنحة الوكالة اليهودية والمجلس العام «فادلومي» Vaadleumi الحماية والعطف، فتكوّنت طوائف يهودية مختلفة ومتماسكة، توافرت لها جميع الإمكانات والشروط لقيام حكومة مستقلة عدا الشرط الأساسي وهو السيادة الإقليمية. لذا عملت الهيئات اليهودية منذ قدومها إلى فلسطين على شراء الأراضي من العرب، وإغرائهم بكل الطرق. كما حرموا استخدام العرب في الأراضي التي يشترونها منهم، ومنعوا إعادة انتقال الأراضي بالبيع إلى العرب[2].

وفي الثلاثينات من القرن العشرين اجتاحت أوروبا عاصفة النازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا. خلالها اتخذت المجموعة الصهيونية الألمانية، منذ عام 1933 موقف المصالحة والاتفاق مع ألمانيا الهتلرية، بينما اتخذت بقية المنظمات اليهودية جانب الحلفاء. وعلى الرغم من أن

(1) حسين أبو النمل: «الاقتصاد الإسرائيلي...»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1988، ص 30ـ31.

(2) محمد رفعت بك: «قضية فلسطين»، القاهرة، دار المعارف 1947، ص 62.

الحكومة الألمانية كانت تضطهد اليهود الألمان، فهي كانت تتحاور مع القادة الصهاينة في ألمانيا، وتعاملهم بالحسنى[1]، ما أدى إلى نزوح آلاف من اليهود بعيداً عن وطنهم الأصلي حاملين معهم ثرواتهم وكفاءاتهم، ودخلوا فلسطين عن طريق الهجرة غير الشرعية.

وبعد أن كان عدد المتسللين إلى فلسطين يراوح ما بين 4000 في سنة 1931، و5000 في سنة 1933، قفز عددهم في عام 1934 إلى 46000 مهاجر. وفي عام 1935 بلغ عددهم أكثر من 60,000 يهودي.

في الفترة الممتدة بين الأعوام 1919 و1937[2]، هاجر عدد من يهود أوروبا إلى فلسطين. وفي ما يلي جدول بعددهم والنسبة المئوية لكل بلد:

الدولة	عدد المهاجرين	النسبة المئوية
بولندا	131,249	%42
ألمانيا	35,346	11
روسيا	30,718	10
رومانيا	15,528	5

(1) «مجلة فلسطين»، السنة الثانية عشر، شباط 1972، ص27.
(2) مجلة فلسطين، (المرجع نفسه).

فضلاً عن مهاجرين من لتوانيا واليمن والولايات المتحدة، وجهات متفرقة. ويلاحظ أن معظمهم قدموا من دول أوروبا الشرقية، أما يهود أوروبا الغربية (فرنسا، إنجلترا، بلجيكا..) فقد اندمجوا في الشعوب التي أقاموا بين ظهرانيها وتجنسوا بجنسياتها. وعمل هؤلاء على مد المنظمة الصهيونية العالمية بالمال والنفوذ السياسي والأدبي، لتحقيق مشروع «دولة إسرائيل» في فلسطين[1].

وفي بدء موجة الهجرة الثالثة، مع شرعنة سلطات الانتداب الدخول اليهودي إلى فلسطين، وتأسيس قسم الاستيطان في المنظمة الصهيونية، وإنشاء الصندوق القومي اليهودي، توسعت النشاطات الاستيطانية، واكتسبت أبعاداً عقائدية مع نظام «الموشاف». وفي غضون هذا النشاط، تحرك الشعب الفلسطيني لمواجهة تساهل بريطانيا تجاه الهجرة. لذا تنادى الفلسطينيون لعقد المؤتمرات التي وصلت إلى سبعة، خلال عهد الانتداب، وركزت على مسألة منع الهجرة في مقدمة المطالب الوطنية، وقد أدمجت في طلب الميثاق الوطني[2].

(1) «مجلة فلسطين»، السنة العاشرة، تموز 1970، ص 36.
(2) محمد رفعت بك: «قضية فلسطين»، القاهرة، دار المعارف 1947، ص 62.

ويذكر السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، أنه في 29 آذار/مارس 1930، التقى وفد فلسطين في لندن، برئاسة موسى كاظم الحسيني رئيس الوزارة البريطانية «رامزي ماكدونالد»، ووزيرالمستعمرات «باسفيلد». وخلال الجلسات دارت مناقشات، حاولت بريطانيا فيها إقناع الوفد الفلسطيني بالموافقة على سياستها في فلسطين، مقابل تلبية مطالب الشعب الفلسطيني بتأليف حكومة وطنية فلسطينية. هذا الطلب، رفض بشدة من جانب الوفد[1]. وأمام المراوغة البريطانية، سافر الوفد إلى جنيف، فالتقى الأمين العام لعصبة الأمم «أريك دراموند»، وشارك في الوفد الأمير شكيب أرسلان، وإحسان الجابري، عضوا الوفد السوري ـ الفلسطيني المقيم في جنيف. ويقول الحسيني: «عند مقابلتنا له، رفضنا صك الانتداب لأنه خطأ فادح بحق الشعب الفلسطيني، إلا أن الأمين العام أجاب بالقول: إن بريطانيا هي من وضع الصك وفرضه».

ويشير الحسيني إلى أنه وبعد عودة الوفد إلى فلسطين، أرسلت بريطانيا لجنة «سمبسون» لدرس أوضاع فلسطين وقدرتها على استيعاب المهاجرين. وقد قدمت تقريراً ذكرت

(1) أسامة الغزالي حرب: «مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1978، ص 74.

فيه: أن فلسطين مكتظة بسكانها.. وأن ما تستوعبه منهم (اليهود) الآن هو أكثر من طاقتها (كان عددهم حينها 170 ألفاً) كما أن أرضها لا تكاد تكفي سكانها.

وعملاً بتقرير «لجنة سمبسون» و«لجنة شو»، أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً «أبيض» قررت بموجبه منع الهجرة وبيع الأراضي[1]. رغم ذلك، سار المندوبون الساميون البريطانيون في سياسة حكومتهم المخادعة، لتغطية خطط تهويد فلسطين وتخدير العرب. وبالتواطؤ مع المنظمة الصهيونية، شجعت بريطانيا الهجرة الرسمية اليهودية، وغير الرسمية، وتملك الأراضي، وتجنيس اليهود. وفي عهد المندوب السامي «آرثر واكهوب» 1931ـ1936 بلغ عدد المتسللين اليهود 88,530 ألفاً، وعدد المهاجرين الرسميين 164,267 ألفاً. ولم يتورع «واكهوب» عن الاعتراف بالحقيقة الخطرة، حين قال: «يحزنني جداً أن أرى عدداً كبيراً من اليهود يدخلون تهريباً بصورة غير شرعية، وعددهم لا يقل في الواقع عن عدد اليهود غير المهربين».

(1) «مجلة فلسطين»، إحصائية لعدد اليهود في فلسطين فتقول: إنه لم يكن في فلسطين منهم في القرن التاسع عشر سوى 10 آلاف نسمة. وفي عام 1919 بلغ عددهم 50 ألفاً مقابل 700 ألف مسلم ومسيحي..
«مجلة فلسطين»، العدد 131، السنة الثانية عشرة، شباط/فبراير 1972، ص 27.

وقد أكدت اللجنة الملكية البريطانية في تقريرها، تغاضي بريطانيا عن الهجرة غير المشروعة، التي كانت السمة البارزة في عامي 1933ـ1934. وجاء فيه: «كان اليهود المهربون يقطعون الحدود من سوريا وشرق الأردن ومصر أحياناً ليصلوا إلى المياه الفلسطينية في سفن مستأجرة لهذا الغرض، وينزلون الساحل تحت ستار الظلام، ليساعدهم على الدخول يهود مقيمون في فلسطين..»[1].

في المقابل، وقفت بريطانيا بكل أساليبها وتشريعاتها في وجه أية هجرة عربية أو غير عربية، حيث لم يدخل فلسطين خلال الفترة 1920ـ1937 سوى 20,073 مهاجراً من غير اليهود. وأشار «الكتاب الأبيض» الإنكليزي إلى أن عدد المهاجرين بالطُرق الرسمية ارتفع عام 1946 إلى 405,441 مهاجراً يهودياً، إضافة إلى 25 ألف يهودي دخلوا مع الجيش البريطاني أثناء الاحتلال، وتطور ارتفاعاً فوصل عام 1947 إلى 629 ألف مهاجر[2].

وتشير المصادر الإسرائيلية إلى أن موجات الهجرة الكبيرة التي تدفقت على فلسطين خمس، بدأت من الفترة الممتدة

(1) محمد رفعت: «تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية»، دار المعارف، القاهرة 1959، ص 25.

(2) شفيق الرشيدات: «فلسطين، تاريخاً وعبره ومصيراً»، دار الكاتب العربي، مصر 1968، ص 86.

بين 1932ـ1948، حيث وصلت نسبتها إلى 40,8 بالمائة من إجمالي الهجرة بين 1919ـ1948.

من ناحية ثانية، شكّلت أوروبا المصدر الرئيسي لتدفق المهاجرين، إذ بلغ معدلهم في تلك الفترة، حوالى 78 بالمائة. وتميّزت سنوات 1932ـ1938 بأخصب رفد يهودي مهاجر من أوروبا إلى فلسطين. وجاء ذلك نتيجة للاتفاقية التي وقعتها ألمانيا مع الحركة الصهيونية لتهجير اليهود الألمان. وقد بلغ العدد الإجمالي للمهاجرين من أوروبا 171,173 ومن أميركا وأوقيانيا 4589، ومن آسيا 16,272، ومن أفريقيا 1,212.

وفي سنوات 1939ـ1945 هاجر من يهود أوروبا 62,968 ألفاً، ومن أميركا وأوقيانيا 108، ومن آسيا 13,116 ألفاً ومن أفريقيا 1,072. وفي سنوات 1946ـ1948 وصل منهم 48,451 يهودياً أوروبياً، و1144 يهودياً آسيوياً، و138 يهودياً أميركياً، و906 أفارقة، وما مجموعه 36,379 يهودياً غير معروفين. هؤلاء عرّف عنهم بأنهم مهاجرون غير قانونيين دخلوا عن طريق السباحة[1].

ولم يكن للمهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين أي

(1) حسين أبو النمل: «الاقتصاد الإسرائيلي...»، (المرجع السابق)، ص ص 32ـ33.

رابط سوى الديانة اليهودية. فهم غرباء بالنسب والجذور والقومية واللغة والثقافة والحضارة عن المنطقة العربية وعن فلسطين. إنما دفعهم التعصب والعدوانية والأحلام المهووسة، والأساطير التي زرعتها الصهيونية، والمصلحة الاستعمارية الغربية. وهؤلاء النازيون الجدد يحملون جنسيات مختلفة، ويظهر الجدول تعدادهم وبلدانهم الأصلية التي جاؤوا منها منذ الأعوام 1919ـ1943.

الجنسية	العدد	الجنسية	العدد	الجنسية	العدد
بولندا	142,322	الولايات المتحدة	8,084	ألمانيا	45,051
تشيكوسلوفاكيا	10,904	الاتحاد السوفياتي	31,223	رومانيا	22,609
النمسا	9,908	جمهوريات البلطيق	14,8	اليونان	7,218
المجر	4115	تركيا	7,081	العراق	6,101
اليمن	14,020				

المجموع العام: 292,209.

وذكرت المصادر الإسرائيلية، أن العدد الإجمالي للمهاجرين في تلك الفترة وصل إلى 381,874 ألفاً. وإذا أنقصنا المجموع العام الوارد، من العدد الإجمالي يتبين أن

الفارق العددي هو 89,665 ألفاً، قد دخل فلسطين على قسمين:

القسم الأول: بلغ 47,815 جاء معظهم من البلاد الأفريقية والآسيوية والأوروبية.

القسم الثاني: بلغ 45,850 ألفاً، جاؤوا من أوروبا والولايات المتحدة في فترة الحرب العالمية الثانية.

ويقول «ألفرد ليلنتال» في كتابه «ثمن إسرائيل»: إن عدد اليهود بلغ في نهاية الحرب العالمية الثانية نصف مليون نسمة. ويلاحظ أن نسبة اليهود قد ارتفعت من 11 بالمائة عام 1922، إلى 32 بالمائة عام 1945. وقد زودت سلطات الانتداب البريطاني المستوطنين اليهود بالأسلحة الحديثة والدبابات، ليتسنى لهم الدفاع عن أنفسهم وكيانهم المزمع إنشاؤه، ومنعت عن عرب فلسطين حتى الدفاع عن أنفسهم وعن كيانهم..[1].

لقد كان للمنظمة الصهيونية دور بارز في تعقيد معيشة اليهود في مواطنهم الأصلية، وبالتالي حملهم على الاعتقاد بأنهم مطاردون من شعوب وأنظمة، ليتركوا البلاد التي وُلِدُوا فيها. وعن هذا الدور، يقول الشاعر الفلسطيني سميح

(1) ألفرد ليلنتال: «ثمن إسرائيل»، ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري، سلسلة كتاب الملايين، بيروت 1953، ص 27.

القاسم: «عبر التاريخ، كانت الحركات الصهيونية تلقي القنابل على منازل اليهود لحثهم على الرحيل. وكان قائد هذه المجموعات في البلاد العربية «شلومو هليل» الذي أصبح فيما بعد وزيراً للشرطة الإسرائيلية في الكيان الصهيوني»[1]. وعن أولويات إنقاذ يهود أوروبا من اضطهاد النازية، يقول «أيفون جلبر» في كتابه «سياسة الصهيونية وقدر اليهودية» ص 119، الملجد الثالث: «لم يكن إنقاذ يهود أوروبا في رأس أولويات الطبقة القائدة الصهيونية، بل إن تأسيس دولة إسرائيل هو الذي كان يتمتع بالأولوية في عيونهم..».

وفي مكان آخر، يؤكد هذا القول «بن غوريون» عام 1938، أمام قادة حزب العمل الصهيوني، «أنه لو كان يخيّر بين إنقاذ كل أطفال ألمانيا بأخذهم في إنكلترا، أو إنقاذ نصف الأطفال بحملهم إلى أرض إسرائيل، فإنه سيختار الحل الثاني. ذلك أنه علينا أن لا نحسب حياة هؤلاء الأطفال، بل علينا أن نركز الاهتمام على تاريخ شعب إسرائيل»..

ويلاحظ أنه بعد إعلان فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا، بعث «وايزمان» رئيس الوكالة اليهودية إلى الوزير الأول البريطاني «شامبرلاين»، رسالة يعلمه فيها بوقوف اليهود إلى جانب الحلفاء في حربهم «من أجل الديمقراطية»، فضلاً

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 17 آذار 2001.

عن وضع كل إمكانات اليهود في العالم لخدمة بريطانيا في الحرب، وبالتالي أصبح يهود ألمانيا وإيطاليا ضمناً بحالة عداء مع دولتيهما. هذا الواقع أوقع اليهود في كلا البلدين في أتون المحرقة (هذا إذا كان هناك محرقة) مما حتم، بعد أن نشرت رسالة «وايزمان» في مجلة Jewish Chronical في 8 أيلول/سبتمبر 1939 أن سيق العديد منهم إلى معسكرات الاعتقال، بتهمة معاداة الدولة الألمانية الهتلرية. هذا الأمر، سبق أن فعلته حكومة الولايات المتحدة، حين أعلنت الحرب على الامبراطورية اليابانية، فساقت مواطنيها ذوي الأصول اليابانية إلى السجون[1].

كيف يمكن إنقاذ اليهود، وهم الآمنون في بلادهم الأصلية، وفي الوقت نفسه تزجهم المنظمة الصهيونية وتضعهم في دائرة الاتهام، وفيما بعد يضعون اللوم باضطهاد اليهود على دول أوروبا خصوصاً ألمانيا. ويقول الكاتب «توم سيغف» في كتابه «المليون السابع» ص 119: «أن نحاول إنقاذ أولئك (اليهود الألمان) الذين يمكن أن يكونوا نافعين لدولة إسرائيل أو لليهودية.. يبدو الأمر مفجعاً، ولكن كان علينا أن نقرر بوضوح أنه إذا كنا نستطيع إنقاذ 10 آلاف

(2) محمد رفعت: «تاريخ حوض البحر المتوسط...»، (المرجع السابق)، ص 25.

شخص من بين خمسين ألفاً، الذين يمكنهم أن يساعدوا في بناء إسرائيل والبعث القومي، وأهملنا المليون يهودي الذين سيصبحون عبئاً علينا، أو عدداً لا قيمة له، فأنا أفضل الاقتصار على العشرة آلاف، الذين يمكن إنقاذهم بالرغم من نداءات واتهامات المليون من المهملين».

وهناك مصادر صهيونية تؤكد أن العلاقة مع النازية، كانت أكثر من جيدة، فيما كان النظام الهتلري، في الوقت نفسه، يحبذ التخلص من اليهود الألمان. وقد التقت مصلحة الطرفين، بعد أن أظهر النازيون رغبتهم في مساعدة المنظمة الصهيونية على إقامة دولتهم وتجميع اليهود فيها. ولا يستبعد حصول تواطؤ بين قادة المنظمة وبعض الضباط النازيين لافتعال حالة رعب وهلع، وقتل ومجازر بين اليهود الألمان والأوروبيين، ليتم اقتلاعهم من جذورهم فيصبحوا صيداً سهلاً للوكالة اليهودية ليتم نقلهم إلى فلسطين[1].

(1) شفيق الرشيدات: «فلسطين. . .»، (المرجع السابق)، ص ص 108-109.

إعلان دولة إسرائيل عام 1948
(يوم النكبة)

منذ نشأة الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، كان جلياً البعد الديمغرافي في تطلعاتها حيث أشاعت فكرة «أرض بدون شعب لشعب بدون أرض». وقد انتقلت في تكتيكاتها لتجسيد الحلم الصهيوني من ترسيخ مواطئ القدم إلى التمدد ثم السيطرة، ومن ذلك تأكيد السيادة[1].

وليس صدفة أنه في الوقت الذي انشغل فيه العالم بعد الحرب العالمية الثانية بالمسألة اليهودية وتقسيم فلسطين، كانت الحركة الصهيونية تخطط لإعلان «دولة إسرائيل اليهودية». وفي الرابع عشر من أيار 1948، وقبل ساعات قليلة من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين أعلن «دافيد بن غوريون» رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 4 تشرين الأول 2010.

«ولادة دولة إسرائيل»[1]. ومنذ لحظة إعلان الكيان الصهيوني في تل أبيب عشية 15 أيار 1948 أمام أعضاء المجلس الوطني اليهودي، كان المسؤولون الصهيانة يخططون لعملية تطهير عرقي في حرب 1948[2]. فمشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة الذي كان ظالماً في جوهره بتقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة يشكل العرب فيها 99 في المئة والثانية بنسبة تصل إلى أقل من النصف، حاول الاستناد إلى البعد الديمغرافي[3]. وعمدت قوات الهاغاناه وباقي المنظمات الحربية اليهودية ليس إلى توسيع حدود الدولة اليهودية واحتلال أكثر من نصف ما خصص للدولة العربية فحسب، بل طرد أهلها العرب منها. وهكذا لم يبقَ في الحدود الموسعة لدولة إسرائيل بعد اتفاقية الهدنة عام 1949 إلا حوالى مئة وعشرين ألفاً، وتمّ طرد حوالى مليون فلسطيني من بيوتهم.

انطلاقاً من ذلك، تمكنت الصهيونية من إقامة دولتها

(1) جورج ناصيف: «الوحدة العربية وإسرائيل»، معهد الإنماء العربي، بيروت 1985، ص 93.

(2) زياد الصغير: «تطور القضية الفلسطينية (1964ـ1976)»، أيار 1978، ص 39.

(3) الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان: «الممارسات الإسرائيلية، المخالفات والتعويضات»، بيروت، حزيران 1996، ص 32.

المصطنعة على أرض فلسطين على حساب تشريد الشعب العربي الفلسطيني. ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع سلسلة الحروب والاعتداءات التي شنها هذا الكيان على أراضي الدول العربية المجاورة بغية تحقيق أطماعه التوسعية، ولم يجئ عام 1967، إلا وكانت «إسرائيل» قد وسعت رقعتها من شاطئ قناة السويس غرباً حتى شاطئ نهر الأردن شرقاً، ومن مرتفعات الجولان شمالاً حتى شرم الشيخ جنوباً[1].

ومن الطبيعي أنه وقف خلف هذا التصرف إدراك ديمغرافي بعيد المدى، حيث مارست إسرائيل بعد حرب 1967 عملية طرد جماعي منظم بإفراغ مخيمات أريحا في غور الأردن من سكانها، وتشجيع الكثير من سكان القُرى المجاورة على النزوح إلى شرقي النهر.

كما نظمت أوسع عملية ترحيل سرية للاجئين من قطاع غزة إلى الضفتين الشرقية والغربية، عندها فَقَدَ الشعب الفلسطيني أرضه بعد نضالات عديدة مريرة وطويلة ضد قيام هذه الدولة خسر أرض فلسطين، حتى الذين بقوا منهم على أرضها خسروا الوطن الأصيل الذي كان في ظل الاحتلال الإسرائيلي أشبه بالسجن الكبير[2].

(1) عبد القادر ياسين: «القضية الفلسطينية»، (المرجع السابق)، ص 122.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 4 تشرين الأول 2010.

رغم ذلك لا يوجد في الرواية الإسرائيلية الرسمية لأحداث النكبة عام 1948، أي إشارة إلى دوافع الخطة الصهيونية في تنفيذ تطهير عرقي في فلسطين، إنما هناك مئات من الإشارات إلى أن العمليات العسكرية التي كانت تنفذها الهاغاناه والايتسل وغيرهما كانت لمعاقبة الفلسطينيين لأنهم «اعتدوا» على حي يهودي ما في مدينة معيّنة، أو أنهم اعترضوا طريق قافلة يهودية، أو قتلوا يهوداً، وغيرها من الأسباب. ولم تشر الصحف نهائياً إلى أسباب قيام الفلسطينيين بهذه العمليات رداً على العنف والأعمال الإجرامية التي نفذتها المنظمات اليهودية نفسها.

والجدير ذكره في هذا المجال، أن الانتداب البريطاني لم يغادر فلسطين إلا في منتصف شهر أيار من عام 1948، إلا أن المنظمات الصهيونية باشرت بتنفيذ عمليات قتل وإرهاب وتدمير وترحيل تحت مرأى عيون هذا الانتداب. ومن الواضح أن تنسيقاً عسكرياً وميدانياً كان قائماً بين الطرفين البريطاني والصهيوني[1].

قال بن غوريون: «لا فائدة من وجود إسرائيل دون هجرة يهودية إليها، ولا فائدة من مكاسب الحرب في احتلال

(1) «جريدة السفير»، (ملحق فلسطين)، العدد 2 تاريخ 15 حزيران 2010.

الأراضي دون الهجرة والاستيطان». لقد كان هذا ولا يزال مبدأً صهيونياً راسخاً.

لقد آمن بنْ غوريون إيماناً قاطعاً، وطبق الإيمان على سياسته كلها التي نفذها. إن تدمير المجتمع الفلسطيني هو شرط لقيام دولة إسرائيل على أشلاء أهل البلاد، ولولا أنه طبق «التنظيف» العرقي ضد الفلسطينيين الذين طردوا من 530 مدينة وقرية عام 1948، لما تمكن من استقدام المهاجرين الجدد، الذين جاؤوا من البلدان العربية، وسكنوا في البيوت الفلسطينية الفارغة، وعلى الأرض المسلوبة. إذ لم يكن في الإمكان استيعاب كل المهاجرين دون طرد العرب على الأقل في السنوات العشر الأولى من قيام الدولة[1].

والواقع أن المجتمع الإسرائيلي يقفز عن كل المعطيات ويحاول أن يتعاطى مع الأقلية العربية الباقية على أرضها بوصفها عنصراً شاذاً وغريباً، وكثيراً ما أوحى للعرب بأن بقاءهم على أرضهم ليس حقاً، بل منة الدولة اليهودية التي سمحت لهم بالبقاء. وعلى الدوام لعب قانون العودة الذي سنّه الكنيست الإسرائيلي عام 1950، دوراً مركزياً في تهيئة الأرضية الفكرية والقانونية للتضييق على الفلسطينيين الباقين

(1) «إسرائيل 2020، خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع»، المجلد الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2004، ص62.

على أرضهم في الدولة العبرية وإبقائهم كمواطنين درجة ثانية. ويشكل قانون العودة الآلية النقيضة لحق العودة الفلسطيني الذي كفلته القوانين والقرارات الدولية[1].

فقانون العودة الإسرائيلي الذي سنّه الكنيست ينظم الهجرة اليهودية الفردية والجماعية رسمياً بعد أن كان الأمر حكراً على الحركات الصهيونية. والقانون ينطلق من فكرة أساسية وهي أن إسرائيل «دولة الشعب اليهودي»، في كل أرجاء العالم، وبالتالي فإن بوسع كل يهودي نيل الجنسية الإسرائيلية فور وصوله إلى إسرائيل، إذا كان قد رتب الوصول وفق قانون العودة. وأعطى القانون لوزير الداخلية صلاحية الحرمان من هذا الحق لمن يمكن أن يضر بأمن إسرائيل وسلامة سكانها[2].

وقد تضمن قانون العودة الإسرائيلي الصادر بتاريخ 20 تموز 1950 البنود التالية:

1 ـ يحق لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل.

2 ـ أ ـ تكون الهجرة بموجب تأشيرة مهاجر.

ب ـ تمنح تأشيرة مهاجر لكل يهودي يعرب عن رغبته

(1) ليفيا روكاخ: «قراءة في يوميات موشي شاريت»، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1981، ص ص 14ـ15.

(2) «جريدة السفير» (ملحق فلسطين)، العدد 2، تاريخ 15 حزيران 2010.

في الاستقرار في إسرائيل، إلا إذا ثبت لوزير الهجرة أن الطالب يعمل ضد الشعب اليهودي، أو من شأنه أن يعرض صحة الجمهور أو أمنه للخطر.

3 ـ إن اليهودي الذي قدم إلى إسرائيل، وبعد قدومه أعرب عن رغبته في الاستقرار فيها، يحق له، ما دام هو في إسرائيل أن يحصل على شهادة مهاجر.

4 ـ كل يهودي هاجر إلى إسرائيل قبل بدء العمل بهذا القانون، وكل يهودي وُلِدَ في إسرائيل، سواء قبل بدء العمل بهذا القانون أم بعده، فإن حكمه كحكم من هاجر وفقاً لهذا القانون.

5 ـ توقيع بن غوريون رئيس الحكومة، وموشي شبيرا وزيرة الهجرة[1].

ويمكن القول إن قانون العودة الإسرائيلي هو أبرز تجسيد لمعادلة التكريس/التبديد التي تحكم العلاقة العربية الإسرائيلية. فكل تكريس لزعم يهودي في أرض فلسطين أو عليها هو بتأكيد التبديد للحق الفلسطيني والعكس صحيح. وهذا يفسر ذلك الرفض الإسرائيلي المطلق والجامع لحق العودة للفلسطيني.

(1) «جريدة السفير»: (ملحق فلسطين)، تاريخ 15 حزيران 2010.

والتجربة التي عاشها الفلسطينيون في مناطق 1948 أكبر دليل على ذلك، فهم رغم امتلاك الجنسية الإسرائيلية، يعانون من اعتبارهم رسمياً قنبلة «ديمغرافية».

ولهذا تجري عليهم بشكل منظم عملية اضطهاد تجد تعابير لها في العديد من الأوجه، أبرزها الإهمال والتهميش من ناحية، والاستهداف من ناحية أخرى، ورغم أن الفلسطينيين الباقين على أرضهم يمثلون حوالى 20 في المئة من سكان «الدولة العبرية»، إلا أنهم لا يحتلون سوى 2 في المائة من الوظائف الرسمية[1].

أما ما يتعلق بتطبيق قانون العودة الإسرائيلي الصادر عام 1950، نشرت صيحفة «خوفينتود ريبيلدي» الكوبية بتاريخ 18 تشرين الأول 2010، تفاصيل رحلات جوية سرية قام بها طيارون كوبيون في مطلع الخمسينات لنقل عشرات الآلاف من اليهود إلى الأرض الفلسطينية المحتلة خلال فترة لم تتجاوز العامين.

وتحت عنوان: «طيارون كوبيون في الأرض المقدسة» كشفت الصحيفة الناطقة باسم الشبيبة الشيوعية الكوبية عن حقيقة ظلّت طي الكتمان طوال 60 عاماً. رواها المؤرخ

(1) «جريدة السفير»: (ملحق فلسطين)، تاريخ 15 حزيران 2010.

المتخصص في شؤون الطيران «رولاندو مارّون دوكي دي استرادا»، الذي تحدث عن استخدام الصهيانة خمسة طيارين كوبيين لنقل 150 ألف يهودي من العراق وإيران والهند واليمن في رحلات جوية مكثفة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، وذلك خلال الفترة الممتدة بين العامين 1951 و1952 أي الفترة التي سبقت انتصار ثورة فيدل كاسترو[1].

ويشير مارّون إلى أنه بعد قيام دولة إسرائيل في العام 1948، تسارعت وتيرة الهجرة اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية، حيث تدفق مئات الآلاف من اليهود الأوروبيين إلى الدولة العبرية، بالنظر إلى التسهيلات التي كانت تقدمها الدول الأوروبية للمنظمات اليهودية في ما يتعلق بالهجرة إلى إسرائيل.

أما بالنسبة إلى يهود الدول العربية والإسلامية فكان الوضع مختلفاً، فالحكومات العربية كانت تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين عبر الطُرق البرية، فضلاً عن السيطرة المصرية على قناة السويس التي جعلت الطريق البحرية خياراً مستحيلاً. وعلى هذا الأساس، بدأت إسرائيل تفكر في وسائل أخرى للقيام بعمليات إجلاء جوية ضخمة، وبما أنه

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 19 تشرين الأول 2010.

كان من المستحيل أن تحط أي طائرة تحمل العلم الإسرائيلي في المطارات العربية، فقد كان الحل تنفيذ هذه الخطة من خلال شركات طيران تابعة لدولة محايدة، وبذلك وقع الاختيار على كوبا، التي كانت قبل انتصار ثورة فيدل كاسترو الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الأميركية في أميركا اللاتينية[1]. بالإضافة إلى ذلك عملت قيادة إسرائيل على نقل اليهود الذين كانوا في البلاد العربية، وقد كان عددهم عام 1946، 700 ألف، بناءً على إحصائيات الوكالة اليهودية التي قدمت إلى اللجنة الأنكلو ـ أميركية، أي 5 بالمئة من مجموع يهود العالم الذين كان يبلغ عددهم في العالم 16 مليوناً[2].

لقد استولى الصهيانة على فلسطين في سنة 1948، بالقوة العسكرية وبالدعم المباشر من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية، ومع ذلك فإن أراضي الفلسطينيين التي أرغم مالكوها على مغادرتها قسراً وضعت في تصرف مؤسسة دعي مديرها «القيم على أملاك الغائبين»، الذي راح يؤجرها لآجال طويلة أو قصيرة لأفراد أو لمؤسسات صهيونية.

وكان هذا الإجراء يعني أن إسرائيل تتهيّب التصرف

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 19 تشرين الأول 2010.

(2) «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.

النهائي بهذه الأراضي، وتؤجل تحديد ملكيتها إلى أمد غير محدد. لكن فيما بعد أقدمت الحكومة الإسرائيلية على نقل مرجعية التصرف بهذه الأراضي إلى الوكالة اليهودية التي راحت تبيع هذه الممتلكات إلى الأفراد والجماعات والمؤسسات، الأمر الذي يعني إقفال المجال أمام عودة اللاجئين الفلسطينيين، وحتى لو عاد بعض هؤلاء إلى ديارهم الأصلية، فلن يجدوا أمامهم ممتلكات بل مجموعة من دعاوى التنازع على الملكية[3].

إن الغاية من هذه الإجراءات كلها هي الانتقال إلى مطالبة العرب والفلسطينيين بالتحديد، بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وهذا أمر خطير جداً، لأن فكرة «الدولة اليهودية» تطاول في نتائجها الفلسطينيين في داخل إسرائيل، وتمنع على الفلسطينيين في الخارج حقهم في العودة، وتفرض على عرب 1948 عنوة قسم الولاء للدولة باعتباره مواطناً فحسب، بل الولاء للرموز الدينية كالعلم والنشيد الوطني وشعار الدولة، وهي رموز تتناقض في مدلولها اليهودي مع عقيدة المسلم والمسيحي معاً. وفق ذلك فإن الاعتراف بيهودية دولة إسرائيل يؤدي إلى إنكار حق العودة للفلسطينيين،

(3) «جريدة السفير»: (ملحق فلسطين)، تاريخ 15 تموز 2010.

ويجعل قيام دولة إسرائيل أمراً مشروعاً وأخلاقياً، وهذا يعني أن المقاومة الفلسطينية والعربية للمشروع الصهيوني كانت اعتداءً على إسرائيل وعدواناً على سكانها[1].

أقامت الحركة الصهيونية مشروعها على فكرة جدل المنفى والعودة، لكنها بتحويلها آلام اليهود في أوروبا إلى مشروع سياسي موظف في خدمة الاستعمار، جعلت اليهود أنفسهم أداة للاستعمار الحديث. ثم أمعنت في محاولة إلغاء الشعب الفلسطيني ووجوده وتراثه وحضارته، لأنها تدرك أن الوجود الحي لهذا الشعب هو البرهان الدائم على عدم مشروعية إسرائيل والصهيونية معاً. فالصهيونية حولت فكرة الخلاص اليهودي من الكراهية الأوروبية والإذلال الديني إلى اقتلاع للشعب الفلسطيني، وهذا الحدث جريمة سياسية وتاريخية وثقافية وإنسانية لا يمكن محوها إلا بتصحيح التاريخ وعودة الفلسطيني إلى دياره الأصلية. ومن المؤكد أن محاولات تغييب الكائن الفلسطيني عن جغرافية بلاده ستفشل لأن الذاكرة الفلسطينية المكتوبة والمنقوشة والمروية والمحفوظة، من شأنها أن تدمر هذه المحاولات كلها. وما يجري اليوم في إسرائيل من سعي إلى تغيير المعالم الفلسطينية لغوياً

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 15 تموز 2010.

وبصرياً، سيكون مصيره الاصطدام بصخرة هذا الشعب الذي لم تنسه السنوات الماضية من المنفى أرضه وتاريخه وتراثه[1].

(1) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

القدس: تاريخ ووقائع

كان الاسم الأول لمدينة القدس في التاريخ «يبوس»، استناداً إلى العربي «يبوس بن كنعان» مؤسس المدينة. ولقد ورد في التوراة ذكر تسمية يبوس بمعنى أورشليم أربع مرّات. مرتين في كتاب القضاة ومرتين في كتاب أخبار الأيام الأولى: وكان اليبوسيون الكنعانيون العرب قد نزحوا من شبه جزيرة العرب في الألف الثالثة قبل الميلاد، قبل 500 سنة، فبنوا مدينتهم وسكنوها، فهم سكانها الأصليون بدون أي شك. وأطلق على المدينة في ذلك الحين اسم كنعاني «يروشالم»، تعني لفظة يرو مكان وشالم أحد آلهة الكنعانيين وتعني السلام، أي إنها مكان السلام أو «دار السلام». وكان «ملكي صادق» العربي في القرن التاسع عشر قبل الميلاد الملك الكنعاني للمدينة التي كانت تسمى أورشليم فيما عرف بملك شالم، ملك السلام[1].

تبيّن لنا مما تقدَّم أن مدينة القدس كانت قبل 5 آلاف عام مدينة عربية كنعانية، بقيت في يد أهلها أكثر من ألفي

(1) «مجلة معلومات»، العدد 41، تاريخ نيسان 2007، المركز العربي للمعلومات، ص 15.

عام قبل عهد موسى.، كما بقيت في يد أهلها 300 عام بوجود أتباع موسى في فلسطين، وحتى بعد دخول داوود إليها.

أما سكانها فظلوا فيها، وعاش اليهود فترة وجودهم أقلية بينهم، حتى تم سبيهم إلى بابل، وقد استمر وجودهم أقلية في المدينة حتى تمّ القضاء عليهم نهائياً في عهد الرومان[1]. يتضح أن تسمية أورشليم، التي يحاول الصهيونيون اليوم عدّها من الأسماء «العبرية» بمعنى اليهودية، هي في الحقيقة كلمة كنعانية أصلية وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون، ثم بعد أن ظهر اليهود تكونت اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية، وفي وقت لاحق صار اليهود يسمونها بلغتهم العبرية «يروشلايم». لذلك فدعوى اسم أورشليم عبري الأصل بمعنى يهودي دعوى باطلة لا تستند إلى مصدر تاريخي بدليل ورود الكلمة في الكتابات الكنعانية، قبل أن تتكون اللهجة العبرية والمدونات العبرية بنحو 800 عام. وتعترف التوراة اعترافاً صريحاً بأن ليس لليهود أية .صلة بتاريخ أورشليم القديم لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية[2].

(1) «مجلة معلومات»، (المرجع نفسه).

(2) أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرجع السابق)، ص 391.

وقد بنى اليبوسيون مقابل مدينة القدس، قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية سمّوها «حصن صهيون». كما كان يعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن «بالأكمه» أو «أوفل» وأحياناً يسمى «جبل صهيون». ويبلغ ارتفاع جبل صهيون 2550 قدماً فوق سطح البحر. وبقي حصن صهيون بيد اليبوسيين بعد مجيء الموسويين بحوالى ثلاثة قرون لعدم استطاعتهم اقتحامه، وذلك حتى تولى الملك داوود الحكم في إسرائيل، فجمع جماهيره وذهب معهم إلى أورشليم أي «يبوس»، وقال داوود: إن الذي يضرب اليبوسيين أولاً يكون رأساً وقائداً، فتقدم «يوآب» واقتحم الحصن فصار رأساً. وأقام داوود في الحصن لذلك دعي «مدينة داوود». وقد ختار داوود القسم الشمالي من الهضبة الشرقية، أي القسم الذي يقع شمال حصن صهيون، ليبني الهيكل فيه، ويعرف هذا القسم بجبل «المرّيا»، وارتفاعه 2440 قدماً. وكان جبل المريّا ملكاً «للأرثان» أو أرونة «اليبوسي»، فاشتراه داوود من صاحبه بخمسين «شاقلاً» من الفضة وبنى فيه مذبحاً للرب، وفي الموقع نفسه بنى سليمان الهيكل بعد ذلك[1].

وتنتشر الأبنية والأراضي الوقفية في مدينة القدس، في البلدة القديمة وخارجها في جزءي المدينة الشرقي والغربي.

(1) أحمد سوسة: «العرب واليهود...»، (المرجع السابق)، ص 399.

وأهم هذه الأبنية الوقفية، المعالم الدينية الإسلامية والمسيحية التي تحصى بالمئات، ومنها المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، والمساجد وكنيسة القيامة و55 مدرسة إسلامية والكنائس والأديرة والأسواق التجارية والأراضي الزراعية والحمامات وغيرها من المؤسسات الأخرى.

أما الحي اليهودي في البلدة القديمة فقد سُمي بهذا الاسم نسبة إلى السكان وليس نسبة إلى المالكين، لأنه في الأصل أرض يملكها فلسطينيون في معظمهم، ولم يكن اليهود يملكون منها أكثر من 15% في أقصى الحالات[1].

أما على صعيد البعد الديني، فيدرك المسيحيون من قِراءاتهم للكتاب المقدس أهمية القدس، فتاريخها هو تاريخ الخلاص وخطة الله التي تحققت في يسوع المسيح الناصري (ع) وبواسطته، إذ اختار اللّه القدس لتكون المكان والمستقر لاسمه القدوس وسط شعبه والمكان الذي يقدم له فيه شعبه العبادة المرضية. لذا بالنسبة إلى المسيحيين ليست قيمة القدس في تاريخها أو في آثارها وحجارتها فحسب، بل هي مهد ولادة المسيحية ولها جذور عميقة في حياة الكنيسة ولاهوتها وروحانيتها. وبهذا المفهوم تبقى القدس مكاناً رفيعاً

(1) «مجلة معلومات»، العدد 41، نيسان 2007، (المرجع السابق)، ص 130.

وفريداً في قلب كل مسيحي وفي كل مكان، فأصبحت مدينة الجذور المسيحية واستمرار الوجود المسيحي والعاصمة الروحية لكل مسيحي[1].

وبالنسبة إلى المسلمين يجب النظر إلى العلاقة الدينية التي تربط الإسلام بالقدس في سياق منظور الإسلام إلى اليهودية والمسيحية. يعتقد كثيرون في الغرب أن الإسلام يقع خارج التراث اليهودي والمسيحي. وفي الواقع فإن الإسلام يحتضن اليهودية والمسيحية على السواء. ويرجع هذا إلى أنه يرى نفسه جزءاً مكملاً للديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية وتتويجاً لهما بالفعل. والمفهوم المركزي للإسلام أن العزة الإلهية أظهرت نفسها للبشر منذ الخلق عبر تعاقب الأنبياء الذين كان النبي محمد (ص) خاتمهم أي آخر الأنبياء. وكانت القدس القبلة التي اتجه إليها المسلمون الأوائل قبل أن تصبح مكة قبلتهم، ولا تزال القدس تعرف إلى يومنا هذا من قِبل المسلمين بأنها أولى القبلتين، وتعززت قدسيتها في آية قرآنية تصف رحلة إعجازية للنبي محمد (ص) ليلاً من مكة إلى القدس (الإسراء). وكانت القدس، حسب الدين الإسلامي الموقع الذي صعد منه محمد (ص) إلى السماء[2].

(1) «جريدة النهار»، تاريخ 24 تشرين الأول 2000.

(2) «مجلة معلومات»، (المرجع السابق)، ص 26.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، لم تعد القدس المسوّرة قادرة على استيعاب الزيادة السكانية، فبدأ الامتداد العمراني خارج سورها، فنشأت الأحياء، إضافة إلى الضواحي المرتبطة أصلاً بالمدينة، وشكلت مع القُرى التابعة لها ما يعرف بالقدس الجديدة. وقد رسمت سلطات الانتداب البريطاني، حدود البلدية في ذلك الحين، بطريقة ترتبط بالوجود اليهودي القائم في محيط القدس القديمة، فقد امتد العمران حيث الاستيطان اليهودي إلى عدة كيلومترات غرباً بينما توقف نسبياً من الجهتين الجنوبية والشرقية أمام مداخل القُرى العربية المجاورة للمدينة من شملها بحدود القدس.

وفي العام 1931 جرى ترسيم الحدود البلدية من جديد، بحيث أصبحت تضم قطاعاً عرضياً بعرض 400م على طول الجانب الشرقي لسور المدينة. بالإضافة إلى أحياء باب الساهرة ووادي الجور والشيخ جراح من الناحية الشمالية، بينما يتوقف خط الحدود عند سور القديمة من الناحية الجنوبية[1].

أمام المخطط الثاني لحدود البلدية، فقد تم وضعه في العام 1946، وجرى بموجبه توسيع القسم الغربي من

(1) «جريدة النهار»، تاريخ 22 تشرين الأول 1996.

المدينة، واستيعاب الأحياء اليهودية الجديدة التي بقيت خارج التنظيم السابق. وأضيفت إلى الجزء الشرقي من المدينة منطقة وادي الجوز من الناحية الشمالية الشرقية، وبلغت مساحة المدينة بموجب هذا المخطط 1933 دونماً، منها 868 دونماً مساحة البلدة القديمة و18,463 دونماً خارج الأسوار، فضلاً عن ذلك توسعت المساحة المبنية من 4130 دونماً في العام 1918 إلى 7230 دونماً في أواخر العام 1947. وفي العام 1947، جاء قرار التقسيم ليوحي بتدويل القدس، وإخضاعها لنظام دولي خاص.

كانت مساحة القدس سنة 1947، نحو 25 كلم^2، 18 كلم^2 للقدس الجديدة تقريباً و5 كلم^2 للقدس الشرقية وواحد كلم^2 للقدس القديمة.

وبعد حرب سنة 1948، صار الوضع كالتالي: معظم القدس الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلي ومساحتها 17,7 كلم^2، والقدس الشرقية ومساحتها 6 كلم^2، ومنطقة الأمم المتحدة ومساحتها 1 كلم^2. وبعد احتلال القدس الشرقية سنة 1967، وضمّها عملياً إلى القدس الغربية في 30 تموز 1967، صارت مساحة القدس البلدية نحو 76 كلم^2، وفيها نحو 180 ألف يهودي[1]. بالإضافة إلى ذلك عكف المحتلون الإسرائيليون على إقرار إجراءات من جانب واحد

(1) «جريدة النهار»، (المرجع نفسه).

وتطبيقها، خارقين القواعد والقوانين الدولية، ومخالفين صلاحيات الدولة المحتلة بحسب القوانين الدولية[1]. فأقدمت على ضم القدس الشرقية، وتوسيع حدودها، وتكثيف النشاط الاستيطاني غير المشروع في داخلها، وتغيير معالم المدينة جغرافياً وديمغرافياً، حتى يتسنى لها فصلها تدريجاً عن سائر الأراضي المحتلة. ولتنفيذ الأهداف الإسرائيلية في القدس الشرقية، اتخذت السلطات الإسرائيلية أساليب متعددة لسلب الأرض، وفرض التهجير القسري على المواطنين الفلسطينيين بغية زيادة عدد السكان اليهود، مقابل تقليص عدد المواطنين الفلسطينيين في القدس وذلك عن طريق مصادرة الأراضي، وتقليص مساحات الأراضي الصالحة للبناء العربي في القدس، وعدم منح المواطنين الفلسطينيين تراخيص بناء، بالإضافة إلى تحديد ارتفاع البناء بحيث لا يتجاوز ارتفاع المنازل في الضواحي الفلسطينية في القدس الشرقية طابقين، بينما يسمح بارتفاع المباني في الضواحي اليهودية في القدس الشرقية إلى ثمانية طوابق[2].

وعملت إسرائيل في خلال السنوات اللاحقة على الوصول إلى ما يسمى «القدس الكبرى»، مساحتها 330 كلم^2

(1) يوسي ميلمان: «أمراء الموساد»، ترجمة: محمود برهوم وحزامة حبايب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1992، ص 140.

(2) «جريدة النهار»، تاريخ 22 تشرين الأول 1996.

وتضم 28 قرية عربية و84 مستعمرة يهودية وتمتد حدودها إلى رام اللّه شمالاً، وغوش عتسيون جنوباً ومعاليه أدوميم شرقاً، وبيت شيمش غرباً.

وفي العام 1968، تمت مصادرة 3346 دونماً من أراضي حي الشيخ جراح، ووادي الجوز، وأرض السمار، وأقيم عليها أحياء استيطانية بدأت تملأ الأفق الشمالي والغربي لتشكل أول الأطواق حول القدس.

وفي صيف العام 1970، بدأت الخطوة الثانية من سياسة بناء الأطواق، حيث تمت مصادرة 120,000 دونم بحجة المصلحة العامة لتقام عليها كبرى المستوطنات، ولتشكل الطوق الثاني بدءاً من المنطقة الشمالية من القدس. وفي شتاء العام 1980، فوجئ أهالي بيت حنينا وشعفاط، بمصادرة مساحات أخرى من أراضيهم بلغت 4400 دونم، لتقدم حلقة الوصل بين المستوطنات الشمالية والشرقية والمستوطنات الغربية[1].

ويوم 30 تموز 1980، أي في عهد حكومة «بيغن» أقر الكنيست «قانون أساس» أي قانون دستوري، «هو قانون القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية».

أما في العام 1993، فجرى توسيع مدينة القدس مرة

(1) «جريدة النهار»، (المرجع نفسه).

أخرى إلى 130 كلم.[2] وفي العام 2005 أقرت الحكومة الإسرائيلية مخطط مدينة القدس حتى العالم 2020، ويشمل أحياء استيطانية جديدة ومرافق وسكك حديد وشوارع ومناطق خضراء، وبتوسيع لمساحتها قدره 40% إضافية[1].

بلغ عدد سكان القدس الشرقية والغربية في سنة 2008 نحو 800 ألف نسمة، 390 ألفاً يقطنون القدس الغربية و410 آلاف يقطنون القدس الشرقية ومحيطها، ومن بين هؤلاء 184 ألفاً من اليهود و226 ألفاً من الفلسطينيين.

وفي 11 آذار 2008، قررت الحكومة الإسرائيلية تسجيل عقارات فلسطينية في «الطابو» باسم اليهود الذين استولوا عليها في الحي المسمى مقدسياً باسم «حارة الشرف»، وهو الملاصق لحائط البراق ويتاخم الحرم. وقد شرّد سكان هذا الحي، وهجروا من بيوتهم لإقامة ساحة الصلاة عند حائط المبكى أو الحائط الغربي «للهيكل»، كما يسميه اليهود، لتوطين اليهود. وأصبح اسم هذا القسم من البلدة القديمة داخل الأسوار «الحي اليهودي»، وجرى مضاعفة مساحته عدة مرّات، ولكن مع عملية التسجيل بالطابو، حوّلت الأملاك المصادرة إلى ملكية خاصة للسكان اليهود كأفراد[2].

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 22 كانون الأول 2009.

(2) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

هذه الإجراءات يلجأ إليها الإسرائيليون لثني فلسطيني القدس عن البقاء في المدينة تمهيداً لإلغاء القدس بوصفها أرضاً مقدسة، ورمزاً دنيوياً وسماوياً مشتركاً بالنسبة إلى الأديان السماوية. والتطرف الصهيوني لا يعتبر التهويد مكتملاً إلا عندما ينتهي الطابع الكوني لبيت المقدس بشراً ومعالم وتاريخاً وذاكرة.

لقد كانت مدينة القدس محور الصراع العربي الإسرائيلي منذ ما يقارب القرن. وبدأت تتفاعل تصعيداً منذ سقوط الدولة العثمانية ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتنفيذ المطامع الصهيونية بالتعاون مع قوى الاستعمار لإقامة «الدولة الصهيونية»، عليها موضع التنفيذ[1].

غير أن الخطر الصهيوني الحقيقي والقائم حالياً، والذي طالما حذّر منه العرب، برزت معالم مخططه على الأرض منذ قيام دولة إسرائيل سنة 1948، واحتلالها المدينة سنة 1967، وأصبحت نتائج تطبيقه على مدى ما يقارب الخمسين سنة واضحة للجميع.

بات من الواضح أن هدف إسرائيل هو تصفية الشعب العربي الفلسطيني وإبادته معتمدة في ذلك أساليب متنوعة منها التهجير. والتهجير عملية طرد للسكان الأصليين ليحل محلهم

(1) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

سكان آخرون. لقد اتخذت عملية تهجير الفلسطينيين أشكالاً مختلفة ومرت بمراحل مختلفة كذلك. ونتيجة لذلك انخفضت نسبة السكان العرب من 52% بعد قيام «دولة إسرائيل» مباشرة إلى 17,9% عام 1949 وإلى 12,9% عام 1950. أما حرب 1967، فقد نتج عنها تشريد 400 ألف من عرب الضفة الغربية ونحو 50 ألفاً من قطاع غزة. وتشير مصادر أخرى إلى أن الكيان الصهيوني قد لجأ مستغلاً ظروف الحرب إلى العنف في تهجير نحو 376 ألف مواطن عربي من الضفة الغربية ونحو 47 ألف من قطاع غزة. واستمرت عملية التهجير بعد ذلك، فما بين نهاية العام 1967 والعام 1979، بلغ عدد الذين هجروا بشكل نزوح من الضفة والقطاع نحو 354 ألف مواطن أي بمعدل سنوي يبلغ 29500[1].

(1) «الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني»، منشورات دار النضال، بيروت 1985، ص 50.

اليهود وزيف الحق التاريخي

يعتبر بعض المؤرخين ومنهم الكاتب الإسرائيلي والباحث في علم الآثار في جامعة تل أبيب «هيرتسوغ» أن الخطوات التي أقدمت عليها الصهيونية عموماً «ودافيد بن غوريون»، على وجه الخصوص يتمثل في إعادة الاعتبار لكتاب العهد القديم. فقد رأت الصهيونية وبن غوريون في هذا الكتاب الديني الأساس الفكري الأهم لإقامة الدولة اليهودية. ولذلك جرت عملية فكرية واسعة لتعميق مفاهيم هذا الكتاب في الذهن الصهيوني، وتحويله من مجرد كتاب ديني إلى برنامج عمل، بعد أن كان المتدينون اليهود خلال قرون يركزون على التلمود الذي يحوي التشريعات والشرائع الدينية ويخلو تقريباً من الأبعاد التاريخية، غير أن التوراة كان في العرف الصهيوني مصدراً للتاريخ، وفيه تكمن كل مبررات الادعاء اليهودي بالحق التاريخي في فلسطين[1].

(1) «جريدة السفير»، تاريخ 1 تشرين الثاني 1999.

وجاء هذا الإحياء لهذا المصبدر في الوقت الذي كانت فيه أغلبية الباحثين في هذا الحقل ترى في هذا الكتاب مجرد أساطير لا يمكن الاستناد إليها، لا في كتابة التاريخ القديم لفلسطين، ولا في منح الحق لليهود في فلسطين.

أما الجمهور اليهودي، فقد اعتبر بأغلبيته الساحقة، معطيات هذا الكتاب حقائق تاريخية غير مشكوك فيها لدرجة أنهم اعتبروا الباحثين الانتقاديين مجرد معادين للسامية. ومع ذلك كان يبرز بين الحين والآخر بعض اليهود الذين يحاولون استغلال الأدوات العلمية والمكتشفات، لإعادة كتابة التاريخ على أسس واقعية، وكان من أول هؤلاء الفيلسوف «بارخ سبينوزا» الذي كتب في القرن السابع عشر، «إن من الواضح كالشمس في عز الظهيرة أن خمسة أخماس التوراة لم تكتب على أيدي موسى، وإنما بيد شخص عاش بعده بسنوات كثيرة». بعد هذا الموقف للفيلسوف بارخ سبينوزا طردته الطائفة اليهودية من صفوفها، وصودر كتابه لأن في نظر هؤلاء أن النبي موسى كتب الأسفار الخمسة الأولى بتوجيه إلهي[1].

(1) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

وفي العام 1943، سمح البابا بيوس الثاني عشر للمفسرين بالاستعانة بالأبحاث الجديدة المكتوبة أو الشفوية التي استُند إليها. فوجد الباحثون الكثير من التناقضات في التسلسل الزماني للأحداث الواردة في هذه الأسفار، وعثروا على قصص متكررة تحوي الكثير من التناقضات. ورأى الباحثون أن التوراة استندت إلى أربعة مصادر مختلفة، بحيث إن كل طرف يروي في التوراة القصة من وجهة نظره الخاصة.

وفي السنوات الأخيرة حدثت ثورة فعلية في تعامل الباحثين الإسرائيليين مع التوراة بوصفها مصدراً تاريخياً. فمعظم المنشغلين في المداولات العلمية في ميدان التوراة، علم الآثار وتاريخ شعب إسرائيل، الذين كانوا يبحثون ميدانياً عن إثباتات لصدقية قصص التوراة، يتفقون على أن مراحل تشكل شعب إسرائيل كانت مغايرة تماماً للصورة الموصوفة في التوراة[1].

وقد ازدهرت هذه الأبحاث مع وصول «ويليام فوكسويل أولبرايت»، الباحث في شؤون أرض إسرائيل والشرق القديم، وأولبرايت أميركي ابن كاهن من أصل تشيلي، بدأ العمل في

(1) «جريدة السفير»، (المرجع نفسه).

أرض «إسرائيل» في مطلع العشرينات من القرن الماضي، وكان يؤمن أن علم الآثار هو الوسيلة العلمية الأساسية لتنفيذ المزاعم الانتقادية ضد تاريخية قصص التوراة.

وكان أولبرايت يؤمن أن التوراة وثيقة تاريخية، وكان على قناعة بأنه إذا تمّ الكشف عن الأطلال القديمة في البلاد، فإن ذلك سيوفر برهاناً قاطعاً على الصدقية التاريخية للأحداث المتعلقة بشعب إسرائيل في أرضه[1].

وقاد علم الآثار التوارتي الذي تطور بعد أولبرايت وتلاميذه إلى إجراء حفريات واسعة في الوديان التوراتية الهامة: مجيدو، لخيش، جيزر، نابلس، أريحا، القدس، جيعون، بيسان، بيت شمس، حاتسور نعناع، وقد ظهرت الثغرات في الصورة، وشكلت مفارقة حيث نشأ وضع بدأت الاكتشافات الكثيرة تقوّض المصداقية التاريخية للوصف التوراتي، بدلاً من أن تعززه، وبدأت مرحلة الأزمة، وهي مرحلة لا تستطيع فيها النظريات أن تحلّ العدد المتزايد من المجاهيل، وغدت التفسيرات معقدة وغير علمية، فتشوشت الصورة وتبين أنها قابلة للاكتمال[2].

(1) جريدة السفير»، تاريخ 19 كانون الثاني 1996.
(2) «جريدة السفير»، تاريخ 1 تشرين الثاني 1999.

فالحفريات المتكررة التي أجرتها بعثات مختلفة في «أريحا» وفي «عاي»، المدينتين اللتين يذكر وصف احتلالهما بالتفصيل الدقيق من قِبل «يوشع بن نون» خيبت الآمال، فالحفريات دلّت على أن أسوار أريحا لم تكن موجودة في العصر المفترض لدخول «يوشع بن نون» إليها، فهي تحطمت قبل ذلك بثلاثة قرون، ولم يُعد بناؤها، وأثبتت «كاتلين كينون»، في حفرياتها التي أنجزتها بين (1952ـ1958)، أن أريحا لم تكن مأهولة في تلك الفترة قبل قرن من عصر يوشع[1].

كما أصدر عالم الآثار الإسرائيلي «يسرائيل فنكنشتاين»، وهو رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب بحثاً بيّن فيه التناقض بين النص التوراتي المتداول والحقائق التي تؤكدها الاكتشافات العلمية.

ومنها ما يتعلق بالهيكل وآثار داوود وسليمان فهو يقول: «إن هناك خطأ في التاريخ يتبيّن منه أن هذه الآثار كانت موجودة قبل فترة من القرن العاشر قبل الميلاد الذي فيه

(1) «جريدة السفير»، (ملحق فلسطين)، العدد 4، تاريخ 17 آب 2010، السنة الأولى.

داوود وسليمان». وحسب المعطيات التي توصّل إليها «فنكنشتاين»، «فإن الهيكل بُني بعد مئة سنة من عهد سليمان»، وأن القدس لم تكن سوى بلدة صغيرة، ليس لها طابع المدينة العظيمة كما وصفتها التوراة، وأنه لم يعثر على أي أثر يثبت ما جاء في نص التوراة في ما يتعلق بأعمال البناء التي يُقال أن سليمان أمر بها في القدس، وقد حظي «فنكنشتاين» بتأييد واحد من كبار علماء الآثار وهو «ديفيد أوشيسكين»[1]. ولكن من عجائب المفارقات أن كل هذا النشاط الواسع الذي قاده منقبون يحملون التوراة بيد، ومعول التنقيب باليد الأخرى، وقد أدَّى أخيراً إلى عكس الغاية المنشودة منه، وبدأت حلقات الرواية التوراتية، واحدة إثر أخرى، تخرج من مجال التاريخ إلى مجال الأدب الديني، ولم يبقَ من أحداث الأسفار التاريخية في التوراة ما يتقاطع مع علم التاريخ وعلم الآثار[2].

يتبيّن مما تقدّم أن الصهيونية اعتمدت في بناء دعوتها السياسية على العقيدة الدينية المتجذرة في أوروبا وأميركا.

(1) «مجلة معلومات»، العدد 41 تاريخ نيسان 2007، ص 152.

(2) «مجلة معلومات»، (المرجع نفسه)، ص 168.

وكانت نصوص التوراة هي الحجة الوحيدة التي تسلّح بها الصوت الصهيوني من على منبر الأمم المتحدة يوم طالب بالاعتراف بقيام «دولة إسرائيل».

وراح الزعماء الصهيونيون يستغلون النصوص التوراتية في مناظراتهم السياسية والاجتماعية لأن مثل هذه النصوص راسخ في الوجدان الشعبي اليهودي. ويعملون على تسخير النبوءات في سبيل تحقيق الأحلام التوسيعة، ويحاولون استملاك الأرض بعد غزوها واحتلالها[1]. إن الفجوة بين أصول إسرائيل علم الآثار وأصول إسرائيل كتاب التوراة هي من السعة بحيث تضعنا أمام مجتمعين متباينين كلياً على الرغم من اشتراكهما في مكان جغرافي واحد. فإسرائيل التوراتية هي ابتكار أدبي خيالي، لا يعطيه صفة الواقعية رغم أنه يجري على مسرح جغرافي واقعي، سوغت الصهيونية الدولة اليهودية فيها حتى قبل قيامها، وذلك بتقديم قراءة للتاريخ تفتقر إلى الموضوعية وتجنح إلى التحوير والتزوير.

وفي هذا السياق عملت الصهيونية على إعادة اختراع فلسطين من جديد بتشويه ما يزيد على ألفي سنة من التطور

(1) جورجي كنعان: «سقوط الامبراطورية الإسرائيلية»، دار النهار للنشر، بيروت 1982، ص 26.

الحضاري والإنساني فيها تارة، وبطمس أجزاء منه تارة أخرى، وما زالت الصهيونية تقتلع وتخترع، وتمحو ثم تبني على أنقاض ما محت لتحقيق غرضها. وفي خضم هذا السيل الجارف الماحي، تبرز رغبة صهيونية حثيثة في إعادة كتابة التاريخ، لكي يتكامل جرف الأرض مع جرف تاريخها[1].

التاريخ يقول إن أرض فلسطين، كل فلسطين، هي أرض عربية، وإسرائيل تستند إلى خرافات ومعتقدات توراتية تلمودية زائفة يكذبها التاريخ. فمنذ آلاف السنين والعرب هم أهل فلسطين، وإذا عاش اليهود قبل ألفي سنة في جزء من أرض فلسطين، فإن هذا ليس مبرراً لانتزاع الشعب العربي الفلسطيني من أرضه وإحلال الصهيانة محلهم.

إن الدعايات الزائفة لا تغير الحقائق التاريخية الثابتة ولا تكسب الكيان الصهيوني أي شرعية، فإسرائيل احتلت فلسطين بالقوة وأقامت كيانها على أرض لا تملكها، والقوة التي لا تستند إلى حق لا يمكن أن تدوم.

«فلسطين بلا شعب لشعب بلا أرض» هذه العبارة الصهيونية الشهيرة تختصر المنطلقات الأساسية لاستراتيجية السياسة السكانية الصهيونية، لتكون حالة فريدة في التاريخ

(1) «مجلة معلومات»، العدد 41 تاريخ نيسان 2007، (المرجع السابق)، ص 19.

الإنساني، قائمة على اقتلاع شعب له تاريخه وحضارته العريقة وإحلال شتات من أقوام متناثرة لا يجمعها سوى مخططات العداء للنهوض العربي المرتدية لباس التكوين الطائفي على أكذوبة «أرض الميعاد». إن عملية الاستيلاء وتحويل الملكية حالة مستمرة في جميع المناطق المحتلة، ويجوز للحكومة مصادرة الأراضي وطرد أصحابها دون الرجوع إلى المحاكم كما يبيح للحكومة استخدام القوة لتنفيذ هذا الغرض[1]. وقيام المستوطنات، الوجه الآخر لعملية الاحتلال المكملة للتهويد والتفريغ، (تهويد الأرض وتفريغها من السكان العرب). وهي المرتكز الرئيسي لاستراتيجية السيطرة الديمغرافية والسيطرة على الأرض، وهي الحزام الأمني والاقتصادي للمجتمع الصهيوني، هذه المستوطنات التي ترمي إلى توطين أكبر عدد من اليهود في الأراضي المحتلة كوطن قومي لهم قد أخضعت لمنهاج تدريجي في عملية التوسع غير محدود برقعة واضحة دلّل عليها بشكل واضح تصريح بن غوريون «حدود إسرائيل ستعينها الأجيال القادمة»[2].

(1) «جريدة القدس»، تاريخ 19 كانون الثاني 1981.

(2) إلياس سعد: «الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة»، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1966، ص 126.

هذا المنهاج لم يكن ليحده الواقع التنفيذي إلا الإمكانيات المتاحة ديمغرافياً أي إحلال السكان اليهود المهاجرين مكان السكان الأصليين العرب. لذا فقد أقيمت المستوطنات وفق تخطيط استراتيجي، أبرزها مشروع القدس الكبرى كأحد عوامل الجذب السكاني لليهود تحت شعار «إحصروا وابنوا القدس»[1].

(1) عبد الرحمن أبو عرفة: «الاستيطان التطبيقي العملي للصهيونية»، المؤسسة العربية للدراسات، دار الجليل، ط1، 1981، ص 217.

الخاتمة

توارث اليهود الطبيعة العدوانية جيلاً بعد جيل، ولم يتورع مفكروهم وحكماؤهم في الحركة الصهيونية، منذ نشوئها أن يفلسفوا العدوان ويسوغوه لشعبهم مستندين في فلسفتهم إلى «وعد إلهي»، زوروه لمصلحتهم، وإلى ادعاء بأن اللّه فضّلهم على سواهم من بني البشر.

وقد انطلقت الصهيونية من وجود المشكلة اليهودية ممثلة بالاضطهاد الذي شهده اليهود في العديد من الدول الأوروبية للمطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود المشتتين في العالم عبر الهجرة اليهودية إلى فلسطين. فحجة اليهود بادعائهم الحق في امتلاك أرض فلسطين، قائمة على اعتبار أن هذه الأرض هي الوطن التاريخي لبني إسرائيل. وأنها مُنحت لهم بوعد إلهي. ولذلك فهم يتحدثون عن الرباط المقدس والإلهي الذي يشد اليهود إلى أرض الميعاد.

والملاحظ أن مقولة «الوعد الإلهي» تعتبر من أهم المبررات التي رفعها الصهيونيون في وجه العالم، لتهجير اليهود إلى فلسطين، وإنشاء الدولة اليهودية فيها. وهي تمنحهم حقوقاً مقدسة وخالدة لا تتأثر بأية حقوق ومطالب

أخرى. ولا يمكن لأحد، حتى للفلسطينيين أصحاب الأرض الحقيقيين أن يكون لهم حقوق أقوى، أو على الأقل مماثلة لحقوق اليهود في فلسطين. ولتحقيق هذا الهدف كان لا بدَّ من إرجاع أصل اليهود إلى أقدس شخصية في التاريخ القديم، أي إبراهيم الذي كان صيته قد عمّ جميع أرجاء عالم تلك الأزمان.

أما الهدف الثاني، فهو تثبيت عقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى، وهم بريئون منها. هذا في حين أن الدراسات المبنية على الاكتشافات الآثارية الأخيرة تشير على وجه التأكيد إلى أن عهد إبراهيم الخليل كان يقع في القرن التاسع عشر قبل الميلاد بحسب أوثق وأحدث تقديرات العلماء لعهده، بينما يرجع عصر الفلسطينيين الذين سميت الأرض باسمهم إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حيث قدم الفلسطينيون إلى أرض كنعان، فاستقروا فيها في عهد اليبوسيين قبل قدوم الإسرائيليين إلى بعض مناطقها بـ 150 سنة تقريباً.

ونصوص التوراة ذاتها تقر بأن الفلسطينيين كانوا موجودين في فلسطين قبل خروج قوم موسى من مصر في القرن الثالث عشر ق.م. وهذا ما يجعل فاصلاً بين عهد إبراهيم وعهد الفلسطينيين يمتد حوالى سبعة قرون من الزمن. وبذلك تكون مدوّنات التوراة قد ربطت العصرين وعدتهما عصراً واحداً.

والتوراة عند عرضها للحوادث التاريخية، لم تحدد التسلسل الزمني، ولم تنسق الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك لكي يلتبس الأمر على القارئ، فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها.

شكلت أساطير الصهيونية عاملاً حاسماً في تأسيس دولة إسرائيل بوصفها الهوية المركزية للمجتمع اليهودي في فلسطين.

وبعد احتلال الحلفاء لفلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى، أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام الصهيونية في تحقيق مخططها الرامي إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

إن إسرائيل دولة، غير شرعية، لأن فكرة الدولة اليهودية قامت على أرض سلبت من الشعب الفلسطيني، واليوم تتعامل مع هذا الشعب، على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية.

ومنذ ولادة الدولة الإسرائيلية، لم تسلّم بحق الشعب الفلسطيني، تحت أي صيغة من صِيغ الوجود الوطني، بما فيها القرارات الدولية. خاضت وتخوض الحروب المتتالية تحت عنوان الاعتراف بها دولة قومية لليهود، بما يعنيه ذلك حقها التاريخي في احتلال فلسطين وفق نظرتها اللاهوتية التلمودية. لكن إلغاء حق الشعب الفلسطيني ليس هدفها الوحيد، بل ما زالت تتطلع إلى دور الدولة الأقوى في

محيطها، لكي تكون ضابط الإيقاع الذي يتحكم في تطور المنطقة، وفي رأس تلك الأهداف ضرب المشروع العربي، أكان وحدوياً أو تنموياً أو تقدماً. ونلاحظ أنها لم تتوقف عن السعي لمثل هذه الأهداف كلما سنحت لها الفرصة مستبعدة خيار السلام، والاندماج السوي العادي كأي دولة أخرى في المنطقة.

المصادر والمراجع

أولاً: مصادر ومراجع باللغة العربية

- «القرآن الكريم» الدار الشامية للمعارف، دمشق.
- «الكتاب المقدس، العهد القديم» دار الشروق، بيروت 1986.
- «الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني» منشورات دار النضال، بيروت، ط1، 1985.
- أحمد أمين: «ضحى الإسلام»، دار الكتاب العربي، الجزء الأول.
- أحمد غنيم وأحمد أبوكوف: «اليهود والحركة الصهيونية في مصر 1897ـ1947» القاهرة، 1969.
- أحمد سوسة: «العرب واليهود في التاريخ»، العربي للإعلان والنشر، ط2، دمشق 1973.
- أحمد شبلي: «مقارنة الأديان اليهودية»، مكتبة النهضة، القاهرة 1965.
- أحمد ماجد: «التاريخ بين يديك»، دار المناهل، بيروت 1992.

- أحمد عمران: «تشريح تاريخ الصهيونية»، دار المجد (بدون تاريخ).
- أسعد رزوق: «إسرائيل الكبرى»، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1968.
- أودي أديب: «اليهود الشرقيون في إسرائيل»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.
- أدمون رباط: «الوسيط في القانون الدستوري اللبناني»، دار العلم للملايين، بيروت 1970.
- «إسرائيل 2020»، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الأول، بيروت 2004.
- المسعودي: «مروج الذهب»، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية، بيروت (بدون تاريخ).
- إلياس سعد: «الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة»، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت 1969.
«في مصر 1897ـ1947»، القاهرة 1969.
- أسامة الغزالي: «مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1978.
- الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان: «الممارسات الإسرائيلية المخالفات والتعويضات»، بيروت، حزيران 1996.
- «بروتوكولات حكماء صهيون»، الطلاب الوطنيون في لبنان، دار القاموس الحديث، بيروت (بدون تاريخ).

- بشارة الخوري: «حقائق لبنانية»، منشورات أوراق لبنانية، الجزء الأول، 1960.
- جورجي كنعان: «تاريخ يهوه»، الدار العربية للعلوم، بيروت 1994.
- جورجي كنعان: «محمد واليهودية»، دار بيسان للنشر 1999.
- جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية والعهد القديم»، دار النهار، بيروت 1985.
- جورجي كنعان: «العنصرية اليهودية»، دار النهار، بيروت 1983.
- جورجي كنعان: «سقوط الامبراطورية الإسرائيلية»، دار النهار، بيروت 1982.
- جبران نقولا: «في العالم اليهودي، فلسطين»، القدس 1935.
- جميل عطية ـ صلاح عيسى: «صك المؤامرة، وعد بلفور»، دار الفتى العربي 1991.
- جورج ناصيف: «الوحدة العربية وإسرائيل»، معهد الإنماء العربي، بيروت 1985.
- حلمي علي شعبان: «سليمان»، دار الكتب العلمية، بيروت 1991.

- حسان حلاق: «دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش 1908ـ1909»، الدار الجامعية، بيروت (بدون تاريخ).
- حسن زعرور: «سيف داوود، خداع وأضاليل»، دار الرسول الأكرم، بيروت 1998.
- حبيب قهوجي: «إسرائيل خنجر أميركا»، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، ط1، دمشق 1979.
- حاييم وايزمن: «مذكرات حاييم وايزمن»، دار الفنون، ط1، بيروت 2006.
- حسين أبو النمل: «الاقتصاد الإسرائيلي»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1988.
- خديجة صفا: «من هم اليهود؟» (بدون تاريخ).
- زاهية قدورة: «تاريخ العرب الحديث»، دار النهضة العربية، بيروت 1975.
- زياد الصغير: «تطور القضية الفلسطينية 1964ـ1976»، أيار 1978.
- سليمان مظهر: «قصة الديانات»، مكتبة مدبولي، القاهرة 1955.
- سليمان موسى: «الحركة العربية 1908ـ1924»، دار النهار، ط2، بيروت 1977.

- سلمى الخنساء: «تاريخ الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى»، بيروت 1988.
- سهيل ذيب: «التوراة بين الوثنية والتوحيد»، دار النفائس، بيروت 1985.
- سلمان أبو ستة: «إسرائيل 2020، خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع»، المجلد الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2004.
- سهام نصّار: صحافة اليهود في مصر بين ادعاء الانتماء وتكريس العزلة (محاضرة)، الندوة السنوية لجمعية الدراسات التاريخية، القاهرة، تاريخ 22 نيسان 2008.
- شوقي ضيف: «العصر الجاهلي»، دار المعارف، القاهرة 1960.
- شفيق الرشيدات: «فلسطين، تاريخياً، وعبرة ومصيراً»، دار الكاتب العربي، مصر 1968.
- شارل مالك: «إسرائيل، أميركا والعرب»، تقرير في الوضع الحاضر، تاريخ 5 آب 1949، دار النهار، ط3، بيروت 2003.
- صالح زهر الدين: «المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية»، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت 1985.

- عبد الرزاق الأسود: «المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب»، المجلد الأول، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1981.
- عبد الرزاق محمد أسود: «اليهودية، الصهيونية، إسرائيل»، الدار العربية للموسوعات، المجلد الأول، بيروت 1981.
- عبد المنعم فوزي: «مذكرات في المجتمع العربي»، دار النهضة، بيروت 1970.
- عبد الرحمن شاكر: «دولة الخزر الجديدة، إسرائيل»، دار مصباح الفكر، ط1، 1981.
- عبد الوهاب الكيالي: «المطامع الصهيونية التوسعية»، بيروت 1966.
- عبد القادر ياسين: «القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري»، دار ابن خلدون، بيروت 1981.
- عبد الرحمن أبو عرفة: «الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981.
- عبد العزيز سليمان نوار ـ عبد المجيد نعنعي: «التاريخ المعاصر، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية»، دار النهضة العربية، بيروت 1973.
- عباس محمود العقاد: «الصهيونية وقضية فلسطين»، منشورات المكتبة العصرية، بيروت/صيدا (بدون تاريخ).

- عباس محمود العقاد: «إبراهيم أبو الأنبياء»، مطابع دار الهلال، مصر (بدون تاريخ).
- عادل محمود رياض: «الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة»، دار النهضة العربية، بيروت 1989.
- علي عبد فتوني: «المراحل التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي»، دار الفارابي، بيروت 1999.
- فؤاد عبد الرحمن الرفاعي: «حقيقة اليهود»، (بدون تاريخ).
- فؤاد حسين مزنر: «هكذا حرّفوا التوراة»، دار ابن خلدون، بيروت 1991.
- فيليب تومبسون: «هل يمكن كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين»، (بحث)، منشورات دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.
- فيليب حتي: «تاريخ العرب»، دار غندور، بيروت.
- قسطنطين خمار: «الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية»، المكتب التجاري، بيروت 1966.
- كارل ماركس: «حول المسألة اليهودية»، دار الحقيقة، بيروت، (بدون تاريخ).
- لطيف إلياس لطيف: «لبنان التوراتي في اليمن»، دار الجنوب للطباعة، صيدا 2000.

- لطفي عبد الوهاب يحيى: «اليونان، مقدمة في التاريخ الحديث الحضاري»، دار النهضة العربية، بيروت 1976.
- ليفيا روكاخ: «قراءة في يوميات موشي شاريت»، دار ابن خلدون، ط1، بيروت 1981.
- منير حاشوش: «الصهيونية»، دار المسيرة، بيروت 1979.
- مصطفى عبادي: «الامبراطورية الرومانية، النظام ومصر الرومانية»، دار النهضة، بيروت 1981.
- محمدأبو المحاسن عصفور: «معالم حضارات الشرق الأدنى القديم»، دار النهضة العربية، بيروت 1979.
- محمد عزة دروزة: «مختارات قومية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1988.
- محمد عزة دروزة: «مأساة فلسطين»، دار اليقظة العربية، ط1، بيروت 1988.
- محمد عبد السلام كفافي: «في أدب الفرس وحضارتهم»، بيروت 1967.
- محمد مراد: «المدارس الكبرى»، مكتبة الفقية، بيروت 1996.
- محمد مصباح حمدان: «الاستعمار والصهيونية العالمية»، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1967.
- محمد محمود الصياد وبعض المؤلفين: «المجتمع العربي والقضية الفلسطينية»، دار النهضة العربية، بيروت 1977.

- محمد رفعت بك: «قضية فلسطين»، دار المعارف، مصر، 1947.
- محمد رفعت بك: «تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية»، دار المعارف، القاهرة 1959.
- منى محمود منازع: «اليهود والاستثمارات الأجنبية في مصر» (محاضرة)، الندوة السنوية لجمعيات الدراسات التاريخية، القاهرة، 22 نيسان 2008.
- نعمة الله الجزائري: «قصص الأنبياء»، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1991.
- نصر شمالي: «ملاحظات أساسية حول تاريخ المسألة اليهودية»، مكتب الخدمات الطباعية، ط1، دمشق 1984.
- نقولا الدر: «هكذا ضاعت فلسطين»، بيروت 1963.
- نجيب أرمنازي: «سورية من الاحتلال حتى الجلاء»، دار الكتاب العربي، مصر 1954.
- نبيل السهلي: «الطائفة اليهودية في البلاد العربية»، دمشق 2005.
- هاني الهندي ـ محسن إبراهيم: «إسرائيل»، دار الفجر، بيروت 1958.
- هاني الهندي: «حول الصهيونية وإسرائيل»، دار الطليعة، بيروت (بدون تاريخ).

- هنادي الحاج: «الأديان من أولها إلى خاتمها»، بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ)، إصدار شركة M.C.A.Sarl.
- هاشم زكريا: «أميركا والصهيونية»، دار الوثبة، (بدون تاريخ).
- يوسف الحاج: «هيكل سليمان»، بيروت 1932.
- يعقوب يوسف كورية: «يهود العراق، تاريخهم، أحوالهم»، دار الأهلية، عمان ـ الأردن 1998.
- يولا أسطيح: «يهود لبنان»، النشرة الإلكترونية اللبنانية، تاريخ 22 آب 2009.

ثانياً: المراجع المترجمة إلى العربية

- آدم ميتز: «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»، ترجمة: عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون تاريخ).
- آلين هوايت: «الآباء والأنبياء»، ترجمة: فرج اللّه إسحق، دار الشرق الأوسط للطبع والنشر، بيروت (بدون تاريخ).
- ألبان ويدجيري: «المذاهب الكبرى في التاريخ»، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت 1979.
- أنيس صايغ: «يوميات هرتزل»، ترجمة: هيلدا شعبان صايغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1973.

- إبراهيم ليون: «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»، ترجمة: عماد نهويض، دار الطليعة، بيروت 1969.
- أليهو جرانب: «حاضر فلسطين»، ترجمة: منير بعلبكي، بيروت 1939.
- أيفون ردليخ: «مذكرات صهيوني»، ترجمة: عبد الحسين شعبان (بدون تاريخ).
- آن تايلر: «تاريخ الحركة الصهيونية، 1897ـ1947»، ترجمة: بسام أبو غزالة، منشورات دار الطليعة، ط1، بيروت 1966.
- ألفرد ليلنتال: «ثمن إسرائيل»، ترجمة: حبيب نحولي وياسر هواري، سلسلة كتاب الملايين، بيروت 1953.
- ينيامين فريدمان: «اليهود اليوم ليسوا يهوداً»، ترجمة: زهدي الفاتح، دار النفائس 1988.
- برنارد لويس: «نصّان يهوديان حول بداية الإسلام»، ترجمة: نبيل فياض، دار الفنون للطباعة والنشر، بيروت 2004.
- توماس تومبسون: «القدس، أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.
- جوش مكدويل: «ثقتي في التوراة والإنجيل»، ترجمة: منيس عبد النور، ألمانيا (بدون تاريخ).

- جون سترينج: «الملك هيرود وأورشليم، كتاب القدس أورشليم العصور القديمة»، ترجمة: فراس السواج، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (بدون تاريخ).
- جورج أنطونيوس: «يقظة العرب»، ترجمة: ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت 1982.
- دافيد فرومكين: «سلام ما بعده سلام، ولادة الشرق الأوسط 1914ـ1922»، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 1992.
- روجيه غارودي: «الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية»، ترجمة: حافظ الجمالي وصياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت 1996.
- كمال الصليبي: «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1985.
- ليستر غراب: «الجماعات الأثنية في أورشليم»، ترجمة: فراس السواح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.
- لوتسكي: «تاريخ الأقطار العربية الحديث»، ترجمة: عفيفة البستاني، دار الفارابي، بيروت 1980.
- موريس دونان: «بيبلوس، تاريخها وآثارها، وأساطيرها»،

ترجمة: أنيس عكره، منشورات ميادوون جيل، بيروت ـ لبنان 1998.

ـ مجموعة الكُتّاب السوفييت: «الصهيونية نظرية وممارسة»، ترجمة: يوسف سلمان، دار الطليعة، بيروت 1974.

ـ نجلا عز الدين: «العالم العربي»، ترجمة: جماعة من الأساتذة، القاهرة (بدون تاريخ).

ـ وليم لانجر: «موسوعة تاريخ العالم»، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية 1954.

ـ يوسي ميلمان: «أمراء الموساد»، ترجمة: محمود برهوم وحزامة حبايب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1992.

ثالثاً: المجلات حسب تسلسلها الزمني

ـ «مجلة فلسطين»، العدد 112، السنة العاشرة، تاريخ تموز 1970.

ـ «مجلة فلسطين»»، العدد 131، تاريخ شباط 1972.

ـ «مجلة شؤون فلسطينية»، العدد 77، تاريخ نيسان 1978.

ـ «مجلة عالم المعرفة»، العدد 197، تاريخ أيار 1995.

ـ «مجلة عالم المعرفة»، العدد 224، تاريخ آب 1997.

ـ «مجلة الشراع»، العدد 353، تاريخ كانون الأول 1998.

- «مجلة معلومات»، العدد 41، تاريخ نيسان 2007 يصدرها المركز العربي للمعلومات.

رابعاً: الصحف حسب تسلسلها الزمني

- «جريدة القدس»، 19 كانون الثاني 1981.
- «جريدة السفير»، تاريخ 19 كانون الثاني 1996.
- «جريدة النهار»، تاريخ 22 تشرين الأول 1996.
- «جريدة السفير»، تاريخ 1 تشرين الثاني 1999.
- «جريدة النهار»، (نهار الشباب)، تاريخ 24 تشرين الأول 2000.
- «جريدة السفير»، تاريخ 17 آذار 2001.
- «جريدة صدى البلد»، تاريخ 25 آب 2008.
- «جريدة السفير»، تاريخ 22 كانون الأول 2009.
- «جريدة السفير»، تاريخ 23 نيسان 2010.
- «جريدة الديار»، تاريخ 23 نيسان 2010.
- «جريدة السفير»، تاريخ 8 أيار 2010.
- «جريدة السفير»، (ملحق فلسطين)، العدد 2 تاريخ 15 حزيران 2010، السنة الأولى.
- «جريدة السفير»، (ملحق فلسطين)، العدد 3 تاريخ 15 تموز 2010.

- «جريدة السفير»، تاريخ 22 تموز 2010.
- «جريدة السفير»، تاريخ 24 تموز 2010.
- «جريدة السفير»، (ملحق فلسطين)، العدد 4، تاريخ 17 آب 2010.
- «جريدة السفير»، تاريخ 4 تشرين الأول 2010.
- «جريدة السفير»، تاريخ 19 تشرين الأول 2010.
- «جريدة المستقبل»، تاريخ 18 نيسان 2011.

المحتويات

المقدمة 7

الفصل الأول: اليهود في التاريخ الفلسطيني القديم 11

ـ إبراهيم الخليل (ع)، نسبه وحياته وأسفاره 13

ـ يعقوب (ع): نسبه وأسفاره 24

ـ موسى (ع): حياته، مواقفه وأسفاره 34

ـ يشوع بن نون (ع) 41

ـ داوود (ع) 47

ـ سليمان (ع) 53

ـ المعتقدات الدينية لليهود 62

ـ التوراة 68

ـ أسفار موسى (ع) 69

ـ التلمود 73

الفصل الثاني: فلسطين والغزوات الخارجية
قبل الميلاد 77

ـ الغزو الآشوري وسقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا 79
ـ اليهود خلال الحكم الفارسي 83
ـ الإسكندر المقدوني في فلسطين 87
ـ اليهود خلال الوجود الروماني 91
الفصل الثالث: السلوك السياسي ليهود روسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية 97
ـ يهود الخزر 99
ـ اليهود في أوروبا الشرقية وروسيا 103
ـ اليهود في أوروبا الغربية 114
ـ اليهود في الولايات المتحدة الأميركية 126
الفصل الرابع: المخطط الاستعماري ـ الصهيوني نحو فلسطين 135
ـ تيودور هرتزل ومشروع الدولة اليهودية 137
ـ مؤتمر بال في سويسرا 142
ـ أهداف اليهود في الحرب العالمية الأولى 1914ـ1918 152
ـ الجهود الصهيونية عشية صدور وثيقة بلفور 161
ـ نص الخطاب الذي دخل التاريخ باسم تصريح بلفور، (وعد بلفور) 167

- مؤتمر الصلح في باريس - فرنسا، شرعنة
- المشروع اليهودي 170
الفصل الخامس: يهود بعض البلاد العربية 175
- تاريخ يهود العراق 177
- اليهود في اليمن 183
- يهود سوريا 185
- يهود لبنان 188
- اليهود في مصر 195
- يهود المغرب العربي 201
- تونس 203
- يهود المغرب 203
الفصل السادس: المشروع اليهودي والدولة
الصهيونية المعاصرة 207
- الهجرة اليهودية إلى فلسطين،
مشروع الاستيطان 209
- إعلان دولة إسرائيل عام 1948 (يوم النكبة) 225
- القدس: تاريخ ووقائع 238
- اليهود وزيف الحق التاريخي 250
الخاتمة 261

المصادر والمراجع 265
أولاً: مصادر ومراجع باللغة العربية 265
ثانياً: المراجع المترجمة إلى العربية 274
ثالثاً: المجلات حسب تسلسلها الزمني 277
رابعاً: الصحف حسب تسلسلها الزمني 278

توارث اليهود الطبيعة العدوانية جيلاً بعد جيل، ولم يتورع مفكروهم وحكماؤهم في الحركة الصهيونية، منذ نشوئها أن يفلسفوا العدوان ويسوغوه لشعبهم مستندين في فلسفتهم إلى «وعد إلهي»، زوَّروه لمصلحتهم، وإلى إدعاء بأن الله فضلهم على سواهم من بني البشر.

وقد انطلقت الصهيونية من وجود المشكلة اليهودية ممثلة بالاضطهاد الذي شهده اليهود في العديد من الدول الأوروبية للمطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود المشتتين في العالم على أرض فلسطين.

وبالتالي بدأت المنظمة الصهيونية تنادي بهجرة اليهود من جميع أصقاع الأرض إلى فلسطين. وعملت بمختلف السبل على تهجيرهم، لإقامة دولة عن طريق الاستعمار الاستيطاني، على اعتبار أنَّ فلسطين هي وطنهم القديم «أرض الميعاد». وعلى هذا ارتكز أبناء الصهيونية منذ نشأتها على أسس من الدمج بين الفكر الديني والفكر السياسي، وما زالت حتى اليوم تربط كيانها السياسي بالدين. وتجعل من الدين أساساً لوجود الدولة العبرية وحجة في اغتصاب الأرض، ومن ثم استملاكها. علماً أن اليهودية دين لا يتمتع أتباعه ببراءات أو صكوك تاريخية أو قانونية تبرر استيلاءهم على أرض فلسطين ولا تربط بين تجمعاتها المنتشرة في العالم لغة ولا حضارة ولا ثقافة واحدة. فهم يفتقدون كل المقومات التي تبني الأمم، والتي تجعل كتلة من البشر متحداً اجتماعيا وسياسيا واحداً يقيم على أرض واحدة وتمتد جذوره في ترابها.

(من المقدمة)

د. علي عبد فتوني، مواليد الحلوسية - صور

حاز على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ - استاذ في ملاك الجامعة اللبنانية - شارك في عدة مؤتمرات في لبنان والخارج.

صدر له:

المؤسسات التربوية في الوطن العربي ودورها في تنمية المجتمع، دار الصداقة العربية، بيروت 1996. المراحل التاريخية للصراع العربي الاسرائيلية، دار الفارابي، بيروت 1999. المجتمع العربي الحديث والمعاصر، بالاشتراك مع د. علي شعيب ود. محمد مراد، دار الفارابي، بيروت 1998. البلاد العربية والتحديات التعليمية الثقافية المعاصرة، دار الفارابي، بيروت 2007.

صدر له عدة أبحاث في مجال التاريخ العربي الحديث.




ISBN 978-9953-71-794-4
9 789953 717944